جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

الأوضاع العلمية في الأندلس خلال عصر الإمارة الأموية، وعلاقاتها مع بلاد المغرب والمشرق (138-316هـ/756-928م)

إعداد
معالي محمد علي ياسين

إشراف
الدكتور عامر القبج

قُدِّمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.
2017م

الأوضاع العلمية في الأندلس خلال عصر الإمارة الأموية، وعلاقاتها مع بلاد المغرب والمشرق (138-316هـ/756-928م)

إعداد

معالي محمد علي ياسين

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2017/05/17م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة	**التوقيع**
1. د. عامر القبج / مشرفاً ورئيساً	....
2. أ.د. وائل أبو صالح / ممتحناً خارجياً	....
3. د. محمد الخطيب / ممتحناً داخلياً	....

الإهداء

إلى من آزرتني وقتَ ضعفي، فكانت نبراساً يُضيءُ ليَ الطريقَ، فأوصلت حروفَ لُغتي بعدَ تعثُّرِها، فكانت ليَ اليدَ واللسانَ: أُمي الحنون.

شكر وتقدير

أتوجهُ بجزيلِ الشُكر والعرفانِ إلى من كان له الفضلُ في إخراج هذه الدّراسةِ بصورتها الحاليَّة: الدكتور عامر القبج، الذي منحني الكثيرَ من وقتهِ وجهدهِ وتوجيهاتهِ القيِّمة، ومدَّ لي العونَ طيلةَ فترةِ دراستي، وأمدَّني بالعديدِ من المصادرِ والمراجعِ التي ساعدتني في كتابةِ هذه الدراسةِ وإثرائها، سائلة المولى القدير أن يجزيهِ عنّي خيرَ جزاءٍ، ويثيبه الأجرَ إن شاء الله.

كما أتقَّدم بخالص شكري وتقديري من اعضاء لجنة المناقشة: الأستاذ الدكتور وائل أبو صالح، والدكتور محمد الخطيب على ما بذلوه من جهد ووقت في قراءة هذا البحث وتقويمه.

كما أتقَّدمُ بالشّكرِ والتَّقديرِ من أساتذتي في قسمِ التاريخ: الأستاذ الدكتور جمال جودة، والدكتور عدنان ملحم، والدكتور أمين أبو بكر لما بذلوه من عونٍ ونصحٍ لي طوالَ فترةِ دراستي.

والشُكر موصولُ إلى جميعِ العاملينَ في مكتبةِ جامعةِ النجاح الوطنيّة، وأخصُّ بالذِّكرِ الأُستاذين: فايز سلوم وعبدالله نصر، وإلى جميعِ العاملينَ في كُلٍّ من مكتبةِ بلديةِ نابلس ومكتبةِ بلديةِ البيرة، لما بذلوه من مساعدة.

كما أتوجّهُ بالشُكرِ كلَّ مَن قدَّم لي الدَّعم من أجل إخراج هذه الدراسةِ إلى حيِّزِ الوجود.

معالي

الإقرار

أنا الموقعة أدناه، مقدمة الرسالة التي تحمل العنوان:

الأوضاع العلمية في الأندلس خلال عصر الإمارة الأموية، وعلاقاتها مع بلاد المغرب والمشرق (138-316هـ/756-928م)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيث ما ورد، وأن هذه الرسالة كاملة، وأي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أي درجة أو لقب علمي أو بحث لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

اسم الطالبة:	**Student's name:**
التوقيع:	**Signature:**
التاريخ:	**Date:**

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	ج
الشكر والتقدير	د
الإقرار	هـ
فهرس المحتويات	و
الملخص	ح
المقدمة	1
دراسة في المصادر	3
تمهيد: الأوضاع السياسية الداخلية في الأندلس حتى نهاية عصر الإمارة	15
الفصل الأول: مظاهر اهتمام الأمراء الأمويين بالعلم والتعليم، ومناهج التعليم في الأندلس	**37**
- تشجيع الأمراء الأمويين على العلم والتعليم	38
- المراحل التعليمية ومناهج الدراسة	53
- المرحلة الأساسية	53
- المرحلة المتوسطة	56
- المرحلة العليا	6
الفصل الثاني: العلوم الدينية في الأندلس	**70**
- علم القراءات والتفسير	71
- علم الحديث	77
- علم الفقه	81
الفصل الثالث: علوم اللغة العربية وآدابها وفنونها	**96**
- علم النحو	97
- الأدب	100
- الشعر	102
- فنون الموشحات والغناء والموسيقى	123
الفصل الرابع: العلوم العقلية في الأندلس	**137**
- الطب والصيدلة	138

الموضوع	الصفحة
– الكيمياء والفلك	143
– التاريخ والجغرافيا	149
– الفلسفة والمنطق	158
الفصل الخامس: الصلات العلمية والثقافية بين الأندلس وبلاد المغرب والمشرق	**166**
– سبل تبادل العلاقات العلمية بين الأندلس وبلاد المغرب والمشرق	167
– التبادل العلمي بين الأندلس وبلاد المغرب	173
– التبادل العلمي بين الأندلس وبلاد الشام والحجاز	178
– التبادل العلمي بين الأندلس ومصر والعراق	181
الخاتمة	**190**
قائمة المصادر والمراجع	**193**
الملاحق	**216**
Abstract	**b**

الأوضاع العلمية في الأندلس خلال عصر الإمارة الأموية، وعلاقاتها مع بلاد المغرب والمشرق (138-316هـ/756-928م)

إعداد

معالي محمد علي ياسين

إشراف

الدكتور عامر القبج

الملخص

بعد استقرار أعمال الفتح الإسلامي، أصبحت بلاد الأندلس مزيجاً من العناصر العرقية المختلفة التي اتصلت مع بعضها بالمصاهرة أو الجوار أو الحرب، ما أدى إلى تكوّن مجتمع أندلسي له مميزاته وصفاته الخاصة، ومرت الحضارة الإسلامية في بلاد الأندلس بأطوار مختلفة خضعت خلالها لمؤثرات فكرية محلية بحكم خصوصية البيئة الداخلية، كما أنها خضعت أيضاً للمؤثرات الفكرية والثقافية والعلمية المغربية والمشرقية، لأن بلاد الاندلس كانت على الدوام تشكل جزءاً أصيلاً من العالم الإسلامي وتاريخه وحضارته.

واهتم الأندلسيون بالعلم والتعليم بتشجيعٍ من أمرائهم؛ فأخذوا يقبلون على الكتاتيب ودور العلم، لتربية أبنائهم وتعليمهم منذ نعومة أظافرهم، ولم يكن التعليم عندهم مقصوراً على الذكور؛ بل شمل الإناث أيضاً، وتدرجوا في المراحل التعليمية ووضعوا المناهج الخاصة بها.

ولعل من أهم العلوم التي اهتم بها الأندلسيون؛ العلوم الدينية وبخاصة علوم القرآن كعلمي القراءات والتفسير، واهتموا بعلم الفقه فنقلوا إلى الأندلس المذهب المالكي على يد الغازي بن قيس، وزياد بن عبد الرحمن اللخمي الملقب بشبطون، وعلى الرغم من ظهور مذاهب أخرى كالمذهبين الشافعي والظاهري؛ فإن المذهب المالكي كان صاحب السيادة في البلاد، وأما علوم اللغة العربية وآدابها وفنونها فأولاها الأندلسيون اهتماماً كبيراً، فجلبوا الكتب الأدبية من المشرق، الأمر الذي أسهم في تطور علوم اللغة والنحو والتأليف فيهما، أما الشعر في تلك الفترة فقد تأثر بشكل كبير بالشعر المشرقي، وقد ظهر هذا واضحاً جلياً في كتابات العديد من الشعراء الأندلسيين، ولما استوى الشعر على سوقه؛ ظهرت فنون الموشحات والأزجال والغناء، ونتيجة

لهذا كله فقد ظهر فن الغناء بصورة واضحة، وترافق ذلك مع انتشار فئة الجواري والمغنين، وبخاصة بعد استقدامهم من بلاد المشرق، فاصطبغت الفنون الأندلسية بألوان حجازية وعراقية، وممن أسهموا في ذلك علي بن نافع الملقب بزرياب خلال عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط (206-238هـ/822-852م).

وأما العلوم الطبية في عصر الإمارة فقد اعتمد الأندلسيون فيها في أول الأمر على الكتب المترجمة عن النصارى، ثم دخلت التأثيرات العلمية من المشرق إلى الأندلس في منتصف القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي عن طريق الطبيب يونس الحراني الذي وفد إليها في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، كما أسهم الأندلسيون في علمّي الرياضيات والفلك، ونبغ فيهم العالم والكيميائي عباس بن فرناس أول من حاول تقليد الطيور في الطيران.

وكان للأندلسيين اسهامات في كتابة تاريخهم منذ الفتح، رغم سيطرة الخرافات والأساطير على الكثير من هذه الكتابات، ولعل أبرز من نبغوا في هذا المجال عبد الملك بن حبيب السلمي، أما الاهتمام بالفلسفة فكان ضعيفاً، وذلك لاتهام من يشتغل بها بالكفر والزندقة، وعلى الرغم من ذلك فقد ظهر محمد بن مسَّرة الذي رحل إلى المشرق ودرس على يد كبار الفلاسفة، وعاد إلى الأندلس لينشر فيها مذهبه الفلسفي، إلا أنه تعرض للملاحقة والتضييق.

وتبادل الأندلسيون العلاقات العلمية مع أقطار بلاد المغرب والمشرق، ولما كانت بلاد الحجاز، وبخاصة مكة والمدينة، من أهم مراكز العلم والثقافة الدينية والفكرية في العالم الإسلامي، فقد شكَّلت القبلة الأولى بالنسبة لعلماء الأندلس، ففي هاتين المدينتين ظهرت أولى مدارس العلم، وانتقلت مؤثراتهما وخصائصهما الدينية والمذهبية إلى الأندلس، فانتشر مذهب الإمام مالك بن أنس في بلاد المغرب والأندلس، ومما ساعد في ذلك؛ الرحلات العلمية التي قام بها الفقهاء الأندلسيون إلى الحجاز وبلدان المشرق الإسلامي.

ومن ناحيتهم لعب العلماء المصريون دوراً كبيراً في صياغة وتشكيل المنظومة الفقهية في الأندلس، وبخاصة بعد أن اضطلعوا بدور كبير في وضع أسس المذهب المالكي وقواعده،

نقلاً عن علماء الحجاز، خاصة وأن البلاد المصرية تقع على طريق الرحلة من الأندلس إلى بلاد المشرق، ومن ناحية أخرى أسهمت العلاقات العلمية والثقافية بين الأندلس والمغرب في تطــور الحياة الفكرية وازدهارها في كلا البلدين.

وأخيراً؛ فإن بلاد الأندلس لم تتأثر في بداية عصر الإمارة بفكر العراقيين وثقافتهم بسبب الصبغة الشامية التي اصطبغت بها حياة الأندلسيين بفعل سياسة الأمير المؤسس عبد الــرحمن الداخل(138-172هــ/756-788م) ولم يبدأ الفكر العراقي بالتسلُّل إلى الأندلس إلا فـــي عهــد الأمير عبد الرحمن الأوسط، بسبب شغفه بالعلم واهتمامه بالعلماء الوافدين إلى بلاده من مختلف أقطار العالم الإسلامي.

المقدمة

عنوان بحثي هو "الأوضاع العلمية في الأندلس خلال عصر الإمارة الأموية، وعلاقاتها مع بلاد المغرب والمشرق(138-316هـ/756-928م)"، والمقصود به؛ دراسة مختلف الجوانب العلمية والثقافية في بلاد الأندلس خلال العصر المذكور، والصلات ذات العلاقة مع كل من بلاد المغرب والمشرق، لما أظهرته بلاد الأندلس في تلك الفترة من إبداعات في مختلف النواحي العلمية والثقافية، مما أسهم في خلق علاقات حضارية متبادلة مع مختلف الأطراف الإسلامية.

ونظراً لتركيز المؤرخين والباحثين في كتاباتهم على التاريخ السياسي لتلك الحقبة؛ فإن الكتابات الحضارية، وبخاصة العلمية والثقافية، لم تحظ بالقدر الكافي من العناية والاهتمام، إلاّ من جانب قلة من الدارسين والباحثين في مواضيع محددة، مما ألقى بظله أيضاً على الدراسات المتخصصة في هذا الموضوع كماً ونوعاً.

ومن الدراسات السابقة التي تناولت جوانب مهمة من الحياة العلمية في الأندلس خلال الفترة الخاصة بالبحث؛ رسالة علمية غير منشورة بعنوان: التربية اللغوية في الأندلس (عصر سيادة قرطبة) للأستاذ وائل أبو صالح، وأفاد البحث منها في دراسة الجوانب التربوية، ثم تأتي رسالة علمية بعنوان: بنو أمية ودورهم في الحياة العامة لمصطفى خزعل، وتناول فيها قيام الدولة الأموية وأوضاعها السياسية والإدارية والاجتماعية والعلمية في المشرق والمغرب والأندلس.

أضف إلى هذا بعض المقالات المنشورة في عدد من المجلات العلمية وفي مقدمتها مقال بعنوان: موقف العلماء من ظاهرة التصوف الفلسفي(ابن مسرة الجبلي نموذجاً) لمحمد عزب، ومقال بعنوان: عباس بن فرناس مبدع الأندلس لإسراء الجبوري، وركزت المادة العلمية في هذه المقالات على سير أشهر علماء الأندلس في تلك الفترة من الدراسة، ومن الدراسات السابقة التي أفاد منها البحث المقالات التي اشتمل عليها كتاب سلمى الخضرا الجيوسي، والتي أثرت الدراسة في مختلف جوانبها.

واشتمل البحث على دراسة لأهم المصادر التي أفاد منها، تلاها تمهيد تاريخي وخمسة فصول، تناول الفصل الأول دراسة مظاهر اهتمام الأمراء الأمويين بالعلم والتعليم وتشجيعهم عليه، والمراحل التعليمية ومناهجها.

وأما الفصل الثاني فتحدث عن العلوم الدينية في الأندلس وبخاصةٍ علم القراءات والتفسير وعلم الحديث والفقه. ثم أتى الفصل الثالث حول علوم اللغة العربية وآدابها وفنونها، فتناول علمّي النحو والأدب وفنون الشعر والموشحات والموسيقى والغناء

وتناول الفصل الرابع العلوم العقلية، كالرياضيات والفلك والطب والمنطق والفلسفة وعلمي التاريخ والجغرافيا، والتحديات التي واجهت العلماء والفلاسفة خلال فترة موضوع البحث، وإسهامات هؤلاء كل في مجاله.

أخيراً؛ استعرض الفصل الخامس مظاهر الصلات العلمية والثقافية بين الأندلس وكلٍ من بلاد المغرب والمشرق خلال عصر الإمارة، وما أسهمت فيه تلك العلاقات في تطور النشاط الحضاري لدى مختلف الأقطار الإسلامية، واختتم البحث بخاتمة اشتملت على أبرز نتائجه.

دراسة في المصادر

- تاريخ افتتاح الأندلس، لأبي بكر، محمد بن عمر بن القوطية(ت.367هـ/977م).
- طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر، محمد بن الحسن الزبيدي(ت. 379/989م).
- تاريخ علماء الأندلس، لأبي الوليد، عبد الله بن محمد بن الفرضي(ت. 403هـ/1013م).
- جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، لأبي عبد الله، محمد بن فتوح الحميدي(ت. 488هـ/1095م).
- المطرب من أشعار أهل المغرب، لعمر بن الحسن بن دحية الكلبي(ت. 633هـ/1235م).
- إنباه الرواة على أنباه النحاة، لأبي الحسن، علي بن يوسف القفطي(ت. 646هـ/1248م).
- الحلة السيراء، لمحمد بن عبد الله بن الأبار القضاعي(ت. 658هـ/1260م).
- المغرب في حلى المغرب، لأبي الحسن، علي بن سعيد المغربي(ت. 685هـ/ 1286م).
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، لأبي عبد الله، محمد بن عذاري المراكشي (ت. 695هـ/1295م).
- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، لأبي زيد، عبد الرحمن بن خلدون(ت. 808هـ/1406م).
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب، لأبي العباس، أحمد المقري التلمساني(ت. 1041هـ/1632م).

دراسة في المصادر

تاريخ افتتاح الأندلس، لأبي بكر، محمد بن عمر بن القوطية(ت.367هـ/977م)، هو مؤرخ أندلسي، يعود أصله إلى مدينة إشبيلية [1]، أخذ العلم على يد عدد من علماء وشيوخ عصره، وكان على علم كبير بعلوم اللغة العربية، كما كان حافظاً للحديث والفقه، بالإضافة إلى أنه كان كثير الاطلاع على أخبار الأندلس وأخبار أمرائها وأحوال فقهائها وشعرائها، فصنَّف العديد من الكتب المفيدة في اللغة منها: تصاريف الأفعال، وكتاب المقصور والممدود، وفي روايته للأخبار لم يكن له أصول يرجع إليها[2].

وأما كتابه تاريخ افتتاح الأندلس؛ فاشتمل على معلومات تاريخية وأدبية، من بداية الفتح حتى عهد الأمير عبد الله بن محمد(275-300هـ/888-912م).

وأفاد هذا الكتاب الدراسة في بداية الحديث عن فتح الأندلس، وعهد الولاة، وأهم تفاصيل الأحداث السياسية في الأندلس أبان تلك الفترة، أضف إلى هذا أنه أفاد في إظهار الدور الذي لعبه الأمراء الأمويون في التشجيع على العلم والتعليم، والدعم الذي قدموه للشخصيات الأدبية والعلمية، مما أدى إلى ظهور نتاجٍ علميٍ أسهم في تطور الأوضاع العلمية في الأندلس في فترة موضوع الدراسة.

ومن ناحية أخرى؛ أهمل المؤلف الحديث عن بعض الجوانب الأدبية التي تمتع بها الأمراء الأمويون، بالإضافة إلى إهماله الحديث عن بعض الشخصيات العلمية التي كان لها دور كبير في نهضة الأندلس العلمية.

---

[1] إشبيلية: مدينة تقع جنوب الأندلس على ضفاف نهر الوادي الكبير، وهي قريبة من البحر يطل عليها جبل الشرف، بينها وبين قرطبة ثلاثون فرسخاً، لها أسوار حصينه، وكانت أسواقها عامرة، واشتهر سكانها بالاتجار بالزيت، وقد اطلق الأندلسيون عليها اسم "حمص" وذلك لما بين المدينتين من تشابه، انظر: الحموي، **معجم البلدان**، ج1، ص195، أبو الفداء، **تقويم البلدان**، ص175؛ الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، ص59. والفرسخ: يتألف من ثلاثة أميال وكل ميل ألف باع وكل باع أربعة أذرع، أي أن طول الفرسخ حوالي ستة كيلو مترات، انظر: هنتس، فالتر: **المكاييل والأوزان الإسلامية**، ص94.

[2] ابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس**، ج2، ص(102-103)؛ ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج4، ص368؛ ابن فرحون، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، ج2، ص(217-218)؛ انظر أيضاً، الزركلي: **الأعلام**، ج6، ص(311-312).

طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر، محمد بن الحسن الزبيدي(ت. 989/379م)، من مواليد مدينة إشبيلية، ويعود أصل أجداده إلى حمص، كان عالماً في النحو واللغة[1]، عمل مؤدباً لهشام المؤيد بالله(354هـ-403هـ/965-1013م)[2]، ثم وُلِّي قضاء مدينة إشبيلية وخطة الشرطة، واستقر فيها إلى أن توفي[3]، وله العديد من المصنفات في اللغة والنحو، منها الواضح في العربية، ولحن العامة، ومختصر العين، والاستدراك على سيبويه في كتاب الأبنية[4].

إما كتابه طبقات النحويين واللغويين؛ فهو عبارة عن كتاب تراجم لنحويين ولغويين من عصر أبي الأسود الدؤلي(ت. 69هـ /688م) في صدر الإسلام إلى عهد شيخه أبي عبد الله الرباحي(ت. 358هـ/968م) إمام اللغة والنحو بالأندلس في القرن الرابع الهجري، ورتبَّه على الطبقات فبدأ بذكر طبقات النحويين ومن ثم طبقات اللغويين، مبتدئاً بذكر البصريين من كلتا الطبقتين لتقدمهم في علم اللغة العربية والتأليف فيها.

وقد أفاد هذا الكتاب البحث في التعرف إلى النحويين واللغويين الأندلسيين الذين عاشوا في فترة عصر الإمارة الأموية، وكان لهم دور كبير في التعليم، أضف إلى هذا التعرف إلى ما نقلوه معهم من الكتب المشرقية إلى الأندلس.

تاريخ علماء الأندلس، لأبي الوليد، عبد الله بن محمد بن الفرضي (ت. 403هـ/ 1013م)، الذي وُلد في مدينة قرطبة[5] سنة351هـ/962م، وكان فقيهاً عالماً بالحديث، كما برع

---

[1] ابن الفرضي، ج2، ص121.

[2] هشام المؤيد بالله: أبو الوليد، ولد سنة 354هـ/965م، وبويع بالخلافة بعد وفاة والده الحكم المستنصر سنة 366هـ/977م وكان صغير السن فأخذت عليه الوصاية أمه صبح البشكنجية، حيث سيطر الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر(ت. 392هـ/1002م) على مقاليد الحكم إلى أن مات، فظل هشام المؤيد أسمياً خليفة للأندلس حتى سنة 399هـ/1009م، إلى أن قام ابن عمه محمد بن هشام بن عبد الجبار(ت. 400هـ/1010م) بخلعه وسجنه سنة 400هـ/1010م، إلى أن أُعيد للحكم مرة أخرى، إلا أنه قتل سنة 403هـ/1013م، انظر: ابن الفرضي، ج1، ص37؛ الحميدي، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، ص37؛ الضبي، **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، ج1، ص43.

[3] ابن الفرضي، ج2، ص121؛ ابن خلكان، ج4، ص(372-373)؛ ابن فرحون، ج2، ص219.

[4] الضبي، ج1، ص93؛ ابن خلكان، ج4، ص372؛ ابن فرحون، ج2، ص220.

[5] قرطبة: مدينة تقع جنوب الأندلس على ضفة نهر الوادي الكبير، وهي في سفح جبل مطل عليها يسمى جبل العروس، وطولها من غربيها إلى شرقيها ثلاثة أميال، وعرضها من باب القنطرة إلى باب اليهود ميل واحد، وتعتبر قاعدة الأندلس وأم مدائنها، ومستقر خلافة الأمويين بها، وأثارهم بها ظاهرة، انظر: الحميري، ص(456-458).

في الأدب وغيره من العلوم، وتولى قضاء مدينة بلنسية[1]، ورحل حاجًّا إلى المشرق سنة 382هـ/992م وأخذ العلم عن عدد من شيوخ أهل المشرق[2]، وعاد إلى قرطبة ليستقر فيها إلى أن قتله البربر في داره[3]، وله العديد من المصنفات منها: المؤتلف والمختلف في الحديث والمتشابه في أسماء رواة الحديث[4].

يتكون كتاب تاريخ علماء الأندلس من جزأين، وهو عبارة عن كتاب تراجم لعلماء الأندلس وفقهائها، وذكر فيه أسماء الرجال وأنسابهم وكنية كل واحد منهم، ومن كان منهم يحفظ الحديث، وعن من روى من الشيوخ ومن أخذ عنهم، كما ذكر من كانت له رحلة إلى المشرق، وممن تولى منهم خطة القضاء، وتميز هذا الكتاب بكثرة التنوع في تراجمه، حيث لم يقتصر على أهل الحديث والفقه، بل تعداه إلى تراجم أهل الأدب والشعر ذاكراً بعض الأشعار.

وقد اعتمد المؤلف في ترتيب المعلومات على التسلسل الزمني للأحداث فبدأ بذكر دخول الأمير عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس ومن ثم استكمل الحديث عن أمراء البيت الأموي فيها، ومن ثم الحديث عن علمائها ووزرائها ورواتها.

وقد أفاد البحث من هذا الكتاب في استقاء المعلومات الخاصة بعلماء الأندلس، كأسمائهم وتاريخ وفياتهم، ومن كانت له رحلة منهم إلى المشرق، وكذلك ترجمة الأعلام التي وردت في البحث.

جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، لأبي عبد الله، محمد بن فتوح الحميدي (ت. 488هـ/1095م)، ويعود أصله إلى مدينة قرطبة، وسكن جزيرة ميورقة [5]، وقد اعتنت به

---

[1] بلنسية: مدينة تقع شرق الأندلس، بينها وبين قرطبة على طريق بجانة ستة عشر يوماً، وبينها وبين البحر ثلاثة أميال، انظر: الحميري، ص97.

[2] ابن بشكوال، كتاب الصلة، ج1، ص280؛ المقري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، ج2، ص129.

[3] ابن فرحون، ج1، ص452.

[4] الزركلي، ج4، ص121.

[5] ميورقة: من جزر الباليار تقع في شمالي شرق الأندلس في البحر المتوسط، وبالقرب منها جزيرة يقال لها منورقة، انظر: الحميري، ص567.

أسرته منذ نعومة أظافره[1]، فكان يحضر مجالس العلم على الرغم من صغر سنه، وأخذ العلم عن أبي محمد بن حزم الأندلسي(ت. 456هـ/1064م)[2] واشتهر بمرافقته له، وكان تأثير ابن حزم في الحميدي كبيراً في آرائه العقائدية وميله الشديد إلى الحديث[3].

وتفقَّه الحميدي بالفقه المالكي على يد عدد من شيوخ عصره، ورحل إلى المشرق لطلب العلم سنة448هـ/1056م، فحج وسمع بمكة عن أشهر رواة صحيح البخاري فيها[4]، كما سمع عن عدد كبير من علماء المشرق، واستقر ببغداد وكتب عنها كثيراً من الحديث والأدب وسائر الفنون، وبقي فيها إلى أن توفي، ودفن في مقبرة باب حرب التي يرقد فيها الكثير من علماء بغداد[5]، وله العديد من المصنفات أهمها كتاب الذهب المسبوك في وعظ الملوك، وكتاب الترسل[6].

ألف الحميدي كتاب جذوة المقتبس اعتماداً على ما توَفَّر بين يديه من مؤلفات أفادته في كتابه، بالإضافة إلى ما كان يحفظه من معلومات، ويقال أن المترجمين قد اختلفوا في تسمية كتابه هذا، فسماه ابن خير الإشبيلي(ت. 575هـ/1179م) المقتبس في تاريخ الأندلس، في حين سماه ياقوت الحموي(ت. 626هـ/1229م) جذوة المقتبس في أخبار علماء الأندلس، وكان البعض الآخر يقتصر اسم كتابه على القسم الأول من عنوان الكتاب وهو جذوة المقتبس[7].

وهو كتاب تراجم لتاريخ علماء الأندلس، ابتدأ الحديث فيه عن أمراء وخلفاء بني أمية، ومن ثم انتقل إلى الحديث عن رجال أهل الأندلس وعلمائه، فذكر أسماءهم ومن روى عنهم ومن

---

[1] الذهبي، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعيان**، ج33، ص281.

[2] ابن حزم الأندلسي: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، ولد بقرطبة، وسمع عن يحيى بن مسعود(ت. 402هـ/1011م) صاحب قاسم بن أصبغ(ت. 340هـ/951م)، وكان شديد الذكاء، برع في الأدب والشعر والفلسفة، ودرس المذهب المالكي وتفقه به، ثم درس المذهب الشافعي وتعصب له، وأنتقل بعده إلى المذهب الظاهري، وكان أوسع أهل الأندلس معرفة في علوم اللغة، وله العديد من المصنفات، منها كتاب الإيصال إلى فهم كتاب الخصال، انظر: ابن حزم الأندلسي، **جمهرة أنساب العرب**، ص(5-6)،9؛ الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج18، ص(184-187)،(193-194).

[3] الحموي، **معجم الأدباء**، ج6، ص2599.

[4] نفسه.

[5] ابن خلكان، ج4، ص282؛ الذهبي، سير، ص120.

[6] الذهبي، **سير**، ج 16، ص(121-123).

[7] الحميدي، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، مقدمة المحقق، ص(13-14)

أخذوا عنه، ومن تولى منهم القضاء، ومن كانت منهم له مؤلفات في الفقه والحديث، وأفاد هذا الكتاب الدراسة في تراجم علماء الأندلس وسيرهم في كل فصول البحث.

المطرب من أشعار أهل المغرب، لعمر بن الحسن بن دحية الكلبي(ت. 633هـ/ 1235م)، ويعود أصله إلى مدينة بلنسية الأندلسية، ولد سنة 544هـ/1149م[1]، وكان متقناً لعلم الحديث النبوي وما يتعلق به، واشتغل بطلب الحديث في كثير من المدن الأندلسية، ولقي بها علماءها ومشايخها، ثم رحل إلى مراكش والديار المصرية والشام والعراق وسمع من عدد كبير من علمائها[2].

وعندما مرَّ بمصر عهد إليه الملك الكامل الأيوبي(615-635هـ/1218-1238م)[3] برئاسة مدرسة دار الحديث الكاملية التي أنشأها الملك الكامل في سنة 622هـ/1225م، وبقي في مصر إلى أن توفي ودفن فيها[4]، ومن مصنفاته: التحقيق في مناقب أبي بكر الصديق، وتاريخ الأمم في أنساب العرب والعجم[5].

ويحتوي كتاب المطرب على الكثير من شعر الوزراء والكتاب وأصحاب الجاه والعلماء، في المغرب والأندلس، وعني فيه بإبراز ما امتازوا به من فن الموشحات، وأفاد هذا الكتاب الفصل الثاني فيما يخص الشعر والشعراء.

إنباه الرواة على أنباه النحاة، لأبي الحسن، علي بن يوسف القفطي(ت. 646هـ/1248م)، وهو وزير ومؤرخ، ولد في قفط[6] سنة 568هـ/1172م، وقضى طفولته

---

(1) ابن خلكان، ج3، ص448.

(2) نفسه، ص499؛ السيوطي، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، ج2، ص218.

(3) الملك الكامل: هو أبو المعالي الكامل ناصر الدين محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، ولد سنة 576هـ/1180م، كان محباً لمجالسة العلماء، تولى حكم الديار المصرية، وضبط أمور البلاد بفضل سياسته الحكيمة، واتجه إلى توسيع نطاق ملكه فاستولى على كثير من المدن ومن ثم امتلك الديار الشامية، انظر: الذهبي، **العبر في خبر من غبر**، ج3، ص(223-224).

(4) السيوطي، **بغية**، ج1، ص218.

(5) ابن دحية الكلبي، **المطرب من أشعار أهل المغرب**، مقدمة المحقق، ص(هـ).

(6) قفط: مدينة بالديار المصرية، بينها وبين قوص أربعة اميال، وهي مدينة زراعية بعيدة عن النيل، انظر: الحميري، ص477.

فيها، ثم سافر إلى القاهرة وتعلم بمدراسها وأخذ عن شيوخها وعلمائها، ثم عـــاد إلـــى مســـقط رأسه[1].

وفي سنة 591هـ/1195م ارتحل مع أبيه إلى بيت المقدس وأقاما فيها فترة طويلة إلى أن رحلا إلى حلب[2]، وعندما تولى الملك العزيـــز(612-633هـــــ/1216-1236م)[3] حكـــم المدينة القى إلى القفطي زمام أموره واتخذه وزيراً له سنة 633هـ/1235م، ولما توفي العزيز واستلم من بعده ابنه الناصر(633-658هـ/1236-1260م)[4] استمر القفطي في تدبير الأمور وفياً بالعهد إلى أن توفي، ودفن بالمقام في حلب[5]، بعد أن ترك العديد من المصـــنفات منهـــا: كتاب الدر الثمين في أخبار المتيمين، وكتاب إصلاح خلل صحاح الجوهري[6].

وأما كتابه إنباه الرواة على أنباه النحاة فهو عبارة عن كتاب تراجم شامل لمشايخ علمي النحو واللغة ممن عمل فيهما تصنيفاً وتدريساً ورواية حتى عصر المؤلف في القـــرن الســـابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي، كما تضمن أيضاً تـــراجم كثيـــرة للقـــراء والفقهـــاء والأدبـــاء والمؤرخين ممن كان لهم مشاركة في اللغة أو معرفة بالنحو.

وقد أفاد هذا الكتاب معظم فصول البحث في التعرف إلى النحويين واللغويين، بالإضافة إلى علماء الفقه والقراءات والأدب.

---

(1) القفطي، **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، مقدمة المحقق، ص10؛ انظر أيضاً: الزركلي، ج5، ص33.

(2) القفطي، **إنباه**، مقدمة المحقق، (ص11-14).

(3) الملك العزيز: محمد بن الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي عهد له والده بالحكم قبل وفاته، وكان له من العمر أربع سنوات، وقد أدار أمور حكمه التركي شهاب الدين طغرل بك(ت. 455هـ/1063م)، وكان حسن السيرة عادلاً في الرعية، انظر: الذهبي، **العبر**، ج3، ص218؛ الذهبي، **تهذيب سير أعلام النبلاء**، ج3، ص278.

(4) الملك الناصر: صلاح الدين يوسف بن العزيز بن الظاهر بن صلاح الدين، ملك حلب بعد والده سنة 634هـ/1236م، حيث كانت تدير الحكم جدته حتى وفاتها وذلك عن طريق شمس الدين لؤلؤ(634-648هـ/1236-1250م)، ثم تولى الناصر الأمور بنفسه في سنة 648هـ/1250م بعد مقتل شمس الدين، واستقر له حكم الشام وحلب، وحاول السيطرة على مصر لكنه لم يتمكن من ذلك، وكان قد وصله التتار فتغلبوا عليه وملكوا حلب ثم دمشق، فهرب إلى أن قتله التتار سنة 658هـ/1260م، انظر: الذهبي، **العبر**، ج3، ص297؛ الذهبي، **تهذيب**، ج3، ص(278-279).

(5) القفطي، **إنباه**، مقدمة المحقق، ص(15-16)؛ انظر أيضاً: الزركلي، ج5، ص33.

(6) الكتبي، **فوات الوفيات**، ج3، ص(117-118)؛ ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج7، ص408.

الحلة السيراء، لمحمد بن عبد الله بن الأبار(ت. 658هــ/1260م)، وهو مؤرخ وشاعر أندلسي، ولد في مدينة إشبيلية[1]، وعمل في خدمة الدولة الموحدية(541-668هــــ/-1270-1146م)، وفي سنة 635هــ/1237م أوفده زيان بن مردنيش(ت. 637هــ/1240م)[2] إلى أبي زكريا الحفصي(625-642هــ/1228- 1249م)[3] سلطان تونس الذي عمل ابن الأبار فيما بعد في خدمته[4]، ورحل عن بلنسية لما احتلها النصارى الإسبان واستقر بتونس وعمل في خدمة أبي زكريا الحفصي، ولما مات خلفه ابنه أبو عبدالله محمد المستنصر(647-675هــــ/1249-1277م)[5]، فرفع من مكانة ابن الأبار[6]، ثم علم الأخير بعيب في السلطان فكتب أبيات هجاء فيه، ولما علم المستنصر بذلك أمر بقتله[7].

ومن أشهر مؤلفاته التكملة لكتاب الصلة، وكتاب تحفة القادم، وقد أحرقت معظم مصنفاته بعد مقتله[8].

وأما كتابه الحلة السيراء فسمي نسبة إلى الحلة ذات الخطوط من الحرير، وقد تكون هذه الخطوط صفراء تشبه الذهب[9]، ويتألف من جزأين، وهو يحتوي على الكثير من شعر الأمراء

---

(1) ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج1، مقدمة المحقق، ص7.

(2) زيان بن مردنيش: هو أبو الجميل، زيان بن مدافع بن يوسف بن مردنيش، أمير أندلسي، كانت له بلنسية ودانية، اخرجه النصارى الإسبان من بلنسية، فأحتل مرسية وقتل صاحبها عزيز بن خطاب(ت. 633هــ/1236م)، ولكن أهلها ثأروا عليه سنة 237هــ/1240م وقتلوه، وكتبوا بيعتهم إلى أبي زكريا الأول صاحب تونس، انظر: ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، ج4، ص(214-215).

(3) أبو زكريا الحفصي: ولد بمراكش سنة 599هــ/1203م، وهو مؤسس الدولة الحفصية، وبويع له بتونس سنة 625هــ/1228م بعد أن عمل على توسيع نفوذه في بلاد المغرب، وضرب العملة باسمه، كما أمر أن يخطب باسمه على كل منابر بلاده، واتخذ من مدينة تونس عاصمة له، انظر: ابن الشماع، **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، ص54، (57-59).

(4) المقري، ج2، ص590.

(5) أبو عبدالله محمد المستنصر: سلطان حفصي، بويع سنة 647هــ/1249م من قبل عمه أبي عبدالله محمد اللحياني، ويعتبر عهده العصر الذهبي للدولة الحفصية، واتخذ لقب الخلافة وبخاصةٍ بعد أن بايعه بنو مرين في فاس وأهل مكة، انظر: ابن الشماع، ص(62-63)،67.

(6) المقري، ج2، ص590؛ انظر ايضاً: الزركلي، ج6، ص233.

(7) المقري، ج2، ص(590-591).

(8) ابن الأبار، **الحلة**، ج1، مقدمة المحقق، ص14،7؛ المقري، ج2، ص(589-591).

(9) ابن الأبار، **الحلة**، ج1، مقدمة المحقق، ص52.

والوزراء والكتاب وأصحاب الجاه والعلماء من القرن الأول إلى منتصف القرن السابع الهجري، بالإضافة إلى مادة تاريخية تناول فيها العديد من أعلام بلاد المشرق من أهل القرن الأول ممن كان لهم نصيب في فتوح المغرب والأندلس.

وقد أفاد هذا الكتاب البحث بجزئه الأول في الفصل الثاني بشكل كبير في ضبط الأبيات الشعرية، أضف إلى هذا الاستفادة بما اتصف به أمراء بني أمية من علم باللغة العربية وآدابها ومهارتهم في الشعر، ومما يؤخذ على الكتاب إهماله الحديث عن بعض الشعراء الذين اشتهروا في الأندلس في الفترة التي تتعلق بالدراسة.

المغرب في حلى المغرب، لأبي الحسن، علي بن سعيد المغربي (ت. 685هـ/ 1286م)، مؤرخ أندلسي، ولد بقلعة يحصب قرب غرناطة[1]، وقام برحلة علمية طويلة إلى بلاد بلاد المغرب وأقام بتونس مدة، ثم جاب مدن المشرق فزار مصر والعراق وبلاد الشام، فلقي في رحلته هذه الكثير من علماء المشرق وأدبائه، ثم عاد إلى تونس وبقي فيها إلى أن توفي[2].

وألف ابن سعيد العديد من المصنفات منها مصنف الأدب الغض وريحانة الأدب، ونشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، والكثير من المؤلفات[3]، وأما كتاب المغرب في حلى المغرب فيتكون من جزأين، يحتويان معلومات جغرافية وتاريخية وأدبية عن كل كورة من كور الأندلس، وأفاد الكتاب الدراسة في الاطلاع على أعلام الشعر وما خلفوه من طرائف، وعن دور الأمراء الأمويين في التعليم، وكذلك أفاد في التعرف إلى علماء الفقه والحديث وعلوم القرآن.

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، لأبي عبد الله، محمد بن عذاري المراكشي (ت. 695هـ/1295م)، وهو مؤرخ يعود أصله إلى مراكش، ولم يبق من مؤلفاته سوى هذا

---

(1) غرناطة: مدينة تقع جنوبي الأندلس، وهي أقدم مدن كورة ألبيرة، يشقها من المنتصف نهر حداره، وبينها وبين ألبيرة أربعة فراسخ، انظر: الحموي، **معجم البلدان**، ج4، ص195.

(2) سركيس، يوسف، **معجم المطبوعات العربية والمعربة**، ص118؛ الزركلي، ج5، ص26.

(3) سركيس، ص 118؛ الزركلي، ج 5، ص26.

الكتاب[1]، الذي يحتوي في أجزائه الأربعة على معلومات تاريخية وسياسية وحضارية منذ فتح العرب لبلاد المغرب، ومن تولى عليها من أمراء، ويشير في الأجزاء الأخـرى إلـى دخـول المسلمين الأندلس وعهد الولاة، ثم يذكر استقلال الأمير عبد الرحمن الداخل بالأنـدلس وقيـام الدولة الاموية، تحدث عن اخبار الدولة المرابطية(427-541هـ/1036-1146م) إلى أن ينتهي في كتابه عند سقوطها على يد الموحدين سنة 541هـ/ 1146م.

أفاد الجزء الثاني من هذا الكتاب البحث بالمعلومات التاريخيـة والسياسـية والفكريـة والعلمية من بداية ذكر دخول الأمير عبد الرحمن الداخل الأندلس إلى إعلان الأمير عبد الرحمن الناصر(300-350هـ/ 913-961م) الخلافة الأموية في الأندلس سنة 316 هـ/928م.

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم مـن ذوي السلطان الأكبر، لأبي زيد، عبد الرحمن بن خلدون(ت. 808هـ/1406م)، ويعود أصـل أجداده إلى حضرموت في اليمن، وقد دخلت أسرته إلى الأندلس مع أوائل الفاتحين المسـلمين، واستقرت في مدينة إشبيلية، ثم هاجرت إلى المغرب بعد نكبات الأندلس وسكنت تونس، وفيهـا وُلد ابن خلدون سنة 732هـ/1332م ونشأ في بيئة علمية، حيث كان والده عالماً بالفقه وعلـوم اللغة العربية، فأخذ ابن خلدون العلم عنه، ومن ثم قرأ على يد عدد من العلماء الوافـدين إلـى تونس من المغاربة وأهل الأندلس، وتولى خلال حياته العديد من المناصب السياسية والدينية في بلاد المغرب والأندلس ومصر[2].

وأما كتابه العبر فيتكون من ثمانية أجزاء، الجزء الأول منه هو المقدمة الشهيرة التـي اشتملت على معلومات تاريخية وسياسية وحضارية مهمة، وتضمنت نظريتـه فـي العمـران البشري، وأما باقي الأجزاء فتناول فيها أخبار العرب وأجيالهم ودولهم ومن عاصرهم من الدول والمشاهير منذ بدء الخليقة إلى عصره، ثم أخبار البربر وأجيالهم، ومن كـان بـديار المغـرب خاصة والمشرق عامة من الملك والدول.

---

(1) البغدادي، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، ج6، ص138؛ انظر أيضاً: سركيس، ص172؛ عبد الله، يسري، **معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري**، ص121.

(2) ابن خلدون، **تاريخ**، ج1، مقدمة المحقق، ص3؛ ابن خلدون، **شفاء السائل لتهذيب المسائل**، مقدمة المحقق، ص24، انظر أيضاً: يسري، ص74.

وقد أفاد الجزء الأول، وهو المقدمة الفصل الأول من البحث في الحديث عن العلم والتعليم، كما احتوى على معلومات علمية وفكرية أخرى أفادت باقي الفصول، وأما الجزء الرابع فأفاد البحث في المعلومات التاريخية والسياسية الأندلسية من الفتح إلى نهاية عصر الإمارة الأموية.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب، لأبي العباس، أحمد المقرَّي التلمساني(ت. 1041هـ/1632م)، وهو مؤرخ يُنْسَب إلى بلدة تدُعى مَقَّرةَ [1] في بلاد المغرب الأوسط، رغم أنه كان قد وُلد ونشأ في تلمسان[2] واتجه نحو تلقي العلم منذ نعومة أظافره فأخذ العلم عن شيوخ عصره وانتقل إلى فاس[3] في بلاد المغرب الأقصى، وعمل فيها خطيباً وقاضياً[4]، ومن ثم انتقل إلى القاهرة وتنقل في الديار المصرية والشامية والحجازية، إلى أن توفي بمصر ودفن فيها[5]، ومن مؤلفاته: روضة الأنس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من علماء مراكش وفاس، وأزهار الرياض في أخبار القاضي عياض[6].

وأما كتاب نفح الطيب فمكوَّن من ثمانية أجزاء، تحتوي فقرات واقتباسات عديدة في الأدب والشعر والتاريخ استمدها من كتب مفقودة، ويعود سبب أهمية هذا الكتاب إذ أنه يعتبر من المصادر الأصلية للأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى أيامها الأخيرة.

ويتناول الكتاب في الأجزاء الأولى جغرافية الأندلس وتاريخها وآدابها منذ الفتح، والدول التي تعاقبت على حكمها، وأهم علمائها ومن طرأ عليها من أهل المشرق، وأما الأجزاء الأخيرة

---

[1] مقَّرة: مدينة بينها وبين المسيلة من بلاد الزاب مرحلة، وبين مقَّرة وطينة مرحلة، وهي مدينة زراعية، انظر: الحميري، ص556.

[2] تلمسان: قاعدة بلاد المغرب الأوسط، بينها وبين وهران مرحلتان، انظر: الحميري، ص135.

[3] فاس: مدينة تقع في الشمال الغربي من بلاد المغرب الاقصى، وتنقسم مدينة فاس إلى قسمين، انظر: الحموي، **معجم البلدان**، ج4، ص230؛ الحميري، ص434.

[4] المحبي، **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، ج1، ص303؛ انظر أيضاً: الزركلي، ج1، ص237.

[5] المحبي، ج1، ص304.

[6] الزركلي، ج1، ص237.

فاشتملت على ترجمة للوزير لسان الدين الخطيب (ت. 776هـ/1374م)[1] واحتوى على نماذج من آثاره في الشعر والنثر وذكر مصنفاته.

وأفاد هذا الكتاب بأجزائه الأربعة الأولى البحث في التعرف إلى رجال العلم في الأندلس ممن رحلوا إلى المشرق، ومن قدم من أهل المشرق إلى الأندلس، زد على هذا التعـرف إلـى الشخصيات العلمية والأدبية، وبما اتَّصف به الأندلسيون من صفات علمية، وكذلك في الحـديث عن الحياة السياسية والتاريخية في بداية هذه الدراسة.

---

(1) لسان الدين بن الخطيب: هو أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن سعيد السلماني، وهو قرطبي الأصل، ولد في لوشة سنة 713هـ/1313م وترعرع فيها، نشأ في بيئة علمية، حيث قرأ الفقه والتفسير وعلوم اللغة العربية على يد عدد من شيوخ عصره المشهورين، كما درس أيضاً الطب والفلسفة، عمل في العديد من المناصب السياسية في دولة بني الأحمر في غرناطة، وله العديد من المؤلفات التاريخية منها، الإحاطة في أخبار غرناطة، واللمحة البدرية في الدولة النصرية، انظر: المقري، ج5، ص(75-76).

تمهيد

الأوضاع السياسية الداخلية في الأندلس حتى نهاية عصر الإمارة

عندما أطمأن موسى بن نصير(ت. 97هـ/716م) على قدرة المسلمين فتح الأندلس وذلك بعد أن ثبتت أقدامهم في بلاد المغرب؛ أرسل إلى الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك(86-96هـ/705-715م) يخبره ويستأذنه بفتحها، فكتب إليه الخليفة أن يرسل السرايا أولاً ليكتشف أمرها ولا يوقع جيش المسلمين في التهلكة[1].

فأرسل موسى حملة استطلاعية بقيادة أبي زرعة طريف بن مالك المعافري سنة 91هـ/709م فنزل في المكان الذي عرف باسمه، وتمكن من التعرف إلى طبيعة المناطق الجنوبية وأفضل أماكن الرسو والنزول [2].

وشجع النجاح الذي حققه طريف القيادة الإسلامية على الاستمرار، فأصدر موسى تعليماته إلى طارق بن زياد(ت. 101هـ/719م) بالتحضير للقيام بحملة تحت قيادته، فسارع إلى بناء وتجهيز السفن اللازمة للحملة، وبعد اكتمال التجهيزات أبحر سنة 92هـ/711م وأرسى بمحاذاة جبل جنوبي بلاد الأندلس فسمّي باسمه[3] ثم قضى على مقاومة القوط في حصن قرطاجنة جنوب شرق الأندلس، وبدأ ببسط سلطانه على الأماكن المجاورة لجبل طارق وبخاصة منطقتي الجزيرة الخضراء[4] وطريف[5].

---

[1] ابن عذارى، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج2، ص5؛ انظر أيضاً: زيتون، محمد، **المسلمون في المغرب والأندلس**، ص(157-158).

[2] ابن عذارى، ج2، ص5؛ المقري، ج1، ص(29-230)؛ انظر أيضاً: مؤنس، حسين، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، ص269.

[3] ابن عذارى، ج2، ص5؛ المقري، ج1، ص(29-230).

[4] الجزيرة الخضراء: تقع جنوب غرب الأندلس، بينها وبين قلشانة أربعة وستون ميلاً، وهي مشرفة على البحر، بينها وبين قرطبة خمسة وخمسون فرسخاً، انظر: الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ص539؛ الحموي، **معجم البلدان**، ج2، ص136؛ الحميري، ص223.

[5] ابن عذارى، ج2، ص6؛ أنظر أيضاً: زيتون، ص159.

وعلم ملك القوط لوذريق Ruderic (710-711م)[1] بأخبار طارق في جنوب الــبلاد، وكان حينها مشغولاً بإخماد الثورات التي قامت ضده في الشمال، فهرع على رأس جيشه ومعه الأمراء والأشراف والأساقفة، وتوجه بهم جنوباً للقاء المسلمين، وعندما علم طارق بذلك؛ استعد للمواجهة واشتبك مع القوط في معركة كبيرة سميت بوادي لكة أو وادي بكة سنة92هــ/711م، نسبة لأحد الأنهار الواقعة شمالي الجزيرة الخضراء،واستمرت المعركة ثمانية أيام، وتمخضت عن هزيمة القوط ومقتل الملك لوذريق في وقت لاحق[2].

وبعد هذا النصر أخذ طارق بالتقدم باتجاه مدينة شذونة[3] وتمكن من فتحها عنــوة، ثــم تقدم بعد ذلك إلى قرمونة[4] ومنها إلى مدينة إشبيلية التي اتفق مع أهلها على دفع الجزية مقابــل حمايتهم[5].

وكان هدف طارق التقدم نحو إستجة[6] معقل القوط الأول، والتي احتشد فيها جيشهم بعد بعد هزيمتهم في معركة وادي لكة، فاشتبك طارق معهم في قتال عنيف، وأصيب كلا الطــرفين بخسائر فادحة، فتراجع القوط وتحصنوا في المدينة، ثم أطبق طارق الحصار عليها مــن كــل جانب حتى طلب أهلها الصلح، فوافق المسلمون ودخلوها فاتحين[7].

ومن ثم حرص طارق على فتح قرطبة فأرسل مغيث الرومي(ت. 118هـــــ/736م)[8] مع عدد من الفرسان إلى قرطبة، فتمكن من الاستيلاء عليها بعد قتال دام ثلاثة أشــهر، وكــان

---

(1) لوذريق: آخر ملوك القوط الغربيين في شبه الجزيرة الإيبرية، ولم يكن في الأصل من العائلة الملكية، وإنما كان من عمال المملكة بقرطبة، ثم انتزع الحكم من الملك غيطشة، انظر: ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج4، ص266؛ ابن عذارى، ج2، ص3؛ المقري، ج1، ص139.

(2) ابن عذارى، ج2، ص(8-9)؛ انظر ايضاً: مؤنس، **معالم**، ص(269-270).

(3) شذونة: مدينة تقع جنوب الأندلس تتصل نواحيها بنواحي مورور، ومن كور شذونة شريش وغيرها، انظر: الحموي، **معجم البلدان**، ج3، ص329.

(4) قرمونة: مدينة تقع جنوب الأندلس، إلى الشرق من مدينة إشبيلية، بينها وبين إستجة خمسة وأربعون ميلاً، انظر: الحميري، ص461.

(5) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص35؛ ابن عذارى، ج2، ص8؛ انظر أيضاً: سالم، السيد، **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس**، ص20.

(6) إستجة: مدينة تقع بمقاطعة إشبيلية جنوبي الأندلس، وهي مدينة قديمة لها عدة أبواب منها باب القنطرة وباب أشبونه، وكانت استجة واسعة الأرباض وذات أسواق عامرة، انظر: الحميري، ص53.

(7) ابن القوطية، ص35؛ انظر أيضاً: سالم، **قرطبة**، ص(20-21).

(8) مغيث الرومي: بن الحارث بن الحويرث بن جبلة بن الأيهم الغساني، سبيٌ من الروم وهو في المشرق، فأدبه عبد الملك بن مروان مع ولده الوليد، انظر: المقري، ج3، ص12.

حاكمها قد هرب للاعتصام بجبلها ليلحق به أصحابه فيما بعد، إلا أن مغيثاً كان قد حفر له خندقاً، فسقط الملك فيه، وقام مغيث بأسره[1].

وأما مدينة مالقة[2] فقد بعث إليها طارق جيشاً من إستجة ففتحها، وكان قد لجأ حكامها إلى جبال رية[3] فتحصنوا فيها، وتمكن كذلك جيش طارق من فتح غرناطة بعد حصار قصير، ومن ثم توجه الجيش الإسلامي نحو مرسية[4]، وتمكن من هزيمة القوط، فعقد طارق مع أهلها صلحاً ودخلها[5]، وفي الوقت نفسه سار طارق بجيشه إلى مدينة طليطلة[6] فوجد حاكمها قد فر مع أصحابه إلى مدينة المائدة[7]، فاستولى طارق على المدينة وترك بها بعضاً من رجاله، ومن ثم عاد إلى طليطلة واستقر فيها، ومن هناك كتب إلى موسى بن نصير يبلغه بهذه الإنجازات[8].

كان للانتصارات في الاندلس ردة فعل عظيمة لدى سكان بلاد المغرب البربر، فتوجهوا إلى الأندلس من كل صوب وبدأوا في الاستقرار بأراضيها[9].

ونتيجة لذلك قرر موسى بن نصير أن يزحف بجيش كبير ليتم عمل طارق بن زياد، فوصل إلى الأندلس سنة 93هـ/712م، وكان معظم جيشه من القبائل اليمنية والعربية التي

(1) ابن عذارى، ج2، ص(9-10)؛ انظر أيضاً: مؤنس، **معالم**، ص(270-271).

(2) مالقة: مدينة تقع جنوبي لأندلس، تطل على البحر المتوسط، وتقع بين الجزيرة الخضراء والمرية، انظر: الحموي، ج5، ص43؛ الحميري، ص(517-518).

(3) رية: كورة من كور الأندلس، تقع جنوب قرطبة، نزلها جند الأردن، وفيها الكثير من الخيرات، انظر: الحميري، ص (279-280).

(4) مرسية: مدينة تقع جنوبي شرق الأندلس، تطل على البحر المتوسط، اختطها الأمير عبد الرحمن الأوسط، وسماها تدمير نسبة لتدمر الشام، انظر: أبو الفداء، ص179؛ الحموي، **معجم البلدان**، ج5، ص107.

(5) ابن عذارى، ج2، ص11.

(6) طليطلة: مدينة تقع على ضفة النهر الكبير، بينها وبين وادي الحجارة خمسة وخمسون ميلاً، وكانت عاصمة القوط ومركزاً لجميع بلاد الأندلس، بينها وبين قرطبة تسع مراحل، وفيها قنطرة قيل إنها من عجائب البنيان، انظر: الحميري، ص393.

(7) المائدة: حصن من الحصون في أحواز مدينة طليطلة، ويقال أنها سميت بالمائدة نسبة لعثور طارق بن زياد فيها على مائدة النبي سليمان عليه السلام، انظر: الحميري، ص530.

(8) ابن عذارى، ج2، ص12.

(9) نفسه.

استقرت في شمال إفريقيا، وبشكل خاص بالقيروان[1]، وكان على رأس هذه الحملة أيضاً محمد بن أوس الأنصاري[2] وحنش الصنعاني (ت. 100هـ/718م)[3]، والعديد من أبناء موسى باستثناء ولده عبد الله الذي بقي في القيروان ليتولى مسؤولية ولاية بلاد المغرب[4].

فنزل موسى في الجزيرة الخضراء، وبدأ بالاستيلاء على شذونة وحصونها، وتقدم نحو مدينة إشبيلية وحاصرها حتى تم تسليمها بعد فترة قصيرة، ثم أخذ بالتوجه نحو ماردة[5] وكان قد اعتصم بها عدد كبير من جيش لذريق المنهزم وحاصرها حتى استسلم أهلها له[6].

ومن ثم سار ومن معه نحو مدينة طليطلة، وعندما علم طارق بمجيء موسى خرج لملاقاته، ويقال إن موسى وبَّخ طارقاً بن زياد، لأسباب اختلفت الروايات التاريخية عليها[7].

وتقدّم القائدان بالفتوحات أنطلاقاً من مدينة طليطلة نحو مدينة سرقسطة[8] وما يجاورها واستمرا بالتقدم حتى تمكنا من فتح عدد كبير من المدن الأندلسية، كما فتحا بلاد البشكنس[9]، وقاما بغزو بلاد الفرنجة[10].

---

[1] القيروان: مدينة جنوبي تونس، كانت قاعدة البلاد الإسلامية في بلاد المغرب، وعُدَّت من أعظم مدن المغرب وأكثرها بشراً وأوسعها مالاً وأربحها تجارة وأكثرها جباية، افتتحت زمن معاوية بن أبي سفيان على يد عقبة بن نافع الفهري سنة 50هـ/670م، انظر: الحميري، ص(486– 487).

[2] محمد بن أوس الأنصاري: تابعي دخل الأندلس، وروى عن أبي هريرة(ت. 59هـ/678م)، وروى عنه الحارث بن يزيد، وكان قد غزا المغرب والأندلس مع موسى بن نصير، وعُدَّ من أهل الفضل في الدين، انظر: المقري، ج3، ص58.

[3] حنش بن عبدالله الصنعاني: من بلاد الشام، وقيل إنه كان مع علي بن أبي طالب(ت. 40هـ/661م)، وغزا المغرب مع رويفع بن ثابت(ت. 56هـ/676م)، كما غزا الأندلس مع موسى ين نصير، وكان أول من ولي عشور أفريقية في الإسلام، ويعود له الفضل في هندسة العديد من المساجد في المغرب والأندلس، انظر: المقري، ج3، ص7.

[4] ابن عذارى، ج2، ص12.

[5] ماردة: مدينة تقع غرب الأندلس، في سهول بطليوس، وكانت مدينة كثيرة الملوك، وقيل إنها سميت ماردة لأنها مسكن للأشراف، انظر: الحموي، **معجم البلدان**، ج5، ص(38–39)؛ الحميري، ص518.

[6] ابن عذارى، ج2، ص(13–14)؛ انظر أيضاً: زيتون، ص167.

[7] ابن عذارى، ج2، ص16.

[8] سرقسطة: تقع شمال شرق الأندلس، مبنية على نهر إيبرو، وتتصل أعمالها بتطيلة، انظر: الحموي، **معجم البلدان**، ج3، ص213؛ الحميري، ص317.

[9] البشكنس: يعد شعب الباسك أو البشكنس من أقدم الأقوام البشرية التي قدمت إلى أوروبا من "مناطق الحوض الشرقي" للبحر المتوسط أو البحر الأسود، واستقروا في شمال الأندلس، وعاشوا طويلاً قبل أن تستقر بجوارهم شعوب أخرى وعلى رأسها القوط الغربيين، انظر: إبراهيم، إسماعيل، **تاريخ الأندلس من الفتح حتى السقوط**، ص38.

[10] ابن عذارى،ج2،ص16؛ انظر أيضاً: مؤنس، **معالم**، ص(272–273).

وفي الوقت نفسه أرسل الخليفة الوليد بن عبد الملك إلى موسى يطلب إليه العـودة إلـى دمشق، وقبل أن يعود موسى إلى المشرق سنة 95هـ/713م؛ قام بتنظيم شـؤون الحكـم فـي الأندلس، فعين ابنه عبد العزيز(95-97هـ/713-715م) والياً عليها، وجعل إشبيلية عاصمة لها، وعينَّ ابنه عبد الله على إفريقية[1].

ونشط عبد العزيز في تحصين الثغور وقمع الثورات والعصيان، كما افتتح الكثير مـن الحصون[2]، فأسهم ذلك في تثبيت أقدام المسلمين في الأندلس[3]، إلا أنه قتل بأمرٍ مـن الخليفـة سليمان بن عبد الملك(96-99 هـ/715-717 م)[4].

وتولى بعد مقتل عبد العزيز أيوب بن حبيب اللخمي سنة 97هـ/715م، حكم البلاد ستة أشهر، وإليه ينسب بناء قلعة أيوب جنوب سرقسطة شمال الأندلس[5]، وفي عهده تم نقل قاعـدة الحكم من إشبيلية إلى قرطبة، ثم أقاله محمد بن يزيد(97-99هـ/715-717م)[6] الذي خلـف عبدالله بن موسى في ولاية إفريقية[7]، وخلفَه الحرّ بـن عبـد الـرحمن الثقفـي الـذي عينـه والي إفريقية، فحضر الأندلس وبرفقته أربعمائة من وجوه الولاية[8]، وقام بمطـاردة الخـوارج وإصلاح الجيش، وقاد جيشاً ضخماً للسيطرة على المدن والحصون الشمالية التي وقعت تحـت سيطرة النصارى[9]، ودام حكمه ثلاث سنوات إلى أن عزله الخليفة عمـر بـن عبـد العزيـز (99-101هـ/717-719م) وعين مكانه الوالي السمح بن مالك الخولاني (ت.102هـ/721م)، وقام هذا الوالي بعدة اصلاحات عمرانية وإدارية منها إعادة بناء سور قرطبة وقنطرتهـا التـي

---

[1] ابن عذارى،ج2،ص20؛ انظر أيضاً: السيد، **قرطبة**، ص29.

[2] الحميدي، ص418؛ انظر أيضاً: عنان، محمد، **دولة الإسلام في الأندلس**، ج1، ص(71-72).

[3] ابن عذارى، ج2، ص23؛ انظر أيضاً: السامرائي، خليل؛ ذنون طه، عبد الواحد؛ مطلوب، ناطق، **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، ص44؛ السيد، **قرطبة**، ص30.

[4] ابن الأثير، ج4، ص300؛ انظر أيضاً: العبادي، أحمد، **في تاريخ المغرب والأندلس**، ص82.

[5] المقري، ج3، ص14؛ انظر أيضاً: السامرائي، ص47؛ مؤنس، **معالم**، ص278.

[6] محمد بن يزيد: ولاه الخليفة سليمان بن عبد الملك على إفريقية سنة97هـ/715م، وكان يبعث السرايا إلى الثغور، عزله الخليفة عمر بن عبد العزيز وولى بدلاً منه إسماعيل بن أبي المهاجر(ت. 132هـ/750م) مولى بني مخزوم، انظر: ابن عذارى، ج1، ص(47-48).

[7] الحميدي، ص241؛ انظر أيضاً: سالم، **قرطبة**، ص31؛ عنان، ج1، ص73.

[8] ابن عذارى، ج2، ص(25-26)؛ المقري، ج3، ص(14-15)؛ انظر ايضاً: زيتون، ص(196-197).

[9] الحميدي، ص342؛ انظر أيضاً: العبادي، ص82؛ عنان، ج1، ص(73-74).

ترتبط بأراضيها الجنوبية عبر نهر الوادي الكبير[1]، كما أصلح الإدارة والجيش، وخمَّس أراضي الأندلس التي فُتحت عُنوة[2]، إلا انه قتل في بلاد الفرنجة غازياً سنة 103هـ/722م[3].

103هـ/722م[3].

وبعد وفاة السمح بن مالك عُيِّنَ الهيثمُ بن عبيد الكلابي والياً على بلاد الأندلس من قبل عبيدة السلمي(110-114هـ/728-732م)[4] والي إفريقية، فقدم إليها سنه111هـ/729م[5]، وكان من أشد الولاة تعصباً للشاميين[6] فعُزِل وتمَّ تعيين عبد الرحمن الغافقي(ت. 114هـ/732م) بدلاً منه، وكان عبد الرحمن من كبار جند الأندلس، ومن أولئك الذين قضوا معظم أيامهم في الجهاد في بلاد الفرنجة، وقد سبق أن تولى حكم الأندلس سنة 102هـ/721م، فلما عادت إليه الولاية للمرة الثانية لم يكن له همٌّ إلا جمع القوات وإعداد العدة للجهاد، وقد استشهد في معركة بلاط الشهداء سنة 114هـ/741م[7].

وعقب ذلك أقام عرب الأندلس على أنفسهم واحداً منهم وهو عبد الملك بن قطن الفهري(ت. 124هـ/742م)[8] الذي تولى حكم الأندلس مرتين، وفي عهده اندلعت ثورة البربر على العرب في الأندلس[9]، وكان صارماً كثير البطش سخط عليه الزعماء والقادة، ودب

---

[1] ابن عذارى، ج2، ص26؛ انظر أيضاً: سالم، **قرطبة**، ص33.

[2] ابن عذارى، ج2، ص26.

[3] نفسه.

[4] عبيدة السلمي: ولاّه هشام بن عبد الملك على المغرب بعد بشر بن صفوان الكلبي، ودخل القيروان سنة 110هـ/728م، وسير أمور المغرب والأندلس معاً، ثم عزله هشام سنة 114هـ/732م بعد تلقي شكوى وردت إليه، فقدم الشام، وتوفي في نفس السنة، وخلفه على بلاد المغرب والأندلس عبيد الله بن الحبحاب، انظر: ابن عذارى، ج1، ص(50-51).

[5] ابن عذارى، ج2، ص28؛ انظر أيضاً: عنان، ج1، ص83.

[6] ابن عذارى، ج2، ص28.

[7] معركة بلاط الشهداء: أو معركة بواتيه، معركة حدثت سنة 114هـ/732م بين المسلمين بقيادة والي الأندلس عبد الرحمن الغافقي من جهة وقوات الفرنجة بقيادة شارل مارتل Charles Martel (718-741م) من جهة أخرى، وانتهت بانتصار قوات الفرنجة، وانسحاب جيش المسلمين بعد مقتل عبد الرحمن الغافقي، انظر: الحميدي، ص395؛ المقري، ج1، ص235.

[8] ابن عذارى، ج2، ص28؛ المقري، ج3، ص15؛ انظر أيضاً: نعنعي، عبد المجيد، **تاريخ الدولة الأموية في الأندلس**، ص878.

[9] ابن عذارى، ج2، ص30؛ انظر أيضاً: الشطشاط، علي، **تاريخ الإسلام في الأندلس: من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة**، ص76.

الخلاف بين القبائل، وبدأت الفتنة وعزل عنها سنة 116هـ/733م، وعاد مرة أخرى وتولى الأندلس[1]، في ظل عهد جديد من الاضطرابات، وهي الاضطرابات التي حصلت بين القيسية واليمنية بعد أن كانت بين العرب والبربر[2].

وجاء من بعده عبد الملك بلج بن بشر القشيري(ت. 124هـ/742م) الذي كان والياً على طنجة وما والاها، خرج عليه جماعة من خوارج البربر هناك، ففر هارباً إلى الأندلس مع جماعة من أصحابه، فلما وصل إليها ادعى ولايتها وشهد له جماعة من أصحابه، وكان الأمير في ذلك الوقت على الأندلس عبدالملك بن قطن، فوقع الخلاف بينهما إلى أن ظفر بلج بقطن فسجنه ثم قتله[3]، إلا أن أهل الأندلس أنكروا رئاسة بلج ومن معه وقاموا عليه وقتلوه[4].

وفي هذه الظروف العصيبة تولى أمر الأندلس ثعلبة بن سلامة العاملي(ت. 132هـ/749م)، وفي عهده اشتدت الحرب بين البلديين من عرب وبربر في جانب والشاميين في الجانب الأخر[5]، وعلى الرغم مما فعله بالثائرين من البربر والبلديين فإنه استطاع ضبط أمور البلاد[6].

إلا أن النزاعات استمرت بين المسلمين، ونتيجة لذلك وفد بعض أهل الأندلس إلى والي إفريقية حنظلة بن صفوان الكلبي(ت. 130هـ/747م)[7] وطلبوا منه أن يقوم بتعيين والٍ جديد عليهم، ففعل وعين أبا الخطار حسام الكلبي(ت. 128هـ/745م)، وكان من اشراف قبيلته، وقد حضر القتال في أيام فتوح المسلمين إفريقية[8] وقد اجتهد أبو الخطار في إبعاد أذى هذه

---

(1) الحميدي، ص413؛ انظر أيضاً: عنان، ج1، ص113.

(2) ابن عذارى، ج2، ص30.

(3) الحميدي، ص256؛ انظر أيضاً: السيد، **قرطبة**، ص(37-38).

(4) ابن الأثير، ج4، ص464؛ ابن عذارى، ج2، ص31؛ المقري، ج3، ص20.

(5) ابن عذارى، ج2، ص32؛ المقري، ج3، ص22.

(6) ابن عذارى، ج2، ص33؛ انظر أيضاً: زيتون، ص(222-223).

(7) حنظلة بن صفوان الكلبي: تولى إفريقية من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك، بعد مقتل كلثوم بن عياض، وقد قام بالقضاء على الخوارج الصفرية في القيروان، ووصل الأندلس سنة 124هـ/742م، انظر: ابن عذارى، ج1، ص58.

(8) الحميدي، ص292.

المنازعات القبلية عن أهل البلاد، إلا أنه لم يستطع الاستمرار في هذه السياسة الحكيمة، فمـال موقفه إلى صالح اليمنية وثار النزاع من جديد[1].

وفي السنوات العشر الأخيرة من عهد الولاة في الأندلس تولى يوسف الفهري(ت. 139 هـ/756م)، وكان ذلك باتفاق بينه وبين الصميل بن حاتم(ت. 142هـ/759م)[2] وكان الأخير شامياً إلا أنه رأى أن الشاميين وحدهم لا يصلحون للحكم وقيادة الحرب، وأن أمر الأندلس لا يصلح إلا اذا تعاون الشاميون والبلديون معاً، فبدأ أولاً بجمع الشاميين إلى لواء واحد وهو لواؤه، ثم اختار زعيماً يؤيده ويسير الأمور باسمه في المعسكر الآخر أي البلديين، فوجد يوسف بن عبد الرحمن الفهري الذي اجمع البلديون على رئاسته، وكان الشاميون- أيضاً- مستعدين للخضوع له بسبب مضريتهم[3].

وأخيراً تم الاتفاق بين الرجلين على أن تكون الإمارة ليوسف الفهري ويكون الصميل مستشاره وصاحب رأيه، واستقر الأمر سنة 129هـ/746م بعد حروب طويلة مع زعيم يسمى يحيى بن حريث(ت. 130هـ/747م) شديد العصبية لليمنية، مما جعله غير قادر على احتمال أهل الشام، ولكنه انهزم وقتل في معركة شقندة سنة 130هـ/747م[4].

وفي سنة 132هـ/749م سقطت الدولة الأموية في الشرق على يد العباسيين، الذين تمكنوا من القضاء على آخر خليفة أموي وهو مروان بن محمد(127-132هـ/744-749م)[5]، 749م)[5]، وقام العباسيون بملاحقة الأمويين، ونتيجة لذلك فر الأمير الأموي عبد الرحمن بن معاوية بن هشام (الداخل) إلى بلاد المغرب قاصداً أخواله ليحتمي بهم، وكان قد بلغه أخبار الأندلس وما بها من فتنه بين القبائل المضرية واليمانية، فأرسل مولاه بدراً عام 136هـ/753م

---

[1] ابن الأثير، ج4، ص473؛ المقري، ج3، ص22.

[2] الصميل بن حاتم: أبو جوشن، الصميل بن حاتم بن شمر، كان جده من أشراف عرب الكوفة، وهو أحد قتلة الحسين بن علي بن أبي طالب(ت. 61هـ/680م)، هرب إلى الشام بعد قيام المختار بقتل جماعة من قتلة الحسين، وكان الصميل شجاعاً دخل في طاعة بلج بن بشر في الأندلس، كما إنه أظهر التعصب للمضرية بالأندلس عندما أظهر حسام بن ضرار الكلبي التعصب لليمانية، انظر: ابن الأبار، **الحلة**، ج1، ص(67-68).

[3] ابن الأثير، ج5، ص40؛ ابن عذارى، ج2، ص(35-36)؛ المقري، ج3، ص(25-26)؛ انظر أيضاً: مؤنس، **معالم**، ص284.

[4] ابن عذارى، ج2، ص(35-36)؛ انظر أيضاً: عنان، ج1، ص131.

[5] ابن عذارى، ج2، ص(38-39).

ليدعو له بالأندلس، فنجح في هذه المهمة، وجمع جيشاً يساند الداخل فعبر إلى ميناء المنَّكب سنة 138هـ/755م[1]، وفي هذا الوقت كان يوسف الفهري يقوم بإخماد تمردٍ على سلطته في مدينة سرقسطة[2].

بعد وصول عبد الرحمن الداخل إلى ثغر المنكب، ذهب إلى حصن من الحصون الــذي تجمع فيه أنصاره، وحاول عامل يوسف الفهري على كورة إلبيرة[3] تفريق أنصار عبد الرحمن الداخل إلا أنه لم ينجح، وفي الوقت نفسه حاول الداخل مهاجمة يوسف الفهري بقرطبــة، إلا أن يوسف أدرك الداخل على بعد خمسة وأربعين ميلاً من قرطبة، حتى نزل يوسف بالقرب من نهر عند المصارة سنة 138هـ/755م[4]، فعبر جيش عبد الرحمن الداخل وبدأت المعركة فانتهــت بانتصار الداخل ودخوله قرطبة والصلاة في مسجدها الجامع، وهناك بايعه أهلها على الطاعة[5].

الطاعة[5].

وبعد هذه الهزيمة في معركة المصارة توجه الصميل بن حاتم إلى جيان[6] حيث جمــع أنصاره، كما توجه يوسف إلى طليطلة وحشد فيها ما استطاع من أنصار، ثم اجتمع الفريقان في إلبيرة، وكانت خطتهما أن يعملا على استدراج عبد الرحمن الداخل من قرطبة لقتاله في جيان، ثم يذهب أنصار يوسف الفهري لاحتلال قصر الإمارة في قرطبة، وعندما علم الداخل بنــزول يوسف والصميل في إلبيرة قام بجمع جنده وتوجه إليهما سنة 139هـ/756م، فاتجه الفهري إلى قرطبة، وتمكن من السيطرة على قصر الإمارة، إلا أن الداخل علم بالمؤامرة فعاد مسرعاً بجنده إلى قرطبة وتمكن من استعادتها[7].

---

(1) ابن عذارى، ج2، ص44؛ انظر أيضاً: العبادي، ص91.

(2) ابن عذارى، ج2، ص44.

(3) إلبيرة: مدينة تقع جنوبي الأندلس، بالقرب من غرناطة، على نهر شنيل، وتتصل بأراضي كورة قبرة، بينها وبين قرطبة تسعون ميلاً، انظر: الحموي، **معجم البلدان**، ج1، ص244.

(4) ابن عذارى،ج2، ص(46-47)؛ انظر أيضاً: السيد، **قرطبة**، ص45.

(5) ابن عذارى، ج2، ص47؛ انظر أيضاً: العبادي، ص(92-93).

(6) جيان: مدينة جنوبي الأندلس، إلى الشرق من قرطبة، بينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخاً، وهي تقع بين غرناطة ومرسية، انظر: الإدريسي، ص(568-569)؛ الحموي، **معجم البلدان**، ج2، ص195؛ أبو الفداء، ص(176-177).

(7) ابن عذارى، ج2، ص(48-49)؛ المقري، ج3، ص(34-35).

وتصالح الداخل مع الفهري والصميل إلا أنهما ما لبثا أن عادا إلى الثورة على الأمير، ولكن الأخير تمكن من القضاء على ثورتيهما وقتل الفهري في طليطلة وأسر الصميل، وبعث إليه من يخنقه في سجنه، مما مكنه من القضاء على أولى العقبات التي وقفت في وجه استقرار إمارته وحكمه في بلاد الأندلس[1].

لم تستقر الأمور للأمير عبد الرحمن الداخل بعد القضاء على الفهري والصميل، وإنما قامت خلال عهده ثورات متعددة، ومن أهم هذه الفتن؛ تلك التي قامت في إشبيلية والتي قام بها رزق بن النعمان الغساني(ت. 143هـ/760م) إلا أن الأمير تمكن من القضاء على ثورته وأسره، وتشتيت أنصاره[2]، بالإضافة إلى ثورة شقيا البربري(ت. 160هـ/776م)[3] الذي دعا إلى إقامة دولة شيعية فاطمية في الأندلس[4].

وكانت فتن أخرى قد ظهرت في البلاد، ومنها ثورة العلاء بن مغيث اليحصبي، وثورة عبد الرحمن بن حبيب الفهري، اللتان قامتا بتشجيع من العباسيين، وثورة الحليفين الحسين بن يحيى الأنصاري(ت. 165هـ/781م) وسليمان بن يقظان الأعرابي(ت. 163هـ/779م) اللذين اتصلا بشارلمانCharlemagne (768-800م)[5] ملك الفرنجة وطلبا مساعدته ضد حكومة قرطبة، وكان شارلمان يرغب في مد سيطرته إلى بلاد الأندلس، فغزاها بجيشه ولكنه فشل في تحقيق أهدافه[6].

ومن الثورات الأخرى التي قامت ضد الأمير عبد الرحمن الداخل ثورة أبي الصباح يحيى اليحصبي (ت. 150هـ/767م) الذي وقف إلى جانب الفهريين في معركة المصارة، وقد

---

[1] ابن عذارى، ج2، ص(48-49)؛ المقري، ج3، ص(34-35)؛ انظر أيضاً: الفقي، عصام الدين، **تاريخ المغرب والأندلس**، ص(61-63).

[2] مجهول، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب والواقعة بها بينهم**، ص92.

[3] شقيا البربري: هو سفيان بن عبد الواحد المكناسي، كان مُعلِّم كُتّاب، انظر: مجهول، **أخبار**، ص(97-98).

[4] مجهول، **أخبار**، ص97؛ ابن عذارى، ج2، ص54؛ انظر أيضاً: السامرائي، ص116؛ العبادي، ص105.

[5] شارلمان: أو كارل الكبير، حفيد شارل مارتل، وعُدَّ من أهم ملوك الفرنجة، اقتسم مع أخيه كارلومان Carloman(768-771م) حكم المملكة بعد وفاة أبيه، وعندما توفي كارلومان نودي بشارل بمفرده ملكاً، انظر: عنان، ج1، ص(161-162).

[6] ابن عذارى، ج2، ص(51-52)، (56-57)؛ انظر أيضاً: الصوفي، خالد، **تاريخ العرب في الأندلس، عصر الإمارة**، ص59.

تمكن الأمير من قتله بعد أن دعاه إلى قرطبة، وهناك ثورة حيوة بن ملامس الحضـــرمي (ت. 156هـ/772م) وثورة عبد الغفار اليحصبي اللتان قضى عليهما الأمير[1].

زد على هذا العديد من الثورات المتفرقة التي قامت في الأندلس والذي تمكن الأمير من اخمادها، وذلك لحرصه على استقرار ملكه، فبذل كل ما بوسعه للمحافظة على أجزاء الدولة من الضياع، فنجح في إخضاع كل الثورات التي قامت عليه.

كما تمكن الأمير من القيام بعدة غزوات في الأراضي النصرانية، ومنها: إرساله مولاه بدر إلى منطقة ألبة والقلاع[2] سنة 150هـ/767م حيث تمكن من إخضـــاعها ودفـــع الجزيـــة للمسلمين، إلا أن هذه الغزوات كانت قليله، وذلك لانشغال الأمير بإخماد الثورات الداخلية[3].

تولى الإمارة بعد عبد الرحمن الداخل ابنهُ هشام الرضا(172-180هــــ/788-796م) بعهد من أبيه، وقد أختاره الداخل لقناعته أنه الجدير بولاية العهد من بين أبنائه الأحـــد عشـــر، وكان هشام عندما توفي والده مقيماً في ماردة مقر ولايته، وكـــان أخـــوه عبـــدالله المعـــروف بالبلنسي(ت. 208هـ/823م)[4] موجوداً في قرطبة، وأخوه سليمان(ت. 184هـ/800م)[5] كان كان في مدينة طليطلة والياً عليها، فلما توفي الداخل بايع عبدالله أخاه هشاماً وكتب لـــه يعلمـــه بموت والده والبيعة له، فتوجه هشام إلى قرطبة ودخلها وتولى مقاليد الإمارة وبايعه أهلها[6].

وعندما تمت البيعة لهشام، ثار عليه أخوه سليمان في طليطلة ودعا لنفسه بالإمارة فيها، وانضم إليه أخوه عبدالله في طليطلة، إلا أن هشاماً قام بحصارهما في طليطلة، ولكـــن ســـليمان

---

(1) المقري، ج3، ص33.

(2) ألبة والقلاع: حصون وقلاع بين مملكتي نافار وليون في شمال غرب الأندلس، لوتقع على الحدود الإسلامية النصرانية، بناها النصارى لحماية أنفسهم من هجمات المسلمين، انظر: السامرائي، ص139.

(3) ابن عذارى، ج2، ص54.

(4) عبد الله البلنسي: هو عبدالله بن عبد الرحمن الداخل، لقب بالبلنسي نسبة إلى مدينة بلنسية، بايع أخاه هشام أميراً بعد وفاة والده إلا أنه ما لبث أن ثار عليه، ومن ثم ثار على الأمير الحكم الربضي، انظر: ابن عذارى، ج2، ص61؛ انظر أيضاً: الصوفي، ص131،116.

(5) سليمان بن عبد الرحمن: أكبر أبناء الأمير عبد الرحمن الداخل، ولاه والده على جيان، ثم على طليطلة، قام بثورة ضد أخيه هشام الرضا عندما علم بتعيينه أميراً على الأندلس، انظر: ابن عذارى، ج2، ص61؛ انظر أيضاً: الصوفي، ص115.

(6) ابن عذارى، ج2، ص62؛ انظر أيضاً: نعنعي، ص172.

تمكن من الخروج متخفياً إلى قرطبة ليتولى الأمور فيها، ولكنه فشل في ذلك، لأن هشاماً أرسل جيشاً لمطاردته، ففر سليمان إلى ماردة ثم لجأ إلى تدمير، وبعد حصار دام شهرين لطليطلة، شعر عبدالله بفشل هذه الثورة فقدم إلى قرطبة وطلب الصفح من أخيه هشام فعفا عنه، وفي الوقت نفسه أرسل هشام جيشاً لتضييق الخناق على أخيه سليمان، حيث استسلم سليمان وطلب الأمان، فوافق هشام وطلب منه الرحيل إلى المغرب، وأعطاه من تركة أبيه، وسار سليمان مع أخيه عبدالله وأقاما في بلاد المغرب، وبذلك انتهت ثورة الأخوين سنة 174هـ/790م[1].

كما ثار على الأمير هشام مطروح بن سليمان بن يقظان الأعرابي بمدينة برشلونة[2]، فتمكن من الاستيلاء على سرقسطة، فقام الأمير هشام بأرسال جيش بقيادة عبيدالله بن عثمان وحاصره في سرقسطة حتى ضيق الخناق عليه، إلا أنه قتل على يد أحد أصحابه [3].

كما قامت ثورة في تاكرنا[4] سنة 178هـ/794م حيث خلع البربر الطاعة وقاموا بالإفساد، فدعاهم هشام لطاعته إلا أنهم رفضوا ذلك فقام الأمير هشام بأرسال جيش كبير شتت فيه جموع البربر وقتل الكثير منهم وخربت ديارهم، وبالقضاء على هذه الثورة استقرت الأمور الداخلية في البلاد[5].

بعد أن تخلص الأمير هشام الرضا من الثورات التي ظهرت في السنوات الثلاث من حكمه تفرغ للغزو الخارجي، وشرع به سنة 175هـ/791م، فارسل قائده أبا عثمان عبيد الله بن عثمان إلى منطقة ألبة والقلاع التي تمكن من هزيمة الإسبان فيها[6]، وفي العام نفسه أرسل

---

[1] ابن عذارى، ج2، ص62؛ انظر أيضاً: الشيخ، محمد: **دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر الميلادي**، ص82؛ العبادي، ص(112-113).

[2] برشلونة: مدينة في الجزء الشمالي الشرقي من الأندلس على شاطئ البحر، وبينها وبين طركونة خمسون ميلاً، انظر: أبو الفداء، ص183؛ الحميري، ص(86-87).

[3] ابن عذارى،ج2،ص62؛ انظر أيضاً: حتاملة، محمد عبده، **الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة**، ص221.

[4] تاكرنا: مدينة تقع جنوبي الأندلس، ومن مدنها رندة، وهي مدينة قديمة فيها الكثير من الآثار، انظر: الحميري، ص129.

[5] ابن عذارى، ج2، ص64.

[6] نفسه، ص63؛ انظر أيضاً: الشيخ، ص83؛ العبادي، ص113.

الأمير هشام حملة أخرى إلى جيلقية[1] بقيادة يوسف بن بخت[2] فالتقى بالملك برمودو الأول Bermudo I، فاشتبك معه في معركة انتصر فيها[3].

وارسل الأمير سنة 177هـ/793م حملة أخرى بقيادة عبد الملك بن عبد الواحد الذي تمكن فيها من السيطرة على منطقة ألبة والقلاع من جديد، ثم تابعت الحملة طريقها حتى وصلت أربونة[4]، ووقعت في أيدي المسلمين كميات كبيرة من الغنائم[5]، وبعد عامين أي في سنة 179هـ/795م أرسل الأمير هشام قائده عبد الكريم بن مغيث(ت. 209هـ/824م)[6] بالصائفة إلى جيلقية[7].

وانتقلت الإمارة إلى الحكم الربضي(180-206هـ/796-821م) بعد وفاة أبيه، ومن أهم الثورات في عهده ثورة عبد الله البلنسي الذي حاول أن يدعو الناس إليه ضد الأمير الحكم، ولكن نداءه لم يلق اهتماماً من سكان قرطبة، وحاول السيطرة على منطقة وشقة[8]، ونجح فيما بعد في الاستيلاء عليها وعلى سرقسطة، وغادر إلى بلنسية، واستمر هناك خارجاً على الطاعة والدعوة إلى الثورة، حتى وعده الأمير الحكم بإعطائه الأمان وإبقائه في بلنسية، وقد عاش هناك حتى توفي[9].

وعندما علم سليمان بوفاة أخيه الأمير هشام اجتاز المضيق إلى الأندلس، وأخذ يجمع الناس حوله بعد نزوله فيها سنة 182هـ/798م، فاجتمع إليه الكثيرون، وقصد قرطبة مباشرة

---

(1) جليقية: منطقة تقع شمال غرب الأندلس، كانت قاعدة من قواعد الروم وفيها تأسست أولى الممالك النصرانية الإسبانية، انظر: الحميري، ص169.

(2) يوسف بن بخت: هو مولى عبد الملك بن مروان، وحاجب الأمير عبد الرحمن الداخل، انظر: مجهول، **أخبار**، ص67.

(3) ابن عذارى، ج2، ص63.

(4) أربونة: مدينة فرنجية تقع شمال شرقي الأندلس، وهي مدينة تطل على البحر، وبينها وبين قرطبة ألف ميل، انظر: الحموي، **معجم البلدان**، ج1، ص140.

(5) ابن عذارى، ج2، ص64.

(6) عبد الكريم بن مغيث: حاجب الأمير الحكم الربضي، وكان أبوه حاجباً للأمير هشام الرضا، ولاه الأمير هشام كورة جيان، وتولى قيادة الصوائف، فتحققت على يديه فتوحات كثيرة، انظر: ابن الأبار، **الحلة**، ج1، ص(135-136).

(7) ابن عذارى، ج2، ص64.

(8) وشقة: مدينة حصينة بالأندلس، تقع شمال مدينة سرقسطة، بينها وبين سرقسطة خمسون ميلاً، انظر: الحميري، ص612.

(9) ابن عذارى، ج2، ص74؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج4، ص(160-161).

لمقاتلة الأمير الربضي ولكنه مني بالهزيمة، واتجه فيما بعد إلى مدينة أستجة حيث اجتمع إليـــه عدد كبير من البربر فغزاه الحكم هناك ثم وقع أسيراً، وسيق إلى الحكم فأمر بقتله[1].

ومن أهم الثورات التي قامت في عهده ثورة الربض في قرطبة، والتي استمرت حتـــى سنة 202هـــ/817م، ووقف على رأسها رجال الدين والفقهاء، وسبب قيام هذه الثورة هو عـــدم سير الأمير الحكم على خطة أبيه هشام الرضا في الاعتمـــاد علـــى رجـــال الـــدين والفقهـــاء ومشاركتهم في تقرير أمور الدولة؛ إضافة إلى قسوته في تصرفاته وأحكامه، ونتيجة لذلك بدأت الاجتماعات السرية فيما بين الفقهاء ضده[2].

وعندما علم الأمير بأمرهم اتخذ بحقهم إجراءات قاسية، وكانت تلك الإجراءات كفيلة بأن تخمد الحركة، ولكن بصورة مؤقتة، حتى عادت الثورة من جديد، بقيادة عدد من الفقهاء مـــنهم، يحيى بن يحيى الليثي(ت. 234هـــ/848م)[3] وطالوت الفقيه[4]، ومما أجّجَ من نار الثورة قيـــام أحد مماليك الأمير بقتل أحد الصياقلة[5] مما أدى إلى هياج الشعب وإعلان العصيان، ويقـــال إنَّ السبب هو زيادة الضرائب التي وضعها الأمير على كل من شارك في الثورة الأولى[6].

إلا إن الأمير الحكم تمكن من القضاء على هذه الحركة، وصلْب عدد كبير مـــن رؤوس الفتنة، وتفَّرق أهل الربض في جميع إنحاء الأندلس، ومنهم من ذهب إلى مدينة فاس فـــي بـــلاد

---

(1) ابن عذارى، ج2، ص(70-71)؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج4، ص161؛ انظر أيضاً: الشطشاط، ص(114- 115)؛ الشيخ، ص86؛ العبادي، ص119.

(2) ابن عذارى، ج2، ص71؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج4، ص(161- 162)؛ انظر أيضاً: الشيخ، ص85.

(3) يحيى بن يحيى الليثي: أصله من قبيلة مصمودة البربرية، ويكنى أبا عبد الله، رحل إلى المشرق، وسمع عن مالك بن أنس وتفقه على يد شيوخ المشرق، وإليه انتهت رئاسة الفقه المالكي في الأندلس، وبه أنتشر هذا المذهب، وتفقه على يديه عدد من الطلاب، وكان له مركز عظيم عند الأمراء ووصلت درجته أعلى من القضاة عند ولاة الأمر، انظر: الحميدي، ص(566 - 567).

(4) طالوت الفقيه: هو طالوت بن عبد الجبار بن محمد بن أيوب بن سليمان بن صالح بن السمح المعافري، من أهل قرطبة، وله رحلة في المشرق التقى فيها الإمام مالك بن أنس، وكان على درجة من العلم والدين، وعلى علم كبير بالفقه، انظر: ابن الأبار، **التكملة لكتاب الصلة**، ج1، ص276.

(5) الصياقلة: المشتغلون بشحذ السيوف، أي حدِّ سنانه، انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة صقل، ج11، ص380.

(6) ابن عذارى، ج2، ص(75-77)؛ انظر أيضاً: الصوفي، ص(140-141).

المغرب الاقصى واستقر فيها [1]، ومنهم من رحل إلى مناطق أخرى، كما قامت العديــد مــن الثورات في كلٍ من طليطلة وماردة وسرقسطة، وتمكن الأمير الحكم من إخمادها جميعها[2].

وامتاز عهد الحكم الربضي بالاهتمام بالغزو والجهاد كعهد جده عبد الرحمن الــداخل، فكان له العديد من الغزوات نحو الممالك النصرانية في الشمال، وتصدى لمحــاولات شــارلمان ملك الفرنجة العبث في الأرض الأندلسية، تلك المحاولات التي انتهت بتمكن شارلمان من دخول مدينة برشلونة سنة185هـ/801م[3]، حيث أسس هناك كونتيه برشلونة، كما أرسل الأمير الحكم الربضي حملة إلى جليقية تمكن فيها من السيطرة عليها، وفي سنة 200هـ/815م تمكن القائــد الحاجب عبد الكريم بن مغيث من مهاجمة قرى وادي آرون، فهدم منازلها وحصــونها وأهلــك زرعها[4].

وتولى بعد وفاة الحكم ابنُه الأمير عبد الرحمن الأوسط(206-238هـ /821-852م)، إذ يعتبر عهده ذروة عصر الإمارة في الأندلس، ومع ذلك لم يخلُ عهده من الفتن، إلا أنها لــم تكن في حدة الفتن التي وقعت في عهود الأمراء الذين سبقوه، والذين امتلأت ســنوات حكمهــم بالثورات.

ومن أهم الثورات التي واجهها الأمير عبد الرحمن الأوسط، تلك التي قام بها عبــد الله البلنسي الذي احتل كورة تدمير سنة 207هـ/822م، وانضم إليه الكثير من الأنصار والأعوان وقوي بأسه، إلا أنه مرض وتوفي سنة 208هـ/823م[5].

ثم عادت تدمير إلى الاضطراب من جديد بسبب فتنة المضرية واليمنية، وذلك بعد تغلب اليمانية عليها، ولم تهدأ الفتنة إلا سنة 213هـ/828م بعد أن شغلت حكومة قرطبة وأرهقتها[6]،

---

[1] ابن عذارى، ج2، ص77.

[2] نفسه، ص(72-74)؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج4، ص162؛ انظر أيضاً: الشيخ، ص86.

[3] ابن عذارى، ج2، ص74؛ انظر أيضاً: حتاملة، ص244.

[4] ابن عذارى، ج2، ص75.

[5] ابن الأثير، ج5، ص(471-472)؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج4، ص163.

[6] ابن عذارى، ج2، ص81؛ انظر أيضاً: مؤنس، **معالم**، ص322.

أضف إلى هذا قيام الأمير عبد الرحمن الأوسط بالقضاء على الثورات في قرطبة ومـاردة وطليطلة[1].

على صعيد آخر استأنف الأمير الأندلسي الجهاد سنة 208هـ/823م، فأرسل صائفة بقيادة عبد الكريم بن عبد الواحد إلى ألبة والقلاع، وتمكن من خلالها حرق بلاد ألبة، وحاصر عدة حصون وفتح بعضها[2]، وفي سنة 210هـ/825م أرسل الأمير عبد الرحمن الأوسط قائده عبيدالله بن عبدالله البلنسي إلى بلاد الفرنجة على رأس جيش كبير، حيث التقى جيشه جيوش الفرنجة عند جبل يسمى جبل المجوس، فانهزم الفرنجة وقتل عدد كبير منهم، كما سيَّر الأمير سنة 212هـ/827م جيشاً إلى برشلونة بقيادة ابن البلنسي فحاصرها لمدة ستين يوماً[3].

ثم تتابعت الحملات التي شنها الأمير عبد الرحمن الأوسط، ففي سنة 223هـ/838م أرسل عدة جيوش إلى مملكة اشتريس[4]، تمكنت من خلالها اجتياز جليقية ودخول ألبة عاثت هذه الجيوش فيها خراباً[5]، كما خرج الأمير عبد الرحمن الأوسط بنفسه سنة 229هـ/843م إلى إلى بنبلونة[6] التقى فيها جيشاً كبيراً من النصارى تمكن من هزيمته[7]، أضف إلى هـذا تمكن محمد بن عبد الرحمن الأوسط سنة 231هـ/845م من دخول جليقية ومحاصرة مدينة ليـون، ولقن أهلها درساً قاسياً[8].

وفي عهده غزا النورمانديون(المجوس)[9]الأندلس سنة230هـ/844م حيث هاجموا أشبونة[1] واتجهوا نحو قادس[2] ثم إلى شذونة، ثم اخترقوا النهر إلى مدينة إشبيلية، ودارت بينهم

---

(1) ابن عذارى، ج2، ص83؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج 4، ص164.

(2) ابن عذارى، ج2، ص(81-82)؛ انظر أيضاً: الشيخ، ص91.

(3) ابن الأثير، ج5، ص481.

(4) مملكة اشتريس: أسسها بيلانوBellano وهو احد كبار دولة القوط الغربيين في الجزء الشمالي الغربي من بلاد الأندلس، بعد سبع سنوات من بداية الحكم الإسلامي، انظر: عنان، ج1، ص208.

(5) ابن عذارى، ج2، ص85؛ انظر أيضاً: الشيخ، ص91.

(6) بنبلونة: مدينة تقع شمال شرق الأندلس، بينها وبين سرقسطة مائة وخمسة عشرون ميلاً، وهي تقع بين جبال شامخة، انظر: الحميري، ص104.

(7) ابن الأثير، ص(86-87)؛ انظر أيضاً: الشيخ، ص91.

(8) ابن الأثير، ص88.

(9) النورمانديون: هم خليط من الشعوب الاسكندنافية، من أصول جرمانية، وقد أطلق عليهم اسم الفايكنج، انظر: عنان، ج1، ص(261-262).

بينهم وبين المسلمين معارك ضارية انتصر في نهايتها النورمان، فأكثروا في المسلمين القتل والأسر والنهب، ومكثوا يعيثون في البلاد فساداً لمدة سبعة أيام، فأرسل إليهم الأمير عبد الرحمن الأوسط قواته، فهُزموا بعد قتال عنيف، مما اضطرهم إلى الانسحاب من المناطق التي سيطروا عليها[3].

ونتيجة لذلك اهتم الأمير عبد الرحمن الأوسط بتحصين المدن، فبنى حول مدينة إشبيلية سوراً ضخماً وأنشأ بها داراً لصناعة السفن، واهتم ببناء السفن الحربية، وحشد لها المقاتلة المدربين من سائر إنحاء الأندلس حتى نما الأسطول وعظمت قواته البحرية[4].

وتولى الإمارة بعد الأمير عبد الرحمن الأوسط ابنه الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط(238-273هـ/852-886م) الذي واجه الكثير من المشاكل في مختلف النواحي، فقد ثار عليه أهل طليطلة سنة 240هـ/854م وحاولوا الاستقلال بناحيتهم[5]، كما تحركت جماعات ثائرة في إقليم ماردة في الغرب الأندلسي بقيادة عبد الرحمن بن مروان الجليقي(ت. 276هـ/889م)[6] فخرج الأمير بنفسه إليها فقضى على هذه الثورة، ويبدو أن معظم النواحي خرجت على السيادة الأموية في أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط [7].

---

[1] أشبونة: مدينة قريبة على الساحل الغربي للأندلس من البحر المحيط إلى الغرب من مدينة إشبيلية، وتقع على مصب نهر شنترين، انظر: الحموي، **معجم البلدان**، ج1، ص195؛ أبو الفداء، ص172.

[2] قادس: جزيرة تقع جنوب غرب الأندلس، وطولها من شمالها إلى جنوبها اثنا عشر ميلاً، وعرضها في أوسع المواضع ميل، انظر: الحميري، ص448.

[3] ابن عذارى،ج2، ص(87-88)؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص(165-166)؛ انظر أيضاً: الشيخ، ص(91-92).

[4] الشيخ، ص93؛ العبادي، ص(140-141)؛ مؤنس، **معالم**، ص(324-325).

[5] ابن عذارى، ج2، ص(94-95)؛ انظر أيضاً: الشيخ، ص99.

[6] عبد الرحمن بن مروان الجليقي: ينتمي إلى أسرة من المولدين، أصلها من ولاية جليقية في شمال الأندلس، واستقرت في ماردة لفترة طويلة، وكان مروان بن يونس الجليقي(ت. 213هـ/828م) قد حكم ماردة أيام الأمير عبد الرحمن الأوسط، فلما قامت الثورة في ماردة قتله أهلها سنة213هـ/828م وكان عبد الرحمن نفسه لا يشعر بالولاء لقرطبة، فثار على الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط، انظر: عنان، ج1، ص304.

[7] ابن القوطية، ص(100-101)؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج4، ص186؛ انظر أيضاً: العبادي، ص157.

وفي عهده قامت أكبر الثـــورات الداخليـــة وهـــي ثـــورة عمـــر بـــن حفصـــون(ت. 305هـ/918م)[1] في ولاية رية الجنوبية، ونزل في مكان منيع بجبل ببشتر[2] واعتصم في ذلك الجبل وأخذ يناوئ قوات الإمارة[3]، وقد أرسل الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط العديد من الحملات للقضاء على ثورة ابن حفصون، إلا أن وفاته سنة 273هـ/886م حالت دون القضاء عليها[4].

بالإضافة إلى الحملات التي وجهها الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط للقضاء علـــى الثورات الداخلية المتعددة، فإنه لم يهمل سياسة الجهاد ضد الممالـــك النصـــرانية، ففـــي ســـنة 241هـ/855م أرسل الأمير محمد حملة إلى ألبة والقلاع وبلغ أقصـــاها وافتـــتح كثيـــراً مـــن الحصون[5].

وفي سنة 259هـ/872م غزا الأمير محمد بنبلونة وخرب الكثير من حصونها، ثم عاد إلى قرطبة[6]، كما أرسل العديد من الحملات إلى سرقسطة، فافتتحت هذه الحملات الكثير مـــن الحصون[7].

واستلم الإمارة بعد وفاة الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط ابنه الأمير المنذر(273-275هـ/886-888م) والذي ظل ابن حفصون في عهده يحاول توسيع نطاق ثورته، وتقويـــة نفوذه في أرجاء الأقاليم الجنوبية، حتى نجح في أخذ طاعة معظم الحصون المنتشرة بين معقلـــه ببشتر وبين الساحل الجنوبي للأندلس[8].

---

[1] عمر بن حفصون: من مسالمة الذمة، ويرجع اصل أسرته إلى كورة تاكرنا، وكان جده الرابع جعفر بن شتيم اعتنق الإسلام، ثار عمر على أمراء بني أمية ونزل بمكان منيع بجبل ببشتر شمال شرقي جبال رندة، واعتصم فيه وأخذ يناوئ قوات الإمارة، واستمرت ثورته في عهد ثلاثة من أمراء الأمويين، انظر: ابن عذارى، ج2، ص106.

[2] ببشتر: حصن من أعمال رية بالأندلس، بينه وبين قرطبة ثلاثون فرسخاً، انظر: الحموي، **معجم البلدان**، ج1، ص323.

[3] ابن القوطية، ص103؛ ابن عذارى، ج2، ص106.

[4] ابن عذارى، ج2، ص106؛ انظر أيضاً: نعنعي، ص279.

[5] ابن عذارى، ج2، ص95؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج4، ص167؛ انظر أيضاً: الشيخ، ص100؛ عنان، ج1، ص294.

[6] ابن عذارى، ج2، ص99؛ انظر أيضاً: حتاملة، ص288.

[7] ابن عذارى، ج2، ص102.

[8] نفسه، ص114.

كما قام ابن حفصون بالاتجاه شمالاً فوصل إلى قبرة [1] فأقام في بعض نواحيها حامية له، كما أغار على أحواز كورة جيان وهاجم كورة إلبيرة وعاث فيها، ثم توجه نحو باغة[2] وأسر عاملها، وكل هذا يعد انتهاكاً للسيادة الأموية في الأندلس[3].

ونتيجة لسيطرة ابن حفصون على المناطق الواقعة تحت سيادة الإمارة الأموية، قام الأمير المنذر بن محمد بإرسال عدداً من جنده لاسترداد سيادة الإمارة في الأقاليم المسلوبة، فتمكنوا من القضاء على نفوذ ابن حفصون في قبرة والمناطق التي سيطر عليها[4].

وكان معقل ابن حفصون ببشتر يقع في كورة رية، وكان هَدَفُ الأمير المنذر استعادة المراكز الحيوية التي تشكل حائلاً بينه وبين الوصول إلى عمر بن حفصون في معقله ببشتر، لذلك ارسل في العام274هـ/887م جيشاً كبيراً اخترق المنطقة الوسطى، وبلغ فيها الجيش معقل ابن حفصون، كما تمكن من استعادة بعض الحصون في طريقه، وعندما وصل تمكن من إطباق الحصار عليه[5].

وقد رأى الأمير المنذر أن يترك محاصرة ابن حفصون برهة من الزمن بعد أن أضعف قوته العسكرية الذاتية، فعزم على ضرب أولئك المشايعين له والذين كانوا يمثلون مع غيرهم من المنطقة شوكة في خاصرة الجيش الأموي المحاصر لابن حفصون، فزحف الجيش نحو أرشذونة[6]، واستطاع أن يعيد إليها السيادة الأموية[7].

---

(1) قبرة: تقع جنوب الأندلس، إلى الجنوب من مدينة قرطبة، وأراضيها شديدة الخصب، انظر: الحموي، **معجم البلدان**، ج4، ص305.

(2) باغة: مدينة من كورة إلبيرة تقع جنوب غرب الأندلس، انظر: الحموي، **معجم البلدان**، ج1، ص326.

(3) ابن عذارى، ج2، ص115.

(4) ابن عذارى، ج2، ص118؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج4، ص169؛ انظر أيضاً: أبا الخيل، محمد، **الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري**، ص64.

(5) ابن عذارى، ج2، ص117؛ انظر أيضاً: أبا الخيل، ص64.

(6) أرشذونة: مدينة بالأندلس من أعمال رية، تقع جنوبي قرطبة، بينها وبين قرطبة عشرون فرسخاً، انظر: الحموي، **معجم البلدان**، ج1، ص152.

(7) ابن عذارى، ج2، ص117؛ انظر أيضاً: أبا الخيل، ص64.

ثم أراد الأمير المنذر الخروج مرة أخرى لحصار ابن حفصون في قلعة ببشتر حتى يقضي عليه أو يستسلم، فأعلن الخضوع والطاعة للأمير المنذر بعد أن ضيق عليه الخناق، فقبل الأمير بذلك، وأغدق عليه العطايا وكتب له عهد الأمان[1].

وما لبث ابن حفصون- بعد أن طلب من الأمير المنذر مائة بغل ليحمل عليها متاعه فأرسلها له الأمير ورفع الحصار عنه-، أن عاد إلى ببشتر وتحصن فيها، ونتيجة لذلك جمع الأمير جيشه وتوجه لإخضاعه، وقام بحصاره في معقله أربعين يوماً مرض خلالها الأمير، فأرسل إلى أخيه عبد الله بن محمد لينوب عنه في متابعة الحصار، وفي سنة 275هـ/888م توفي الأمير المنذر تحت أسوار ببشتر وهو محاصر لابن حفصون بعد قرابة عامين من إمارته، وحمل على جمل ودفن مع أجداده في قرطبة[2].

وقد تابع من بعد الأمير المنذر بن محمد أخوه الأمير عبد الله بن محمد(275-300هـ/888-912م) ارسال الحملات المتتابعة في كل عام بقيادة أبنائه وقادته إلى ابن حفصون، ليحاصروا ببشتر وغيرها من الحصون والمدن التابعة له، وحققوا العديد من الانتصارات، وقتلوا خلالها كثيراً من جنده، وعاثوا في المناطق التي كان يستولي عليها، واستمر ذلك إلى نهاية عهد الأمير عبد الله سنة 300هـ/912م[3].

كما قامت في عهده ثورات عدة إلى جانب ثورة ابن حفصون، ومنها ثورة خير بن شاكر(ت. 277هـ/890م) التي قامت في جيان سنة 277هـ/890م، فغزاه القائد ابن أبي عبده(ت. 305هـ/917م) وحاصره وقتل جماعة من أصحابه وأحرق كثيراً من دور جيان، ولم يلبث أن غدر ابن حفصون بابن شاكر وقتله ليتقرب من الأمير عبد الله بن محمد وبعث برأسه إليه، ثم توجه ابن حفصون إلى جيان وأغرم أهلها أموالاً كثيرة [4].

كما ثار إبراهيم بن حجاج(ت. 298هـ/910م) في إشبيلية واقتسم كورتها مع الثائر كريب ابن خلدون(ت. 286هـ/899م)، ثم اختلف ابن حجاج مع ابن خلدون مما دفع ابن حجاج

---

[1] ابن عذارى، ج2، ص(117-118)؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج4، ص169.

[2] ابن عذارى، ج2، ص118؛ انظر أيضاً: الشيخ، ص104؛ حتاملة، ص293.

[3] ابن عذارى، ج2، ص133.

[4] نفسه، ص136؛ انظر أيضاً: الصوفي، ص320.

لقتل ابن خلدون و أخيه خالد(ت. 286هـ/899م)، ثم طلب من الأمير عبد الله بن محمد إطلاق سراح ولده عبد الرحمن بن إبراهيم الرهين عنده، فلم يجبه الأمير على ذلك في أول الأمر، فنبذ الطاعة وتحالف مع ابن حفصون، مما دفع الأمير إلى الاستجابة لطلبه، فأطلق سراح ابن إبراهيم بن الحجاج، فعاد ابن الحجاج إلى الطاعة، وعينه الأمير عبدالله على إشبيلية وأحسن إليه فخضعت له تلك النواحي[1].

ومن جملة الثوار الذين ثاروا ببلاد الأندلس سوار بن حمدون(ت. 277هـ/890م) وسعيد بن جودى(ت. 284هـ/897م) الذين ثاروا في كورة غرناطة، كما تغلب ديسم بن إسحاق على مدينتي لورقة[2] ومرسيه وما يليهما من كورة تدمير، كما ثار البربر ببطليوس[3] وماردة، وأثاروا الفتنة فيهما وظلوا يعيثون فساداً إلى أن أخمد الأوضاع الأمير عبد الرحمن الناصر[4].

على الرغم من انشغال الأمير عبد الله بن محمد بالقضاء على الثورات الداخلية التي قامت في الأندلس أبان حكمه؛ فإنه لم يهمل حماية بلاده من الخطر الخارجي الذي كان يتهدده من حين إلى آخر، فقد كوَّن عدة حملات لهذا الغرض، كما استعان ببعض الولاة الذين كانوا يتولون الولايات المتاخمة لأراضي العدو[5].

وأستلم الأمير عبد الرحمن الناصر(300-350هـ/912-961م) الإمارة بعد الأمير عبد الله بن محمد، وفي عهده كانت الأندلس مضطربة كل الاضطراب، فبدأ عهده محاولاً فرض الوحدة على البلاد، وذلك بتأديب العصاة والقضاء على الفتن والثورات، وإعادة الهدوء والاستقرار إلى البلاد، والعودة ببلاد الأندلس إلى سابق قوتها، فاتبع سياسة الترغيب والترهيب،

---

[1] ابن عذارى، ج2، ص(125-126)؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج4، ص(174-175).

[2] لورقة: تقع جنوب شرق الأندلس، من بلاد تدمير، بينها وبين مرسية أربعون ميلاً، انظر: الحميري، ص512.

[3] بطليوس: مدينة كبيرة تقع غربي الأندلس، وهي من أعمال ماردة، تقع على نهر آنة (الوادي اليانع)، انظر: الحموي، **معجم البلدان**، ج1، ص447.

[4] ابن القوطية، ص 119؛ انظر أيضاً: الشيخ، ص108.

[5] ابن عذارى، ج2، ص(138-139)؛ انظر أيضاً: الصوفي، ص323.

فبعث بالكتب إلى العمال في جميع كور الأندلس يطالبهم بالطاعة والولاء لـــه ونبـــذ الخـــلاف والشقاق[1].

وفي عهده استطاع اضعاف عمر بن حفصون بعد ان اعتنق الأخير النصرانية وتظاهر بانضمامه إلى الأمير عبد الرحمن الناصر حتى وفاته سنة 305هــ/918م، وخلفه ابنه جعفـــر الذي ذهب مذهب أبيه في العناد والفساد، فسيَّر إليه الأمير عبد الرحمن الناصـــر جيشـــاً ســـنة 306هــ/918م واستولى في طريقه على عدد من الحصون التابعة لابن حفصون، إلا أن جعفر قد مات مقتولاً على يد بعض أهل قلعة ببشتر، فخلفه شقيقه سليمان(ت. 314هــ/926م) الـــذي نجح الأمير في أسره وقطع رأسه، فجاء من بعده أخوه حفص الذي حاصره الأمير ببشتر، ولما لم يجد فائدة من التمادي والعصيان استسلم للأمير وسلَّم الحصون، وبذلك قضى الأميـــر عبـــد الرحمن الناصر على أخطر الخارجين على الدولة وهم آل حفصون[2].

وبعد أن أخضع الناصر الأندلس ووحدها تحت ســـلطانه رأى أن يعلـــن نفســـه ســـنة 316هــ/928م خليفة، ويلقب نفسه أمير المؤمنين بدلاً من لقب أمير الذي ورثه عـــن أســـلافه الأمراء الأمويين[3]، وهكذا أعاد للأندلس وحدتها، وقضى على كل الحركات الانفصـــالية التـــي هددت كيانها، وجمع شملها تحت راية واحدة، الأمر الذي جعل حكومة قرطبة قويةً مهابة أمـــام أعدائها في الداخل والخارج[4].

---

(1) ابن عذارى،ج2،ص158؛ انظر أيضاً: حتاملة، ص318؛ نعنعي، ص(317-318).

(2) ابن عذارى، ج2، ص181؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج4، ص(173-174)؛ انظر أيضاً: العبادي، ص160؛ نعنعي، ص (325-327).

(3) ابن عذارى، ج2، ص198، انظر أيضاً: الشيخ، ص113؛ العبادي، ص168.

(4) نعنعي، ص(329-330).

الفصل الأول

مظاهر اهتمام الأمراء الأمويين بالعلم والتعليم، ومناهج التعليم في الأندلس

- تشجيع الأمراء الأمويين على العلم والتعليم
- المراحل التعليمية ومناهج الدراسة

المرحلة الأساسية

المرحلة المتوسطة

المرحلة العليا

الفصل الأول

مظاهر اهتمام الأمراء الأمويين بالعلم والتعليم، ومناهج التعليم في الأندلس

تشجيع الأمراء الأمويين على العلم

على الرغم من أن فترة عصر الولاة كانت فترة منازعات وحروب، وعلى الرغم من تفكك المجتمع واضطرابه، فإن الأندلس عرفت في عهد الولاة نفراً من الصحابة والتابعين الذين كانوا على حظ وافر من المعرفة الدينية، وكانوا يصحبون الجند، أو يوفَدون بعد الفتح للإفتاء في ما يُعين المسلمين على أمور دينهم، كتقسيم المغانم وتحديد الضرائب وتخطيط المساجد وتفقيه الناس، وأغلب الظن أن هؤلاء قد أسسوا أماكن للتعليم، كما أنشأوا أوائل المساجد في إشبيلية وقرطبة وغيرها من البلاد[1].

عندما بدأ الفتح الإسلامي للأندلس آثر موسى بن نصير أن يكون بين جنده بعض الصحابة وبعض التابعين، ممن تلقى تفسير القرآن وعلم الحديث والقضايا الفقهية من منبعها الأصلي، أي من رسول الله ﷺ ومن صحابته الذين عايشوه وعاشوا معه[2].

فاصطحب موسى بن نصير خلال عبوره إلى الأندلس عدداً كبيراً من الفقهاء يعلمون الديار المفتوحة الإسلام، ويحفظونهم بعض آيات القران، ويعلمونهم الدين الحنيف وتعاليمه، وقد انشأوا الكتاتيب في العصر الأول لهذا الغرض[3].

ومن هؤلاء العلماء حنش الصنعاني الذي شهد فتح الأندلس، وروى عن ابن مسعود والكثير غيره، وكان يجلس لتفسير القران الكريم، مما يدل على أن أهل الأندلس من الذين أسلموا على يديه كانوا يتلقون ما يفسر لهم من الآيات[4].

---

(1) توفيق، عمر، **الوافي في تاريخ الأدب العربي في الأندلس**، ص41.

(2) القاسمي، جاسم، **تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، ص90.

(3) ضيف، شوقي، **عصر الدول والإمارات "الأندلس"**، ص61.

(4) الحميدي، ص(32-33)؛ المقري، ج3، ص7.

ومن هؤلاء أيضاً علي بن رباح اللخمي(ت.114هـ /732م)[1]، وقد قدم إلى بلاد المغرب للجهاد في سبيل الله زمن والي مصر عبد العزيز بن مروان(ت.86هـ /705م)[2]، وكان قد روى عن عمرو بن العاص(ت. 63هـ/682م) وعقبة بن عامر(ت. 58هـ/678م)[3]، وغزا الأندلس مع موسى بن نصير، ويظهر أنه كان له اهتمام بالقرآن إلى جانب اهتمامه برواية الحديث، وقد أورد عن شرحبيل بن حسنة(ت. 18هـ/639م)[4] قراءة لم ترد في الكتب المعتمدة[5].

كما عمل عمر بن عبد العزيز على تثقيف أهل الأندلس فقهياً بإرسال بعثة متخصصة، وكان على رأسها حبان بن أبي جبلة(ت.125هـ/742م)[6] الذي روى عن عمرو بن العاص وعبدالله بن عباس(ت. 67هـ/687م)، وكان حبان ضمن جيش موسى بن نصير حين افتتح الأندلس، وقد فقَّه أهل افريقية والأندلس وعلَّمهم الحلال والحرام والسنن والحكم بينهم بمقتضى ذلك، كماعلمهم قراءة القرآن[7].

---

[1] علي بن رباح اللخمي: يكنى أبا عبد الله، وكان مع اليمانية من أهل مصر، وكان قد غزا أفريقية وتوفي فيها، انظر: المقري، ج3، ص8.

[2] عبد العزيز بن مروان: ولد بالمدينة، ودخل الشام مع والده مروان بن الحكم(ت. 65هـ/685م)، وتولى فيما بعد الديار المصرية في سنة 65هـ/684م، وشهد قتل عمرو بن سعيد العاص(ت. 13هـ/634م)، وكان له دار بدمشق ثم أصبحت فيما بعد لولده عمر بن عبد العزيز، انظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج12، ص363.

[3] عقبة بن عامر: يكنى أبا عمرو، بايع الرسولﷺ وشهد معركة صفين مع معاوية بن أبي سفيان(ت. 60هـ/680م) ورحل إلى مصر ونزل بها وبنى فيها داراً وتوفي في أخر خلافة معاوية بن أبي سفيان، انظر: ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج5، ص261.

[4] شرحبيل بن حسنة: وهو شرحبيل بن ربيعة بن المطاع من ولد صوفة، وكان من علية أصحاب الرسولﷺ وغزا معه غزوات، وهو أحد الأمراء الذين أرسلهم أبو بكر الصديق(ت. 13هـ/634م) إلى الشام، وقد تمكن من فتح عكا وصور وصفورية، انظر: ابن سعد، ج4، ص119؛ البلاذري، **فتوح البلدان**، ص(149-150).

[5] المقري، ج3، ص8.

[6] حبان بن جبلة: مولى لقريش يكنى أبا النصر، روى عن عمرو بن العاص، وقيل إنه غزا الأندلس مع موسى بن نصير حتى انتهى إلى حصن من حصونها يقال له قرقشونة، وتوفي بأفريقية سنة125هـ/ 742م، انظر: المقري، ج3، ص9.

[7] المقري، ج3، ص9.

وكان ضمن الجيش الفاتح مع موسى بن نصير أيضاً عبدالله بن يزيد المعافري (ت. 100هـ /719م)[1]، والمغيرة بن أبي بردة[2]، ومحمد بن أوس بن ثابت، فأسهموا في تفقيه أهل المغرب والأندلس وتعليمهم القرآن وعلومه [3].

وكان الناشئ حين ينهي تعليمه في الكتاتيب على أيدي المؤدبين ينتقل إلى المرحلة العليا في التعليم، وهي حلقة الشيوخ في المساجد ليتزود بعلوم اللغة العربية إن شاء، أو في العلوم الدينية، كالفقه والتفسير والحديث النبوي، وقد يجمع بين هذا كله[4].

وكان من الطبيعي أن تعنى الأندلس مبكرة بقيام مؤدبين على تعليم الناشئة الفصحى وقواعدها وتحفيظهم القران الكريم أو سوراً منه، وبعض الأحاديث النبوية، وكذلك تعليم من دخلوا في الدين الحنيف من الإسبان وأبنائهم حتى يستطيعوا النطق بالفصحى وقراءة آيات القرآن في صلاتهم[5].

ولم يهتم الفاتحون الأندلسيون في مطلع القرن الثاني للهجرة/ التاسع للميلاد كثيراً برواية الحديث النبوي، لانشغالهم بالجهاد وتوطيد أركان الحكم الإسلامي في تلك البلاد[6]، إلا أن هذا لم لم يمنع من بزوغ نجم القاضي معاوية بن صالح الشامي(ت. 158هـ/774م)[7] في علوم الحديث النبوي الشريف، وكان القاضي معاوية مفتي قرطبة، وقد وصل إلى الأندلس سنة 123هـ/740م وحظي بمكانة كبيرة لدى والي الأندلس يوسف الفهري، وقد شاع عنه عدم انتمائه إلى أي مذهب معروف[8].

---

(1) عبد الله بن يزيد المعافري: يكنى أبا عبد الرحمن، روى عن أبي أيوب الأنصاري(ت. 54هـ/674م)، وروى عنه جماعة، وكان رجلاً صالحاً فاضلاً، قيل إنه توفي بإفريقية وقيل بقرطبة، انظر: المقري، ج3، ص9.

(2) المغيرة بن أبي بردة: روى عن أبي هريرة، وروى عنه مالك في موطئه، وذكره البخاري في تاريخه الكبير والحافظ ابن بشكوال، وكان قد دخل الأندلس مع موسى بن نصير، انظر: المقري، ج3، ص10.

(3) المقري، ج3، ص9، 10، 58.

(4) ضيف، **شوقي**، ص72.

(5) نفسه، ص91.

(6) المشهداني، علياء، رحلة معاوية بن صالح الحمصي إلى الأندلس، جامعة الموصل، كلية التربية، **مجلة الدراسات التاريخية والحضارية**، مج4، ع14، ص(16-17).

(7) معاوية بن صالح: قاضٍ أندلسي، من أصل شامي، يكنى أبا عمرو، كان كثير الرواية للحديث، حَدَّث عن كثير من شيوخ عصره، انظر: الحميدي، ص(500، 503).

(8) الحميدي، ص500؛ انظر أيضاً: مؤنس، حسين، **فجر الأندلس**، ص651.

كما عرفت تلك الفترة نوعاً متواضعاً من الثقافة وقدراً ضئيلاً من الأدب، حيث وفدت الثقافة المتواضعة مع نفر من العلماء ممن خدموا الولاية الإسلامية حينذاك، كما وفد الأدب الضئيل أيضاً مع نفر من الأدباء كانوا ممن عملوا في الولاية الأندلسية في تلك السنين، كان هذا القدر المتواضع من الثقافة بمثابة البذرة الأولى لفجر الثقافة الأندلسية[1].

وكان من بين العرب الوافدين على الأندلس في فترة الولاة نفر ممن يقرضون الشعر، يذكر منهم أبا الأجرب جعونة بن الصمة الكلابي وهو من العرب الطارئين على الأندلس، وقد اشتهر بهجاء الصميل بن حاتم رئيس القيسية، وكان في شعره بمرتبة جرير(ت. 110هـ/ 728م) والفرزدق(ت. 114هـ/732م)، إلا أنه لم يعثر إلا على القليل من شعره، وقد توفي قبل قيام الدولة الأموية في الأندلس[2].

من شعراء تلك الفترة المشهورين الوالي أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي، وكان من أشراف القحطانيين في الأندلس، وممن شهدوا فتوحات المسلمين في بلاد المغرب، وقد كان شاعراً ولقب بعنترة الأندلس، ولم يبق من شعره إلا القليل[3].

وهذان الشاعران تردد شعرهما في الأندلس خلال فترة الولاة، ومن المحقق أنهما لم يكونا وحدهما اللذين عرفا قول الشعر في تلك الفترة، وإنما كان هناك آخرون نُسيت أسماؤهم وضاعت أشعارهم مع الكثير مما نسي وضاع من تراث الأندلس وخاصة في هذه الحقبة المتقدمة من تاريخها[4]، وأما فيما يتعلق بالأدب فقد خلت تلك الفترة من تاريخ الأندلس من الحديث عن الأدب مع أنه تناولت تفاصيل يدخل بعضها في باب الأساطير[5].

وقد كان للأندلس حظ وافر من النحو، وأن الأندلسيين العرب والمؤدبين منهم بشكل خاص كانوا يعلمون النحو منذ الفتح ونهاية الحرب، فكانوا يضعون لطلابهم نصوصاً مختلفة ويشرحونها مع طلابهم ويشبعونها نقاشاً، كذلك كان من أجل نشر اللغة العربية وعلومها في

---

(1) هيكل، أحمد، **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة**، ص61.

(2) الحميدي، ص271؛ انظر أيضاً: عناني، محمد، **تاريخ الأدب الأندلسي**، ص(50-51).

(3) الحميدي، ص(291-292).

(4) هيكل، ص63.

(5) نفسه، ص69.

أوساط الإسبان المستعربين، وكانت تلك النصوص بسيطة سهلة بعيدة عن التعقيد، وذلك ليسهل فهمها [1].

اما فيما يتعلق بالعلوم العقلية فلم يكن في الأندلس شيء واضح من علوم الأوائل، ويبدو أن العرب أخذوا يجلبون أطرافاً منها منذ أواخر القرن الثاني الهجري مما ترجم في بغداد عن اليونانية [2].

وما أن استقرت أوضاع المسلمين في بلاد الأندلس، وبخاصة مع مطلع عصر الإمارة الأموية؛ حتى تصدَّر المجتمع الأندلسي كثيراً من المجتمعات الإسلامية الأخرى؛ علماً وثقافة وإجلالاً للعلم وأهله، فنشطت العلوم والفنون نشاطاً كبيراً مما أسهم في رقيه وتقدمه وازدهاره، ولم يكن ذلك ليتحقق لولا إقبال الأندلسيين على العلم والتعليم، وسط تشجيع كبير من أبناء المجتمع الأندلسي كله، فحظي العلماء بالتكريم والتبجيل[3].

ومما شجع على تقدم مسيرة العلم والتعليم؛ الاهتمام الكبير الذي أبداه الأمراء الأمويون من خلال تهيئة الظروف المناسبة لتحقيق ذلك كبناء المساجد وإنشاء المكتبات ورعاية العلماء، وبخاصة القادمين من المشرق وتشجيعهم، كما كان للأمراء دور كبير في دفع العلماء إلى التأليف، وإجزال العطاء للمؤلفين[4].

ومما شجع على العلم والتعليم في الأندلس أن أغلب أمرائها الأمويين كانوا علماء وأدباء لارتباط ذلك بشكل وثيق بالسيادة والحكم، ولعل الحاكم بسعيه لتثقيف نفسه وتعليمها يعكس مستويات التعليم والثقافة لدى أبناء المجتمع الذي يحكمه، كذلك عني الأمراء بتربية أبنائهم وبتعليمهم[5].

ولقد كان لشعور الأمويين بعظمة ماضيهم، وبقدرتهم على منافسة بغداد –عاصمة العباسيين– أثر قوي في تحريك الهمم إلى طلب العلم خاصة إذا ما علمنا أن الأمير عبد الرحمن

[1] عصيدة، فادي، جهود **نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي**، ص8.

[2] ضيف، شوقي، ص72.

[3] الشكعة، مصطفى، الأدب **الأندلسي: موضوعاته وفنونه**، ص71.

[4] العكش، إبراهيم، **التربية والتعليم في الأندلس**، ص73.

[5] نفسه، ص(77–78).

الداخل كان معاصراً لأبي جعفر المنصور(136– 158هـ/754–775م)، وهارون الرشيد (170–193هـ/786–809م)، معاصر الحكم بن هشام الخليفة العالم المأمون(198–218هـ/813–833م)، ولعبت الدولتان دوراً كبيراً في ميدان العلوم والحضارة، فكانت قرطبة وبغداد مقصد العلماء ومنبعي العلوم والفنون[1].

فما أن اعتلى الأمير عبد الرحمن الداخل عرش الإمارة الأموية عام 138هـ/755م حتى قام ببناء جامع قرطبة، الذي أصبح منارةً للعلم في الغرب الإسلامي على الإطلاق، ووصل عددُ المساجد في قرطبة في عهده أربعمائة وتسعين مسجداً، ثم زادت بعد ذلك كثيراً [2].

وأشادت المصادر التي أرَّخت للأندلس بدور الأمراء الأمويين في رعاية الحركة العلمية واهتمامهم بالعلم، منذ عهد الداخل، فعلى الرغم من الأحداث السياسية الداخلية العاصفة التي شهدها عهده إلا أن ذلك لم يمنعه من الاهتمام بالعلم والتعليم، ليس على المستوى الرسمي فحسب، بل على المستوى الشعبي أيضاً.

وفي عهده شهدت الأندلس تقدماً كبيراً في العلوم، وفي الاهتمام الكبير بالعلماء، وزادت الرحلات العلمية إلى المشرق وبخاصة من جانب الطلاب الذين أتموا تعليمهم الأول في الأندلس[3]، فظهرت في مجالس التعليم في القيروان والإسكندرية والفسطاط[4] وبغداد ودمشق والمدينة ومكة أسماء طلبة من الأندلس، حيث جذبتهم المجالس العلمية في المدن التي مرّوا بها، فجلسوا يتعلمون ويؤلفون الكتب ويحملونها معهم أثناء عودتهم مع ما أمكنهم الحصول عليه من الكتب من البلاد التي مرّوا بها[5].

---

[1] العكش، إبراهيم، **التربية والتعليم في الأندلس**، ص77.

[2] عيسى، محمد: **تاريخ التربية والتعليم في الأندلس**، ص79.

[3] عيسى، محمد، ص79.

[4] الفسطاط: مدينة تقع على ساحل النيل في طرفه الشمالي الشرقي، سميت بفسطاط عمرو بن العاص لأنه خط منازل العرب حولها، وقيل لأنه ضرب بفسطاطه ذلك الموضع حين دخل مصر، وهي مدينة كبيرة، غاية في العمارة، فسيحة الطرقات، قائمة الأسواق، نافقة التجارات، وطولها ثلاثة فراسخ، ويمتد النيل من أعلى أرضها فيجتاز جنوبها وينعطف مع غربها، انظر: الحميري، ص(441–442).

[5] المقري، ج2، ص5؛ انظر أيضاً: عيسى، محمد، ص79.

أدى اتّساع الدولة إلى اهتمام الداخل بالحركة العلمية في الأندلس وتشجيعه عليها، فازدادت الحاجة إلى مزيد من العلماء والمعلمين والمؤدبين، وبخاصَّة لأبناء الطبقة الحاكمة. وهذا ما استشعره الأمراء الأمويون الذين جاؤوا بعد الداخل، حيث حرصوا على توسعة جامع قرطبة من أجل مواكبة التطورات المجتمعية والعلمية، ولعل من أكبر الزيادات التي حصلت فيه؛ تلك التي أجراها الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط، والخليفة عبد الرحمن الناصر، وابنه الحكم المستنصر(350–366هـ/961–976م)[1] ليصبح فيما بعد من أكبر المساجد في العالم الإسلامي[2].

ونتيجة للعدد الكبير من الطلبة الذين تلقوا علومهم في جامع قرطبة وفي غيره من المساجد والمرافق التعليمية، شغل الكثير منهم مناصب مكنتهم من التحكم بالسيادة الداخلية في عهد الأمير هشام الرضا، ثم ما لبث هؤلاء أن ثاروا خلال عهد الأمير الحكم الربضي في سنة 202هـ/808م فيما ما عرف لدى المؤرخين بثورة الربض[3]، وبذلك يكون عبد الرحمن الداخل هو من مهد الطريق لولده هشام الرضا من أجل استكمال ما بدأه وسار عليه والده.

واستمراراً للسياسة التي سار عليها عبد الرحمن الداخل فقد واصل ابنه هشام الرضا على نهجه في التشجيع على طلب العلم، واتخذ الأمير لأبنائه مؤدبين شُهِد لهم بالعلم وحسن الخُلُق، ومن هؤلاء المحدّث والفقيه شِمْرُ بن نُمَيْر[4] الذي قدم إلى الأندلس وأسند إليه مهمة تأديب ابنه الحكم، واسكنه لهذا الغرض في الدار المعروفة بشِبْلارَ وهي أحد أرباض قرطبة الشرقية[5].

---

(1) المستنصر: أبا العاص، ولد سنة 302هـ/ 915م، كان محباً للعلوم ومكرماً لأهله، واشتهر بجمعه الكتب الثمينة بكل أنواعها والتي كانت ترسل إليه من مختلف أقطار العالم الإسلامي، انظر: ابن الفرضي، ج1، ص37؛ الضبي، ج1، ص40.

(2) عباس، إحسان، **التعليم في الأندلس حتى نهاية القرن الرابع الهجري**، موسوعة المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، ج1، ص55.

(3) عيسى، محمد، ص79.

(4) شِمْرُ بن نُمَيْر: مولى بني أمية لآل سعيد بن العاص، يكنى أبا عبد الله، ويقال انه من فحص البلوط، روى الحديث عن نافع بن يزيد، قدم إلى الأندلس أيام الأمير هشام الرضا وبقي بها إلى أن توفي، وكان ابنه عبد الله جليس الأمير عبد الرحمن الأوسط، انظر: ابن الفرضي، ج1، ص(271 –272).

(5) ابن الفرضي، ج1، ص(271–272).

ولم يكن للأمير هشام الرضا أن يهتم بالعلم والتعليم لولا الصفات الشخصية التي تمتع بها، تلك الصفات التي اشتملت على الثقافة العالية والتعليم الذي تلقاه منذ صباه، فانعكس ذلك الأمر تجاه الأندلسيين وعلمائهم[1].

وكان أبوه الداخل قد ربّاه على يد أفضل المربين والمعلمين، وشجعه وأخاه الأكبر سليمان على حضور المجالس العلمية في المسجد الجامع في قرطبة، حتى يؤهله لتولي الحكم وما يستلزمه ذلك من العلم والعدالة والإنصاف، وقيل إن الأمير هشاماً عرف بذكائه وبشاشته وقدراته الإدارية الفذّة، مما كان مبعث السرور لوالده الذي كان يميل إليه لهذه الصفات[2].

ومن مظاهر اهتمام الأمير هشام الرضا بالعلم وأهله والتشجيع عليه؛ اهتمامه بطلبة قرطبة وعلمائها الذين أتيحت لهم زيارة الأماكن الإسلامية المقدسة من أجل تأدية فريضة الحج، وتشجيعهم على الاستمرار في ذلك، فعمل على الاهتمام بأن يحْضُر هؤلاء إلى الأندلس وقد حملوا معهم مزيداً من العلوم الإسلامية في المشرق[3]، وقد رحل في عهده كثيرون إلى المدينة لتعلُّم فقه الإمام مالك بن أنس(ت. 179هـ/795م)[4].

وقد أصبحت الرحلة في طلب العلم إلى المشرق تقليداً متبعاً في قرون متوالية[5]، ونتيجة ونتيجة لذلك كله بدأ الأندلسيون يتحولون من المذهب الأوزاعي إلى المذهب المالكي الذي دخل إلى الأندلس في عهده، ثم ما لبث هذا المذهب أن سيطر على الحياة الدينية والتعليمية، فقد اهتم الأمير اهتماماً خاصاً بهذا المذهب، وأخذ يمنح المناصب القضائية والدينية لأولئك الذين يعتنقونه[6].

---

(1) ابن الأبار، التكملة، ج1، ص65.

(2) نفسه، ص42.

(3) لسان الدين بن الخطيب، تاريخ اسبانية الإسلامية أو أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام، ص(12–13).

(4) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن الحارث: ولد سنة 92هـ/710م في خلافة سليمان بن عبد الملك، وكان أول طلبه للعلم في حدود سنة110هـ/728م، كان إماماً في الحديث، ومن أصحاب المذاهب الفقهية الأربعة، ومن أهم مؤلفاته الموطأ، انظر: الذهبي، تاريخ، ج11، ص(316–317)،(321–322).

(5) مجهول، أخبار، ص109؛ انظر أيضاً: ضيف، شوقي، ص62.

(6) المقري، ج2، ص(34–35)؛ انظر أيضاً: الشعراوي، أحمد: الأمويون، أمراء الأندلس الأول، ص180.

لعل من مظاهر تشجيع الأمير هشام الرضا لحركة العلم والتعليم؛ اهتمامه باللغة العربية، فجعلها لغة الدولة ولغة العلم؛ حتى قيل إنه جعل اللغة العربية لغة التعليم الرئيسة لـدى اليهـود والنصارى، فكتبوا بها لروعة دلالات مفرداتها وتعبيراتها البليغة[1].

وأما الأمير الحكم الربضي، فقد سار في بداية أمره على نحو مغاير للسياسة التي اتبعها أبوه، نتيجة تنامي وتصاعُد وتدخُّل العلماء والفقهاء في شؤون الدولة، على خلفية سلوكياته السيئة التي كان يمارسها، فعمل على إقصاء الفقهاء، ومنعهم من التدخل في شؤون الحكـم، وقصـر عملهم على إقامة الشعائر الدينية والفصل في القضـايا، فثـارت ثـائرتهم وراحـوا يسـبوّنه ويحرضون العامة عليه، مما أدى إلى اندلاع ثورة أهل الـربض ضـده فـي قرطبـة سـنة 202هـ/818م[2].

ثم ما لبث أن أصدر الربضي خلال السنوات الأربع الأخيرة من سنوات حكمه عفواً عن الشخصيات الدينية كالفقيهين يحيى بن يحيى الليثي وطالوت الفقيه، و عمل على تشـجيع العلـم والعلماء فازدهرت في نهاية عهده الآداب والعلوم وظهر الكتاب والشعراء والعلمـاء[3]، وفـي مقدمتهم الشاعر عباس بن ناصح الثقفي(ت. 237/852م) الذي برع في علوم الشـعر والأدب واللغة، بالإضافة إلى الهندسة والفلك والفلسفة، وكانت له منزلة خاصة عند الحكم، وكلفه بالسفر إلى المشرق لالتماس الكتب القديمة، فأتاه بكتاب السند هند[4]، وغيره من الكتب، فأفاد فيها ولده عبد الرحمن الأوسط، ثم عين الأمير الشاعر عباس قضاء الجزيرة بلده ومسقط رأسه، ثم ولـي من بعده ولده عبد الوهاب بن عباس[5] وكان على شاكلة والده شاعراً نابغاً[6].

---

(1) الروضان، عبد عون، **موسوعة تاريخ العرب**، ج2، ص719؛ عنان، ج1، ص229.

(2) الروضان، ج2، ص719.

(3) عيسى، محمد، ص(88–89).

(4) السند هند: من مذاهب بلاد الهند في علم النجوم، ومنه انبثقت الأزياج، أي الجداول الفلكية الخاصة بالتنجيم، نقحّه وأعاد كتابته واستفاد منه محمد بن موسى الخوارزمي(ت. 232هـ/847م) سنة 215هـ/830م، انظر: صاعد الطليطلي، **طبقات الأمم**، ص54؛ انظر أيضاً: غليك، توماس، **التكنولوجيا الهيدرولية في الأندلس**، الجيوسي، سلمى، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، ج2، ص1330.

(5) عبد الوهاب بن عباس بن ناصح: من أهل الجزيرة، رحل في أيام الأمير عبد الرحمن الأوسط، وسمع بالقيروان من منصور بن سعيد، وبمصر من أصبغ بن الفرج، ورجع إلى الأندلس فولي قضاء الجزيرة، انظر: ابن الفرضي، ج1، ص374.

(6) ابن سعيد المغربي، **المغرب في حلى المغرب**، ج1، ص45؛ انظر أيضاً: الشعراوي، ص219.

وبعد وفاة الحكم الربضي تولى الحكم من بعده ابنه عبد الرحمن الأوسط، فأسهم في استقرار البلاد في عهده، وقد نتج عن هذا الاستقرار تدفق الكثير من مظاهر الحضارة الشرقية إلى بلاد الأندلس، ومما ساعد في ذلك أيضاً طبع الأمير عبد الرحمن المفطور على الأدب والعلم، فضلاً عن مزاجه الهادئ وإحساسه المرهف في تذوق الجمال، في وقت كانت تعيش فيه الأندلس حالة من التنافس الحضاري مع بغداد بشكل خاص والمشرق بشكل عام، وقد نشأ عبد الرحمن الأوسط محباً للعلوم شغوفاً بها، نصيراً للعلماء والأدباء، وكان عالماً بالعلوم الشرعية، وقال عنه ابن القوطيه(ت. 367هـ/977م): "إنه التزم أكرام أهل العلم وأهل الأدب والشعر في دولته وإسعافهم في مطالبهم كلها"[1] وقال ابن سعيد المغربي(ت. 685هـ/1286م) في كتابه المغرب: "عني أبوه بتعليمه وتخريجه في العلوم الحديثة والقديمة، وكان من أهل التلاوة للقرآن والاستظهار، وكان يداخل كلُّ ذي علمٍ في فنِّه"[2]، وأما ابن خلدون(ت. 808هـ/1405م) فقال عنه: " كان عالماً متبحراً في علوم الدين والفلسفة "[3]، الأمر الذي أعاد للفقهاء امتيازاتهم الأدبية والاجتماعية، وعمل على تكريم العلماء والفقهاء وفي مقدمتهم يحيى بن يحيى الليثي -كبير الفقهاء-، حيث جعله كبير مستشاريه[4].

ومن مآثر الامير عبد الرحمن الأوسط تشجيعه أهل الأندلس على الاهتمام بعلوم الأوائل، فأقبل الطلاب في عهده على حلقات العلماء، وبخاصة في جامع قرطبة وكانوا يعدون بالمئات، فعلى سبيل المثال؛ كانت حلقة كبير الفقهاء عبد الملك بن حبيب السلمي(ت. 238هـ/852م)[5] تضم الكثير من الطلاب[6].

---

[1] ابن القوطية، ص75.

[2] ابن سعيد المغربي، ج1، ص45.

[3] ابن خلدون، **تاريخ**، ج4، ص167.

[4] ابن سعيد المغربي، ج1، ص46؛ انظر أيضاً: الشكعة، ص101.

[5] ابن حبيب السلمي: هو عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي العباسي الأندلسي، أخذ العلم عن الغازي بن قيس، وزياد اللخمي، وارتحل إلى مكة فأدى فريضة الحج، وأخذ العلم عن عدد من أصحاب مالك ورجع إلى قرطبة بعلم وفقه كثير، انظر: الذهبي، **سير**، ج12، ص(102-103).

[6] ابن فرحون، ج2، ص9؛ انظر أيضاً: ضيف، **شوقي**، ص63.

وكان الأمير الأوسط قد أولع بعلمي الفلك والتنجيم ودراستهما، فأحاط نفسه بنخبة من علماء الفلك وأغدق عليهم الأرزاق والمنح[1]، وقام على دراسة هذه العلوم على يد أساتذة ذلك الفن مثل العلامة الرياضي عباس بن فرناس(ت. 274هـ/887م) وعبد الله بن الشمر [2] وعبد الواحد بن اسحق الضبي (ت. 238هـ/852م)، وهم جميعاً مشاهير عصره في هذه العلوم، وكان الأمير يقرِّبهم ويشجعهم ويُجزل لهم العطاء[3].

ومن الأمور التي أولى عبد الرحمن الأوسط اهتماماً كبيراً بها؛ قيامه بجمع الكتب القيمة واستنساخها، فقد قام باقتناء عددٍ لا بأس به من الكتب في كافة العلوم والمعارف في عصره، فشكّلت نواة مكتبة قرطبة العظيمة[4]، كما كان مولعاً بمطالعة كتب الطب والفلسفة القديمة، فبفضل جهوده انتقل كثير من التراث اليوناني والفارسي إلى قرطبة[5].

وشكلت الأندلس بدورها محطّ جذبٍ لكثير من الشخصيات الحضارية المشرقية وعلى رأسها العالم علي بن نافع الملقب بزرياب الذي وصل إلى الأندلس في عهده، وقيل إن الأمير قد كتب إلى أحد عماله على البلاد بأن يحسنوا إليه ويوصلوه إلى قرطبة[6].

وشهد عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط استمراراً لسياسة والده الأمير عبد الرحمن في تشجيع طلب العلم وتحصيله لما عُرف عنه من شغفه به، فقد قال عنه الحميدي: إنه كان محباً للعلوم، مؤثراً لأهل الحديث، عارفاً من السيرة [7]، فكان عهده بحق عهد ازدهار علمي كما كان عهد والده، ولم تعتمد علوم الفقه والحديث خلال عهده على المدوَّنة [8] فحسب،

---

(1) المقري، ج1، ص347؛ انظر أيضاً: حسن، حسن إبراهيم، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، ج2، ص(322–323).

(2) عبد الله بن الشمر: من أهل وشقة، يكنى أبا محمد، كانت له عناية بالعلم وله رحلة، كان عالماً بالعلوم وشاعراً مجيداً، انظر: ابن الفرضي، ج1، ص309.

(3) ابن عذارى، ج2، ص92؛ انظر أيضاً: الشعراوي، ص280.

(4) الشعراوي، ص280.

(5) المقري، ج1، ص347.

(6) نفسه، ج3، ص125.

(7) الحميدي، ص31.

(8) المدوَّنة: كتاب في فقه المالكية، بدأ جمعه أسد بن الفرات، بعد أن سمع بمصر عن الفقيه المالكي عبد الرحمن بن القاسم، فسمي كتابه الأسديّه وعندما أضاف عليه سحنون ما أضاف سميٍّ بالمدوَّنة أي مدونة سحنون، وروى سحنون كذلك هذه المجموعة وجعلت رواية سحنون هي الأساس، انظر: ابن خلكان، ج3، ص(181–182).

وإنما حرص العلماء على الرحلة في طلب مصادر فقهية ودينية أخرى، حيث ارتحل كل من بقيّ بن مخلد(ت. 276هـ/889م) ومحمد بن عبد السلام الخشني(ت. 286هـ/899م)[1]، إلى بلاد المشرق فجلبا إلى بلاد الأندلس مصنَّف ابن أبي شيبة[2] في الحديث، بالإضافة إلى فتاوي التابعين[3].

ومن مظاهر تشجيع الأمير محمد على العلم أنه عندما أنكر جماعة من أهل الرأي على بقيّ بن مخلد قراءة كتاب مصنف ابن أبي شيبة في الحديث وعلم الأمير بأمره؛ أمر أن يُقرأ الكتاب بأجزائه كلها، وعندما أنهى قراءته أمر الأمير خازن الكتب أن ينسخ نسخة من الكتاب ويضعها في الخزانة الأميرية، كما أمر بَقِيّاً في الاستمرار في نشر علمه حتى ينتفع من علمه الناس، ونهى من خالفوه الرأي التعرُّض له، ومن ذلك أيضاً أنّه لما جاء ابن عبد السلام من المشرق يحمل كتاب الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد القاسم بن سلام(ت. 224هـ/838م)[4]؛ عارضه الفقهاء على تعليمه الكتاب للطلاب في المسجد، إلا أن الأمير وقف إلى جانبه ونهاهم عن التعرُّض له[5] ومن الأمثلة الأخرى على اهتمام الأمير محمد بن عبد الرحمن بالعلماء، احتضانه للفقيه القرطبي قاسم بن محمد بن سيّار(ت. 278هـ/891م)[6]، وكان ابن سيّار قد رحل إلى المشرق وتعلم على يد أساتذة المذهب الشافعي هناك، وحينما عاد إلى الأندلس اختلف مع اتباع المذهب المالكي الذي يقوم على الحفاظ على آراء من سبقهم وعدم قبولهم للتجديد، وقرر أن ينشر بين مواطنيه مبادئ المدرسة الجديدة، عن طريق التعليم والتأليف[7].

---

(1) الخشني محمد بن عبد السلام: من أهل قرطبة، يُكَنَّى أبا عبد الله، رحل إلى البصرة وسمع عن نصر بن علي، وأخذ كتب اللغة، وسمع بمكة وبمصر عند عدد من العلماء، وكان فصيح اللسان، انظر: ابن الفرضي، ج2، ص(23–24).

(2) مصنف ابن أبي شيبة: هو مصنف في الحديث لعبد الله بن محمد القاضي أبي شيبة(ت. 235هـ/850م)، جمعه ورتبه وصنف فيه المسند والأحكام والتفسير، انظر: الذهبي، سير، ج11، ص(122، 125).

(3) الحميدي، ص31.

(4) القاسم بن سلام: كان أبوه عبداً رومياً لرجل من أهل هراة، وقد اشتغل ابو عبيدة بالحديث والأدب والفقه، ويقال إنه أول من صنف في غريب الحديث، وله العديد من المصنفات، انظر: ابن خلكان، ج4، ص(60–63).

(5) ابن حيان، المقتبس من أنباء الأندلس، ص(263–264)؛ ابن سعيد المغربي، ج1، ص52؛ ابن عذارى، ج2، (ص109–110).

(6) قاسم بن محمد بن سيار: يكنى أبا عبد الله، من موالي بني أمية، سمع عن أبيه ومن بقيّ بن مخلد وسمع من علماء بغداد والإسكندرية والقيروان، وكان عدد من أخذ عنهم يزيد على مائة وستين رجلاً، وكان عالماً بالفقه متقدماً في علم الوثائق، انظر: المقري، ج2، ص(62– 63).

(7) المقري، ج2، ص5.

وكان الأمير محمد بن عبد الرحمن على علم كبير بالحساب[1]، ومن الثابت وجود مكتبة ملكية منذ إمارته تطورت بشكل هائل في ظل إمارة الحكم الثاني، وضمت المكتبة فيما بعد في ظل خلافة الحكم أربعمئة ألف كتاب[2].

لقد أدى الاهتمام الذي قام به كل من الأميرين عبد الرحمن الأوسط وابنه محمد إلى ازدياد تطور الحركة الثقافية ونموها في الأندلس، بحيث أنه حينما تعرضت لفترة طويلة من التمزق، امتدت على مدار حكم الأمير عبد الله، لم تتأثر هذه الحركة على الرّغم من كونها أسوأ فترات حكم أسرة بني أمية سياسياً، إلا أنها ظلت محتفظة بضوئها الثقافي والعلمي[3].

ونظراً لقصر مدة حكم الأمير المنذر بن محمد حيث لم يدم حكمه سوى سنتين[4]، وبسبب انشغاله بمقارعة ثورة عمر بن حفصون، فإن المصادر التاريخية لم تسجل خلال عهده معلومات ذات قيمة حول النواحي العلمية[5].

وأما الأمير عبد الله بن محمد آخر أمراء عصر الإمارة في بلاد الأندلس؛ فقد وصف بأنه كان من أهل العقل والسخاء والإكرام لأهل العلم، ووصف بالصلاح والفضل، كما أنه كان يجزل العطاء للشعراء، ومن أهم شعرائه أحمد بن عبد ربه(ت. 327هـ/938م)[6] الذي اشتهر في تلك الفترة[7].

ومن مظاهر اهتمام الأمير عبدالله بالعلم والأدب، أنه قرب الأدباء والشعراء من مجلسه فحظوا برعايته، ومنهم الشاعر موسى بن محمد بن جرير المعروف بالزاهد(ت.

---

(1) مجهول، **أخبار**، ص126.

(2) ابن سعيد المغربي، ج1، ص186.

(3) عيسى، محمد، ص100.

(4) مجهول، **أخبار**، ص132.

(5) ابن القوطية، ص113؛ ابن عذارى، ج2، ص279.

(6) أحمد عبد ربه: ولد سنة 246هـ/860م وهو من أهل العلم والأدب والشعر، اشتهر بمدحه لأمراء الأندلس محمد وعبدالله والمنذر، وله كتاب العقد الفريد، وقد سمي كتابه بالعقد لنظم عقده، وقد جمع فيه الكثير من الشعر، انظر: الحميدي، ص(151-152).

(7) ابن عذارى، ج2، ص120.

310هـ/922م)[1] حيث لعب وغيره دوراً مهماً في عهده[2]، كما شهد عصر الأمير عبد الله بن محمد ظهور المفكر والفيلسوف الأندلسي محمد بن عبد الله بن مسرة (ت. 319هـ/931م)[3].

وكذلك فقد اهتم بمكانة الوزراء لديه وقربهم من مجلسه، ومنهم الوزيران الأديبان عبد الملك بن جهور[4] وعبد الملك بن شهيد، وكان من عادته أن يلجأ إلى العلماء وأهل الرأي في المشورة، ويستعين بآرائهم وأحكامهم فيما يواجه من أمور تستجد عليه[5]، وكان بقيٌّ بن مخلد الأكثر حظوة لديه، وكان يبجله ويزوره في داره ويقتبس منه ويستمع لنصحه[6].

ومن المعروف أن الأمير عبد الرحمن الناصر تولى حكم الإمارة الأندلسية سنة300 هـ/890م، وظلَّ ست عشرة سنة كاملة مستخدماً لقب أمير، ولم يتسمَّ خليفة، وتسمى بالناصر لدين الله، ولقب نفسه بالخليفة سنة 316هـ/928م، وذلك عندما بلغه ضعف الخلافة العباسية في العراق، وعندما لقب الفاطميون أنفسهم بالخلفاء وغدوا خطراً يهدد الأندلس، يضاف إلى ذلك شعور الناصر بقوة الدولة الأموية في عهده[7].

واستكمالاً لمسيرة الرعاية والتشجيع التي حظي بها العلماء خلال عصر الإمارة الأموية في الأندلس؛ فقد شهد عهد الناصر حركة علمية واسعة، من خلال فتح الباب على مصراعيه لاستجلاب العلماء المشارقة إلى الأندلس، ومن الصعب تحديد عدد الوافدين الذين جاؤوا في هذه الفترة لكثرتهم، ومن أبرز الوافدين على الأندلس في هذه الفترة أبو علي القالي البغدادي(ت. 356هـ/967م)[8]، والذي كان له تأثير كبير على جيل من المعلمين والتلاميذ، وعلى نهضة

---

[1] موسى بن جرير: يكنى أبا عمران، المقري النحوي الضرير، تلميذ ابن شعيب السوسي(ت. 261هـ/875م)، انظر: السيوطي، **بغية**، ج2، ص306.

[2] الحميدي، ص386؛ السيوطي، **بغية**، ج2، ص306.

[3] ابن الفرضي، ج2، ص55.

[4] عبد الملك بن جهور: يكنى أبا مروان، وزير أديب وشاعر وكاتب، كان أيام الناصر، انظر: الضبي، ج2، ص489.

[5] الضبي، ج2، ص489؛ ابن سعيد المغربي، ج1، ص77.

[6] الحميدي، ص252.

[7] نفسه، ص33.

[8] أبو علي القالي: إسماعيل بن القاسم، ولد بأرمينيه، ودخل بغداد في طلب العلم فعُرف بالبغدادي، خرج إلى الأندلس في عهد عبد الرحمن الناصر فأكرمه، وله العديد من المصنفات أشهرها كتاب البارع في اللغة، انظر: القفطي، **إنباه**، ج1، ص(239-241).

علم اللغة في الأندلس، أضف إلى ذلك أنه قام بتأديب الحكم المستنصر ابن الأمير الناصر، وتتلمذ عليه عدد كبير من طلبة العلم في قرطبة، كما أنه صنَّف العديد من المؤلفات النافعة، وعند دخوله الأندلس حمل عدداً من الدواوين الشعرية التي أغنت طلاب العلم في الأندلس عن الرحلة إلى المشرق[1].

وكما عمل الناصر على استجلاب البارزين من علماء الأقاليم إلى قرطبة، إما للإقامة بها أو لإعطاء بعض الدروس، ثم العودة إلى مدنهم، مثلما كان الحال مع أبي يحيى زكريا بن خطاب التطيلي[2]، الذي رحل سنة 293هـ/905م وقدم إلى الأندلس، وكان الناس يرحلون إليه في تطيلة[3] للسماع منه[4]، كما قام الأمير الناصر بإرسال عشرة آلاف دينار إلى الفقيه المالكي المالكي محمد بن القاسم بن شعبان(ت. 355هـ/966م)[5] في الفسطاط، وهو أندلسي الأصل، ليفرقها على شيوخ المالكية، وهذا العمل ان دلّ على شيء فإنما يدُلُّ على اهتمام الناصر بالعلماء حتى ولو كانوا خارج حدود دولته[6].

كما اهتم الأمير الناصر بالحث على تأليف الكتب وإغداق العطايا على العلماء لكي يقوموا بالتأليف، فقد قام أحمد بن عبد ربه بجمع ديوانه الشعري البالغ أكثر من اثنين وعشرين جزءاً بتشجيع من الحكم المستنصر على عهد أبيه[7]، وهذا يدل على مدى اهتمام الحكم في عهد والده الناصر بالموضوعات الشعرية واللغوية والأدبية.

---

(1) المقري، ج3، ص75؛ انظر أيضاً: الضيف، **شوقي**، ص64.

(2) أبو يحيى زكريا بن خطاب التطيلي: رحل سنة 293هـ/905م إلى مكة وسمع كتب النسب للزبير بن بكار(ت. 256هـ/870م)، وروى موطأ مالك بن أنس، ثم وفد إلى الأندلس وسمع من جماعة من أهل قرطبة، ولي قضاء بلدة تطيلة، انظر: المقري، ج2، ص632.

(3) تطيلة: مدينة تقع شمال الأندلس في جوف وشقة، وبين الجوف والشرق من مدينة سرقسطة، ويطوف بجنات تطيلة نهر كالش، وتمتاز بخصوبة تربتها، وكانت مدينة عامرة، انظر: الحميري، ص133.

(4) المقري، ج2، ص632.

(5) محمد بن القاسم بن شعبان: يكنى أبا اسحق، رأس المالكية في مصر، وأحفظهم لمذهب مالك، برع في الكثير من العلوم، له كتاب في الفقه وكتاب في أحكام القرآن، انظر: ابن عياض، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، ج5، ص(274–275).

(6) ابن عياض، **ترتيب**، ج5، ص(274–275).

(7) الضبي، ج1، ص191.

ومما يسجل لعبد الرحمن الناصر وولي عهده الحكم المستنصر تشجيعهم العلماء للحصول على مؤلفات من كافة البلاد الإسلامية وخاصة من بغداد، فأرسلا رسلاً أكفياء إلى بغداد مزودين بمبالغ ضخمة من المال، واوصاهم أن يسلكوا كل السبل من أجل الحصول على أهم الكتب الموجودة في دور العلم، وبذل هؤلاء الرسل كل الجهود، ونجحوا في هذه المهمة، وعادوا من دار الحكمة وقد نقلوا أكثر ما ترجم من المؤلفات وحفظت هذه المؤلفات في مكتبة قرطبة[1]، مما أدى إلى تضخم مكتبة قرطبة بصورة كبيرة.

وثمة جانب أخر تتجلى فيه عناية الناصر بالتعليم ألا وهي رعايته للعلماء والفقهاء والمعلمين، فكان يستقبلهم في مجلسه ويمنحهم جوائزه، ولم يقتصر ذلك على المشهورين منهم بل وصلت أياديه البيضاء إلى معلمي الكُتّاب[2]، وفي هذا يقول ابن الفرضي(ت. 403هـ/1012م): "إن محمد أحمد بن يحيى الزهري (ت. 325هـ/936م)[3] المعروف بالإشبيلي الزاهد، كان يدخل على أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد ويأخذ جوائزه"[4].

المراحل التعليمية ومناهج الدراسة:

المرحلة الأساسية: اهتمت الأُسر الأندلسية بتعليم أبنائها منذ نعومة أظافرهم، فشكل البيت الأندلسي المدرسة الأولى، حيث تصدر الآباء والأمهات لتعليم أبنائهم أساسيات القراءة والكتابة والقرآن الكريم؛ قبل انتقالهم إلى مجالس المعلمين والمؤدبين في المساجد وفي غيرها من أماكن التعليم[5].

فعالم التربية ابن حزم الأندلسي، وضع طريقة مثلى ليتبعها الآباء تجاه ابنائهم، فيقول: "فالواجب على من ساس صغار ولدانه، أو غيرهم أن يبدأ منذ أول اشتدادهم وفهمهم ما يُخاطَبون به، وقُوَّتهم على رجع الجواب، وذلك يكون في خمس سنين ونحوها من مولد الصبي، فيسلِّمهم

---

(1) عيسى، محمد، ص113.

(2) نفسه.

(3) محمد أحمد بن يحيى الزهري: المعروف بالأشبيلي الزاهد، من أهل قرطبة، يكنى أبا عبد الله، روى عن محمد بن وضاح، كان معلم كُتَّاب وكان أهل الحسبة والمعلمون يجتمعون ويقرأون عليه، انظر: ابن الفرضي، ج2، ص62.

(4) ابن الفرضي،ج2، ص62.

(5) القابسي، الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، ص92؛ انظر أيضاً: عيسى، محمد، ص215.

إلى مؤدب"[1]، ومعنى ذلك عند بلوغ الطفل خمس سنين يصبح قادراً على تعلم مفردات اللغـــة، لذا يجب على الوالد إلحاقه بالكتاتيب[2]، وبهذا يكون المنزل قد لعب دوراً أساسياً فـــي التكـــوين العقلي للأطفال، وترك بصمته الثقافية في وجدانهم بتشجيع من الأهـــل والأقـــارب وبخاصـــة المتعلمين منهم.

واضطلع الأهالي بمسؤولياتهم المالية تجاه أبنائهم من خلال دفع أجور التعليم بعد انتقال الأبناء إلى حلقات العلم، ولم يهملوا متابعتهم في المنازل بعد عودتهم مـــن الكتاتيـــب وحلقـــات الدرس[3].

ولم يكن الحرص والاهتمام بالتعليم مقتصراً على طبقة اجتماعية بعينها، بل شمل معظم طبقات المجتمع الأندلسي، مع الإشارة إلى أن التعليم لدى أبناء الأمراء والطبقات الغنيـــة كـــان يأخذ مساراً أوسع وأدق فاهتم الخلفاء والأمراء والقواد بتعليم أبنائهم في القصور وذلك من أجل إعداد أبنائهم لتحمل أعباء المسؤولية التي ستلقى على كاهلهم مستقبلاً [4].

وكان من عادة الأمراء ورجالات الدولة والأغنياء في الأندلس إحضار العلماء والمؤدبين إلى القصور وإفراد غرف خاصة يعلمون بها أبناءهم، فكثيراً ما نسمع أن هذا العالم قد أدب أبناء أحد الأمراء، وأن بعضهم الأخر قد اختص بأبناء الأغنياء وتأديبهم[5]، فالأمير هشـــام والأميـــر الحكم انتدبا الغازي بن قيس(ت. 199هـــ/814م)[6] لتعليم أبنائهما[7]، كما تأدب أبنـــاء الأميـــر هشام بن عبد الرحمن على يد سوار بن طارق[8]، و تأدب الأمير عبد الرحمن الأوسط على يد

---

[1] ابن حزم الأندلسي، **رسائل ابن حزم الأندلسي**، ج4، ص65.

[2] أبو صالح، وائل، **التربية اللغوية في الأندلس: عصر سيادة قرطبة**، ص1.

[3] القابسي، ص92.

[4] عيسى، محمد، ص429؛ أبو صالح، ص5.

[5] عيسى، محمد، ص 429.

[6] الغازي بن قيس: هو أبو محمد الأندلسي المقرئ، له رحلة إلى المشرق، وأخذ العلم عن الأوزاعي، والإمام مالك، وحفظ الموطأ، وكان أماماً عابداً، برع في رسم المصاحف، انظر: الذهبي، **سير**، ج9، ص322.

[7] الزبيدي، **طبقات النحويين واللغويين**، ص255.

[8]سوار بن طارق: مولى عبد الرحمن الداخل، رحل إلى البصرة، وعاد إلى الأندلس وعمل على تأديب الأمير الحكم الربضي، وأدخل إلى الأندلس علماً كثيراً، انظر: المقري، ج2، ص46.

أبي محمد بكر بن عبد الله الكلاعي(ت. 305هـ/917م) الذي كان مؤدباً في النحو[1]، بالإضافة إلى تأدب أبناء الأمير محمد بن عبد الرحمن على يد محمد بن أرقم السبائي[2] وهو من أهل قرطبة، كان ممن يبصر باللغة والحساب[3]، وتأدب أبناء الأمير عبد الله بن محمد على يد أيوب بن منصور الأنصاري[4]، الذي كان عالماً بالإعراب[5].

وبالإضافة إلى القصور؛ فقد عمل المؤدبون في البيوت أيضاً، وبخاصة بيوت الأغنياء قد اختص بها مؤدبون وتقاضوا مقابل تأديبهم أجراً عالياً، فالشِمْرُ بنُ نُمَيْر كان نديم الأمير عبد الرحمن الداخل وكان في الوقت نفسه يؤدب بني أبي عبيدة [6]، فهؤلاء بعض المؤدبين الأندلسيين الذين أدبوا أبناء الأمراء والأغنياء في الأندلس[7].

ومن الجوانب التربوية الهامة التي روعيت في تربية الأمراء، أنهم كانوا يتلقون العلم إلى جانب أطفال في سنهم حتى لا يشعروا بالعزلة ومراعاة للفوارق في القدرات التحصيلية [8].

[8].

وأما العلوم التي كان يتلقاها أبناء الأمراء فإنها تشبه المواد التي يتعلمها الصبيان في الكتاتيب مع بعض الحذف أو الإضافة، استجابة لتوجيه الوالد، وتمشياً مع الرغبة في إعداد الصبي إعداداً خاصاً يناسب الأهداف والمسؤوليات التي ستواجهه في مستقبل حياته، فولد الأمير مرشح لأن يخلف والده في أدارة البلاد، لذلك كان لا بُدَّ من الاطلاع على بعض العلوم التي يجهلها أبناء سنه وفهمها في أقصر مدة ممكنة، وهناك علوم منع الأمراء عامة الشعب دراستها

---

(1) ابن الفرضي، ج1، ص147؛ ابن سعيد المغربي، ج1، ص49.

(2) محمد بن أرقم السبائي: من أهل قرطبة، كان من أهل العلم باللغة والكلام في معاني الشعر، انظر: ابن الأبار، **تكملة**، ج1، ص289.

(3) ابن الأبار، **تكملة**، ج1، ص286.

(4) أيوب بن منصور الأنصاري: من أهل قرطبة، يكنى أبا سليمان، وكان عالماً وموصوفاً بالعدالة، كان الأمير عبد الله يسميه "الفقيه"، انظر: ابن الفرضي، ج1، ص139.

(5) ابن الفرضي، ج1، ص139.

(6) بني أبي عبيدة: هم جماعة من العرب دخلت إلى الأندلس، وهم ينتسبون إلى كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان، انتظموا في خدمة بني جهور ملوك قرطبة، انظر: المقري، ج1، ص298.

(7) الزبيدي، ص276.

(8) عيسى، محمد، ص(456-457).

أو مجرد الاطلاع عليها، فتدارسوها في بيوتهم، مثل الفلسفة والتنجيم، فكانت الأوفر حظاً عندهم، فالأمير عبد الرحمن الناصر أستأدب لولده الحكم المستنصر ملحان بن عبيد الله(ت. 340هـ/951م)[1] لتعليمه المنطق والفلسفة[2].

المرحلة المتوسطة: والمقصود بها تلك التي تلي المرحلة الدراسية الأساسية، حيث ينتقل فيها الطلاب إلى الدراسة في الكتاتيب بعد أن كانوا يتلقون تعليمهم في المنزل على أيدي آبائهم، وتتميز هذه المرحلة بتعلم الطلاب فيها العديد من العلوم بالإضافة إلى العلوم الدينية[3].

والكُتّابُ لغةً بضم الكاف هو موضع تعليم الكُتّابُ، والجمع الكتاتيب أو مكاتب، والمَكْتَبُ موضع التعليم، والمُكْتِبُ المُعلمِّ، والكُتَّابُ الصِّبيان[4]، وأما اصطلاحاً فالمكان الذي يتعلم فيه الصغار القرآن الكريم والدين ومبادئ القراءة والكتابة والخط والحساب، والمعلم هو من يتولى التعليم فيه[5].

ويرجع ظهور الكُتّاب في الإسلام إلى نهاية القرن الأول أو مطلع القرن الثاني من الهجرة/ التاسع للميلاد، وأنه حتى هذا التاريخ كان حديث الوجود وقليل الانتشار[6]، وقد أكثر العرب من إنشائه في الأمصار التي فتحوها كي يعلموا صبيانهم القرآن وبعض أحكام الدين، لانشغال الآباء في أمور أخرى عن تعليم أبنائهم[7]، وفي الحديث عن بداية الكتاتيب في الإسلام أنه لما مات أبو بكر الصديقﷺ وتولى عمر بن الخطابﷺ الخلافة وفتحت بلاد الفرس والشام والجزيرة؛ بنيت فيها المساجد ونسخت المصاحف، وعلموا الصبيان في الكتاتيب قراءة القرآن[8].

---

(1) ملحان بن عبيد الله: مولى مسلمة بن عبد الرحمن، كان مؤدباً له حظ وافر من العلم باللغة، وله علم في المنطق، وكان كثير المطالعة لكتب الفلسفة، انظر: الزبيدي، ص303.

(2) الزبيدي، ص303.

(3) ابن حزم الأندلسي، **رسائل**، ج4، ص65.

(4) ابن منظور، مادة كتب، ج1، ص699.

(5) نفسه.

(6) شلبي، أحمد، **تاريخ التربية الإسلامية**، ص53.

(7) أبو صالح، ص9.

(8) ابن حزم الأندلسي، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ج2، ص67.

وأما في الأندلس فلم تكن الكتاتيب معروفة قبل قدوم العرب إليها، فالأشراف من القـوط كانوا يبعثون أولادهم إلى بلاط الملك بطليطلة ليصيروا في خدمته ويتأدبوا بأدبه، حتى إذا بلغوا سن الرشد تزوج بعضُهم بعضاً كما كان يفعل آباؤهم، وهناك عدد قليل مـن الصـبيان كـانوا يدرسون بالأديرة الملحقة بالكنائس، وهذه كانت مقتصرة على طبقة الكهنوت[1]، وكانت الكتاتيب أول نشأتها قليلة العدد، ونظراً لحاجة المسلمين لتعلم أمور دينهم ومبادئ لغتهم الجديـدة سـعياً وراء المناصب العالية؛ فقد استحدثوا الكتاتيب في بيوت المعلمين وفي المساجد[2].

ويتكون الكُتّاب من غرفة في منزل أو حانوت يستأجر، أو فناء، ولم يكن له مكان معين يقام فيه، وكان عادة ما يقام بالقرب من المسجد وربما بداخله[3]، كما كان يفعـل محمـد بـن حزم(ت. 282هـ/897م)[4] كان هو وأخته وأبوه تجمعهم كلهم دار واحدة، حيث أختص أبـوه بتعليم الصبيان واختصت أخته بتعليم البنات[5].

ويقول ابن عبدون الأشبيلي(ت. 529هـ/ 1134م): "المساجد هي بيوت الله ومواضـع الذكر، ومواضع العبادة، مشهورة بالطهارة، ويجب أن لا يؤدب فيها الصبيان، فأنهم لا يتحفظون من النجاسات بأرجلهم ولا من ثيابهم، فان كان ولا بد ففي السقائف"[6]، وقد نهى بعض المربيّن عن إقامة الكُتّاب داخل المسجد، وذلك خوفاً من عبث الصبيان[7].

وعلى الرغم من ذلك إلا أن بعض المعلمين والمؤدبين في الأندلس لم يلتزموا بها، حيث نجدهم قد اتخذوا من المساجد مكاناً لتعليم الصبيان[8]، ورأى السقطي(ت. 500هـ/1107م): "أن "أن معلمي الصبيان يجب أن يكونوا بالشوارع العامرة بالناس، وأصحاب الحوانيت" [9].

---

(1) أبو صالح، ص10.

(2) نفسه.

(3) ابن عذارى، ج2، ص240.

(4) محمد بن حزم المعلم: من أهل مدينة جيان، كان متفنناً بالحديث والرأي، وتصدر الإفتاء فيها، انظر: ابن الفرضي، ج2، ص37.

(5) ابن الأبار، **تكملة**، ج1، ص287.

(6) ابن عبدون الأشبيلي، **رسالة أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب**، ص24.

(7) القابسي، ص145.

(8) الحميدي، ص152.

(9) السقطي، **كتاب في آداب الحسبة**، ص68.

ونتيجة لذلك فقد فضلوا أن يكون المكتب قريباً من السوق أو على شوارع المسلمين وذلك تجنباً لمخاطر الطرق، وبذلك يكون قريباً من بيوت الطلاب، وهذه الكتاتيب على كثرتها كانت تقوم على جهود الأفراد، فلذا نجدها في المدن العامرة والأحياء الملحقة بها وعلى الثغور المتاخمة لحدود العدو[1].

أما من ناحية الانتشار فمن الطبيعي أن الكتاتيب قد وجدت في كافة الأحياء في المدن والقرى، وقد زاد عددها وعدد معلمي الأطفال في القرن الثاني الهجري، وما تلاه من قرون، وكانت زيادة سريعة وضخمة حتى أصبح بكل قرية كُتّاب واحد أو أكثر[2].

وقسمت الكتاتيب في تلك الفترة إلى كتاتيب أهلية ورسمية، فأما الأهلية فتلك التي قامت على نفقة أشخاص معنيين بتعليم الصغار، ولم يكن للدولة دور مباشر في إنشائها أو الأنفاق على متطلباتها أو وضع مناهج مقررة يسير عليها المؤدبون، بالإضافة إلى المساعدات المالية التي يقدمها الأمراء والأغنياء لأصحاب هذه الكتاتيب، كما أنها أقدم من حيث نشأتها مقارنة بالكتاتيب الحكومية[3]، وأما الكتاتيب الرسمية فهي تلك التي أنشأتها الدولة، وجعلت التعليم فيها لأولاد الفقراء وتعهدت بالأنفاق عليها وتزويدها بكل ما تحتاج إليه من نفقات، كأجر المعلمين، وطعام المتعلمين، والإشراف على وضع مناهج المؤدبين وفق سياستها[4].

وقد أطلق الأندلسيون لفظة المؤدب على معلم الخاصة والملوك وعلى معلم الكتاتيب، في حين اطلق المشارقة لفظة المؤدب على معلم الخاصة والملوك، تمييزاً عن معلم العامة الذي اطلقوا عليه معلم الكتاتيب، إلا أن مؤدب الكتاتيب يظل أقل مرتبة من مؤدب المساجد، فالمؤدب في المساجد قد يشغل مناصب أخرى هامة في الدولة، أما مؤدب الكُتّاب فقلما ارتقى إلى التأديب في المساجد أو شغل أي منصب في الدولة، وذلك بسبب قلة رصيده من العلم، فقد مارس بعضهم عملية التأديب بثقافة قليلة لا تتعدى حفظه أجزاء من القرآن وفهمه لبعض مبادئ اللغة والحساب[5].

---

(1) المقري، ج1، ص(220-221)؛ انظر أيضاً: أبو صالح، ص14.

(2) خنفر، خلقي، **تاريخ الحضارة الإسلامية**، ص329.

(3) أبو صالح، ص11.

(4) نفسه.

(5) الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج1، ص250.

وعرف التاريخ في الأندلس عدداً غير قليل من مؤدبي الصبيان ممن اشتهروا بحسن أخلاقهم وطيب أعمالهم، ومثال على ذلك: أحمد بن شاب بن عيسى الأموي(ت. 317هـ/931م) ويعرف بابن القزاز، وهو من أهل قرطبة، وكان يعمل مؤدباً لكُتَّاب، ويعرف بزهده وفضله[1]، وكذلك محمد بن أحمد بن يحيى الزاهد(ت. 325هـ/938م)، وكان يجتمع إليه أهل الحسبة والمعلمون ويقرأون عليه، وكان يدخل على الأمير عبد الرحمن الأوسط ويأخذ جوائزه[2].

على الرغم من ذلك فقد ظل هؤلاء المؤدبون أعلى أبناء زمانهم علماً وأدباً، فكان لهم باع طويلة في تطور الحركة العلمية في الأندلس سواء أكان ذلك في مجال التأليف، أم بإحضار الكتب المشرقية إلى الأندلس، كما كان يفعل عثمان بن مثنى(ت. 273هـ/886م)[3] والغازي بن قيس[4].

أما بشأن تأديب المعلم للصبيان فقد مُنحَ المؤدب سلطة واسعة، بالإضافة إلى مسؤولياته التعليمية، فهو مسؤول أيضاً عن الجوانب التربوية، وأهم ما يجب أن يكون موضع اهتمام المعلم هو تعليم الأولاد الصلاة، وطاعة الوالدين، والبعد عن مفاسد الأخلاق، وله الحق في معاقبتهم بالضرب[5].

وحذّر ابن خلدون من الإسراف والمبالغة في ضرب المتعلمين، لأن ذلك مضر بهم ويدفعهم نحو الكسل والكذب والخبث، وتعلُّم المكر والخديعة، وبالتالي تصبح عادة مطلقة عندهم، كما رأى أن من أسباب جبن سكان المدن وضعفهم، هي وسائل الضغط في المدرسة، وبخاصة إذا كانت العقوبات شديدة [6].

---

(1) ابن الفرضي، ج1، ص73.

(2) نفسه، ج 2، ص 62.

(3) عثمان بن مثنى: يكنى أبا عبد الملك، رحل إلى المشرق ولقي جماعة من رواة الغريب وأصحاب النحو والمعاني، وأخذ عن محمد بن زياد الأعرابي وغيره، وقرأ على أبي تمام ديوان شعره، وعاد إلى الأندلس بالكثير من العلم، انظر: السيوطي، **بغية**، ج2، ص136.

(4) ابن الفرضي، ج 1، ص 243؛ السيوطي، **بغية**، ج2، ص136.

(5) القابسي، ص122،128.

(6) ابن خلدون، **تاريخ**، ج1، ص743.

واستنتج المربون أنه لا ينبغي لمؤدب الصبيان أن يزيد في ضربهم أكثر من ثلاثة أسواط[1]، كما مُنِعَ ضرب الصبي على ظهره أو على بطنه، وإنما يضرب فقط أسفل قدميه، وكانت تسمى الفلقة[2]، كما حُددت المجالات التي يعاقب عليها الصبي، ومنها الهرب وعدم الحفظ، وإساءة الأدب والفحش في الكلام، أضف إلى هذا أنَّه كان يراعي العدل بين الصبيان في الكُتّاب، وذلك في جلوسهم وكتبهم وعرضهم وتقليب ألواحهم وضبطها وإصلاحها[3].

وكان المؤدبون في الكتاتيب الأهلية الأندلسية يأخذون أجراً ماديّاً مقابل تأديبهم الصبيان على جميع العلوم، فلعلهم في هذه الناحية متأثرون بمذهب الأمام مالك بن أنس الذي لا يعارض أخذ الأجرة على تعليم الصبيان، على أن بعض الآباء لم يكتفوا بدفعها للمؤدب بل قدموا له الهدايا بسخاء كي يهتموا بأبنائهم بشكل أكبر، وكان البعض منهم يحاول أن لا يدفع أجرة للمؤدبين[4]، فكان المؤدبون يلجأون إلى أحدهم من أجل حل هذه العقبة، وذُكر أن محمد بن لبابة(ت. 304هـ/916م)[5]: أن رجلاً رفض إعطاء أحد المؤدبين أجرته، فشكا ذلك لبقية المؤدبين بقرطبة فتعصبوا له وذهبوا إلى الغازي بن قيس فأمر من أهالي التلاميذ إعطاء المؤدبين أجرتهم على التعليم[6]، خاصة وأنها كانت بالنسبة للمؤدب وسيلة من وسائل عيشة[7].

واختلف علماء التربية في الأندلس حول السن التي يجب أن يلتحق بها الصبي بالكُتّاب، فابن حزم يرى أن سن الخامسة أو نحوها ملائمة لذهاب الصبي إلى الكتاتيب[8]، ويرى ابن خلدون أن التعليم في الصغر أشد رسوخاً وعليه يبنى علمه في المراحل الأخرى[9]، في حين

---

(1) سحنون، **كتاب آداب المعلمين**، ص53؛ السقطي، ص68؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج1، ص744.

(2) المغراوي، **جامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان**، ص46.

(3) المغراوي، ص46.

(4) المقري، ج1، ص(220-221).

(5) محمد بن لبابة: مولى آل عبيد الله بن عثمان القرطبي، يكنى أبا عبد الله، روى عن عبد الله بن خالد وأصبغ بن خليل، وكان أماماً بالفقه في أيامه، ومشاوراً في أيام الأمير عبد الله بن محمد، انظر: ابن عياض، ترتيب، ج5، ص(153-154).

(6) الزبيدي، ص256.

(7) القابسي، ص111؛ انظر أيضاً: الأهواني، أحمد، **التربية في الإسلام**، ص217.

(8) ابن حزم الأندلسي، **رسائل**، ج4، ص65.

(9) ابن خلدون، **تاريخ**، ج1، ص740.

يرى أبو بكر العربي الأندلسي(ت. 543هـ/1148م) أن الصغير منهم إذا عقل، بعثوه إلى الكُتّاب[1].

وهذا ما ذكره ابن عياض(ت. 544هـ/1149م)، أي أن المقياس العقلي هو الذي يحدِّد لكل صبي وقت دخوله إلى الكتاتيب، أضف إلى ذلك أن لكل متعلم ظروفه الخاصة، التي تجعله يختلف عن الآخرين، ولا يكاد يجمع بينهم إلا أن يبلغ الطفل مرحلة يستطيع فيها أن يعقل ما يسمع، وهناك صبيان ظهر نبوغهم العقلي وهم في الخامسة أو الرابعة من العمر، وهناك من يتأخر نموهم العقلي فيصبح في سن العاشرة وعقله لا يزال في سن الرابعة[2] وقيل: إنَّ عبد الجبار بن فتح بن منتصر البلوي(ت. 258هـ/871م)[3]، طلب العلم وهو ابن خمس عشرة سنة[4].

ومن ناحيته حذر العبدري(ت. 737هـ/1336م) من التحاق الأطفال بالكتاتيب في سن مبكرة، لأن الطفل في هذا السن لا ينتفع من القراءة والكتابة، ويرى أن أنسب الأوقات لذهاب الصبي إلى الكُتّاب لتلقي العلوم هو سن السابعة، وهو السن الذي يؤمر فيه الطفل بالصلاة[5].

وخلاصة القول أن من الأفضل أرسال الصبيان إلى الكتاتيب في سن صغيرة، وذلك لأن التعليم في صغرهم يكون أرسخ في الذهن، وخاصة فيما يتعلق بقراءة القران وحفظه، وحفظ بعض الأحاديث النبوية، مما يمكن الطفل من اجتياز علوم متقدمة في المراحل الأخرى من التعليم.

وأما عن المدة الزمنية التي يقضيها الطفل في الكُتّاب، فهي أيضاً تختلف حسب قدرة الطفل على التعلم وإمكاناته في الانتقال إلى المرحلة التعليمية التالية، ولذلك من الصعب أن نحدد سناً معينة يترك الطفل فيها الكُتّاب ويلتحق بالدراسة مع الأساتذة في الأماكن الأخرى، ويمكن

---

(1) ابن العربي، **أحكام القران**، ج4، ص1895.

(2) ابن عياض، **الالماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع**، ص(62-64)؛ انظر أيضاً: العكش، ص164.

(3) عبد الجبار بن فتح بن منتصر البلوي: من أهل فحص البلوط، أخذ العلم على عدد من شيوخ عصره، واشتهر بزهده، انظر: ابن الفرضي، ج1، ص373.

(4) ابن الفرضي، ج1، ص373.

(5) ابن الحاج العبدري، **المدخل**، ج2، ص(315-316).

القول: إنّ الطفل كان يستمر في الكُتّاب حتى سن الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة تقريباً [1]، وقد أنهى بعض الطلاب دراستهم في الكُتّاب وبدأوا في التردد على حلقات المعلمين في سن العاشرة أو الحادية عشرة، لكن الغالب أن يتردد الطفل في هذه المرحلة التعليمية فيما بعد سن الرابعـــة عشرة.

وحظي تعليم الإناث في الأندلس بالكثير من الاهتمام، وكان الكثير منهن يعملـــن فـــي التعليم في الكتاتيب[2]، ومنهن المعلمة فخر، وهي من جوراي الأمير عبد الرحمن الأوســـط[3]، وكان يفصل بين الإناث وبين الذكور في الكتاتيب، فقال سحنون(ت. 240هــ/854 م): "أكـــره المعلم أن يعلم الجواري ويخلطهن مع الغلمان لأن في ذلك فساد لهن"[4]، وكذلك قال القابسي(ت. 403هــ/1012م) في كتابه أحوال المعلمين: "ومن صلاحهم ومن حسن النظر لهم إلا يُخلط بين الذكور والإناث"[5].

وكان اليوم الدراسي في الكتاتيب الأندلسية، يبدأ منذ الصباح الباكر حتى صلاة الظهـــر ومن ثم يذهب الطلبة للاستراحة و تناول وجبة الغذاء، ثم يعودون ثانية عند صلاة العصر[6].

وكانت المواد الدراسية في كل البلاد الإسلامية تقوم على تعليم القراءة والكتابة، فمن هنا كان اهتمام الأندلسيين بهما وجعلهما في مقدمة المواد التي يجب على المتأدب دراستها في هـــذه المرحلة[7]، ويقول ابن حزم في ذلك: "وحدُّ تعلُّم القراءة بحيث أن يمهر الصبي في قراءة كـــل كتاب يخرج من يده بلغته التي يخاطب بها قومه، وكذلك يحفظ القرآن الكريم"[8].

ومن العلوم التي درسها الصبيان في هذه المرحلة ولها صلة بالعلوم الشرعية؛ الحساب، لأنه من العلوم المساعدة على فهم بعض أحكام القرآن، وكان الحديث النبوي الشريف من المواد

---

(1) عيسى، محمد، ص227.

(2) ابن الأبار، **تكملة**، ج4، ص242.

(3) نفسه.

(4) سحنون، ص41.

(5) القابسي، ص131.

(6) المغراوي، ص52.

(7) شلبي، **تاريخ**، ص48.

(8) ابن حزم الأندلسي، **رسائل**، ج4، ص66.

التي أولاها الأندلسيون اهتمامهم في هذه المرحلة، وبها يعرف ناسخ القرآن من منسوخه، والحدُّ الذي يجب أن يعرفه الصبي في هذه المرحلة عن الحديث النبوي هو حفــظ بعــض الأحاديــث الصحيحة، دون التطرق إلى معرفة صحيحه من سقيمه، فهذه العلوم المتقدمة لا تدرس بتوسُّــع في الكتاتيب[1]، ومن ناحية أخرى اهتم الأندلسيون بأن يخلطوا في تعليمهم في هــذه المرحلــة القرآن وبعض المواد الأخرى مثل رواية الشعر واللغة العربية، وأعطوا اهتماماً خاصاً بتحسين الخط حتى تميز صنف خطهم الأندلسي عن غيره بكل سهولة ويسر[2].

وعليه فإن المواد التي كانت تدرس في الكتاتيب الأندلسية مرتبط بعضها بــبعض، وأن الهدف الأول من تعلمها هو فهم القرآن الكريم ومعرفة أحكامه، فهم في هذه المرحلة يعتمــدون على الحفظ والذاكرة أكثر من اعتمادهم على الكتابة[3]، وقد اهتم الأندلسيون بــالحفظ والســماع أكثر من غيرهم، وهذا يدل على تأثرهم بعصرهم الأول، عندما كان الاعتماد على الذاكرة أكثر من الاعتماد على الكتابة لقلة العارفين بها، والمتأدب يحفظ ما يطلب منه بصوت مرتفع، فإما أن يحفظه بمفرده أو ضمن مجموعة من أبناء الكتاتيب، وقد ظهر في الأندلس عدد كبير من العلماء الذين جمعوا بين الحفظ والفهم، وكانوا في مقدمة علماء عصرهم ومنهم محمد بن قاسم بن محمد الأموي(ت. 327هــ/938م)[4]من أهل قرطبة، حيث كان من أهل العلم والأدب والرواية والحفظ والحفظ والمعرفة[5].

وكانت العطلة الأسبوعية تبدأ من بعد ظهر يوم الخميس وتستمر حتــى صــباح يــوم السبت، فعند انصرافهم ظهر الخميس إلى البيت لا يعودون إلى الكُتّاب حتى صباح يوم السبت، أضف إلى هذا عطلة العيدين، فقد يؤذن لهم في عيد الفطر بعطلة تمتد ليومين وعيد الأضــحى

---

(1) القابسي، ص113.

(2) نفسه، ص113؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج1، ص(740-741).

(3) أبو صالح، ص(43-44).

(4) محمد بن قاسم بن محمد الأموي: يكنى أبا عبد الله، سمع من أبيه ومن محمد بن وضاح، وسمع بالقيروان ومصر والعراق من جماعة من العلماء، وكان عالماً بالفقه، ومشاوراً في الأحكام، انظر: ابن عياض، **ترتيب**، ج5، ص179.

(5) ابن عياض، **ترتيب**، ج5، ص179.

بعطلة تمتد إلى خمسة أيام[1]، كما نتصور أن ساعات التدريس كانت تقل في رمضان عما هــي عليه في الشهور الأخرى[2].

وقد يختلف حضور الطلاب حسب كل مكان، ففي حال البوادي والأرياف قد يذهب الظن إلى أن بعض الطلاب كانوا ينقطعون عن الحضور في أيام القطاف والحصاد، مســاعدة مــنهم لأهلهم، خصوصاً وأن الحضور لم يكن إجبارياً لأنه مرتبط بــالأجر الــذي يدفعــه الطالــب للمعلم[3].

وبعد أن ينهي الصبي المواد المقررة عليه بالكُتّاب يحتفل بتخرجه لانتقاله من مرحلة إلى مرحلة، ويطلق الأندلسيون على هذا اليوم "يوم الحذاقة"، لأنه ختم العلوم المقررة عليه، وحق له أن يرتقي إلى لمستوى التعليمي الآخر[4].

المرحلة العليا: بعد مرحلة الكُتّاب؛ اهتم طلبة الأندلس بتوسيع مداركهم العلمية والفكرية، وبالاستزادة من العلوم، فقصدوا معليمهم، وتُرك للطالب حرية اختيار المعلم الذي يريد، والــذي يعتقد أنه ينتفع به أكثر من غيره، وكان يأخذ العلم على يد عــدد مــن المعلمــين فــي أمــاكن مختلفة[5].

ومن الأماكن التي توجه إليها الطلبة؛ المسجد الجامع الذي عُدَّ أهم مدرســة إســلامية، والحقيقة أن المسجد قد لعب دوراً أكبر بكثير جداً من كونه مجرد بناء لأداء الفروض الدينيــة، فهو علاوة على ذلك مركز للتعلم، ومقر للقضاء، وموطن بيت المال، ومكان لاجتماع الجيش[6].

الجيش[6].

فقد أقام الرسولﷺ المساجد بعد هجرته مباشرة وتبعه المسلمون بعد ذلك على هذا النهج، فقد اعتبر المسجد البؤرة التي انطلقت منها الحركة العلمية، وعم شــعاعها جميــع الأمصــار،

---

[1] القابسي، ص136؛ انظر أيضاً: حجازي، عبد الرحمن، **المذهب التربوي عند ابن سحنون**، ص88.

[2] عباس، **التعليم**، ج1، ص63.

[3] عباس، **التعليم**، ج1، ص63.

[4] المغراوي، ص8.

[5] العكش، ص168.

[6] ريبيرا، خوليان، **التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية**، ص135.

فالصحابة الذين تلقوا علومهم في المسجد انتشروا في الأمصار المفتوحة ينشرون علمهم بين الناس[1].

ومن أوّل المساجد التي بناها المسلمون في الأندلس؛ مسجد الرايات الذي أسسه موسى بن نصير في الجزيرة الخضراء سنة 93هـ/711م وهو مسجد قريب من البحر، وسمي بالرايات نسبة للرايات التي رفعها طارق بن زياد[2].

وأما مسجد قرطبة الجامع فيعد من أهم المساجد في بلاد الأندلس، وكان المسلمون قد بنوه أول أمرهم، ملاصقاً لكنيسة سنت بثنت، حيث بنوا في شطرهم مسجداً وبقي الشطر الآخر للنصارى، وحينما ازدحمت المدينة بالمسلمين وجيوشهم؛ اشترى عبد الرحمن الداخل الشطر الآخر من النصارى مقابل أن يُعيد بناء ما تمّ هدمه من كنائسهم وقت الغزو، ثم أمر الداخل بإعادة بناء مسجد قرطبة سنة 168هـ/785م، واستمر أمراء وخلفاء بني أمية من بعده في الاهتمام به حتى صار غاية في الإبداع والإتقان [3]، فأصبح لدى الأندلسيين أشبه بكعبة يحجون إليها من جميع مدن الأندلس ويتلقون فيه كل أنواع العلوم، على يد أمهر المؤدبين، الأمر الذي دفع كثيراً من المؤرخين إلى اعتباره جامعة إسلامية، فانتشر علمها في أنحاء عديدة من أوروبا، خاصة وأن المدارس لم تعرف طريقها إلى الأندلس إلا في وقت متأخر[4].

وكان الإنفاق على المساجد والمحافظة عليها، يتم إما من بيت مال المسلمين مباشرة أو من الأحباس الموقوفة على هذه المساجد، أضف إلى هذا أن كثيراً من الأهالي كانوا يحبسون جزءاً من أراضيهم وبيوتهم أو بعض موارد دخلهم على المساجد مثلما فعل عبد الملك بن حبيب السلمي، الذي كان له أرض وزيتون بقرية ألبيرة، وكان بها مسجد يتم الأنفاق عليه من الأحباس، أما عن المساجد الخاصة فقد تولى أصحابها الأنفاق عليها[5].

---

[1] عيسى، محمد، ص267.
[2] الإدريسي، ص(539-540).
[3] المقري، ج1، ص(560-561).
[4] أبو صالح، ص55.
[5] عيسى، محمد، ص(277-279).

وقد ظهرت حلقات العلم في مسجد قرطبة منذ بنائه، ومن العلماء الذين تصدروا حلقات العلم بين أروقته الغازي بن قيس وجودي النحوي(ت. 198هـ/813م)[1] وعبد الله بن الغازي بن قيس(ت. 230هـ/844م)[2]، وغيرهم الكثير من علماء اللغة العربية، ومن ثم جاء بعدهم عثمان بن مثنى، وجابر بن غيث(ت. 299هـ/911م)[3] وعبد الله بن سوار بن طارق(ت. 275هـ/ 888 م)[4] وغيرهم، فكان المؤدب يجلس ومن حوله الطلاب على حصير في رواق المسجد، ويطلقون على هذه الحلقات اسم "المجلس" وينسبونه إلى اسم العالم، فقيل على سبيل المثال مجلس القالي[5].

وكانت حلقات العلم في مسجد قرطبة تكبر أو تصغر تبعاً لشهرة العالم وغزارة علمه وأسلوبه في عرض المادة ومقدرته على المناقشة والمناظرة، ونوع المادة التي يحاضر بها، كما كان المسجد يضم أكثر من حلقة في وقت واحد، وكل حلقة يتصدرها عالم[6].

نستنتج من ذلك أن التعليم في مساجد قرطبة لم يكن كله على مستوى واحد، فكان التعليم في المسجد الجامع أعلى مستوى من غيره، وكان التعليم في مساجد قرطبة على وجه الخصوص أعلى مستوى من التعليم ببقية مساجد المدن الأندلسية، والدليل على هذا أن الطالب في المدن الأندلسية يرتحل إلى قرطبة للدراسة في مساجد قرطبة، وكان كل مسجد يختلف عن المسجد الأخر في أنماط وطرائق التعليم[7].

وكان يوجد في حلقات التدريس أحد كبار الشيوخ المعلمين لتولي التدريس، وأنه أذا مات هذا الشيخ أو هاجر أو انتقل إلى مسجد في بلد أخر؛ فإن أهل المدينة كانوا يسعون لإحضار معلم

---

(1) جودي النحوي: مولى آل طلحة العنبسيين من أهل مورو، ورحل إلى المشرق ولقي الكسائي والفراء وغيرهم، وعاد إلى الأندلس ومعه علم وفير، انظر: القفطي، **إنباه**، ج1، ص306.

(2) عبد الله بن الغازي بن قيس: كان عالماً باللغة العربية والشعر، بصيراً بالقراءة، انظر: السيوطي، **بغية**، ج2، ص51.

(3) جابر بن غيث: يكنى أبا مالك، كان عالماً باللغة والشعر والآداب، مشهوراً بالفضل، أدَّب أولاد هاشم بن عبد العزيز(ت. 273هـ/ 886م)، انظر: السيوطي، **بغية**، ج1، ص483.

(4) عبد الله بن سوار بن طارق: كان من أهل العلم واللغة والأدب، رحل إلى المشرق وسمع عن الحسن بن عرفة(ت. 257هـ/871م)، انظر: السيوطي، **بغية**، ج2، ص45.

(5) أبو صالح، ص55.

(6) ريبيرا، ص137.

(7) أبو صالح، ص57.

أخر ليحل مكانه [1]، وكان أحمد بن خالد(ت. 322هــ/933م)[2] قد طلب إلى الأمير الناصر أن يأذن له بالانتقال إلى المسجد الجامع بعد موت محمد بن لبابة لينشر علمه، فأجابه الأميــر إلـــى طلبه[3].

وقد كان من حق الطلاب حرية اختيار الحلقة التي تتناسب مع رغبتهم العلمية ومستواهم العقلي، وكانوا في جلوسهم حول المؤدب يراعون السن والثقافة، ففي الصف الأول القريب مـــن المؤدب يجلس التلاميذ الكبار ودونهم تلاميذهم، ودونهم تلاميذ آخرون، وكان الصف الأول يبعد عن العالم قدر قوس، لأن ذلك أقرب إلى تعظيم العالم، والحلقة الواحدة تضم متأدبين من مختلف الثقافات والأعمار، فمنهم العالم الكبير، ومنهم الناشئ الذي أنهى مرحلة الكتـــاب وانتقـــل إلـــى المرحلة الحالية مباشرة[4].

وقد لجأ عدد من المؤدبين إلى التعليم في بيوتهم، وذلك بسبب الشهرة التي تمتعوا بهـــا بين أوساط المتأدبين، وبسبب غزارة علمهم، فكان الطلاب يرغبون في الأخذ عنهم والاســـتفادة من علمهم، حيث إن هؤلاء الطلاب كانوا يذهبون إلى بيوت المؤدبين لأخذ المزيد من الـــدروس التي لم يكن هناك متسع من الوقت لتلقيها في المساجد[5].

أضف إلى ذلك طمع بعض المؤدبين واحتكارهم لبعض العلوم، وذلك لكون أجرة التأديب في المساجد الأندلسية محددة، ومتعارفٌ عليها بين أوساط المؤدبين والمتأدبين، فلذلك لم يستطع المؤدبون أخذ أكثر مما هو متعارف عليه، خوفاً من ثورة المتأدبين عليهم، ففضلوا التدريس في بيوتهم كي يحصلوا على المبلغ الذي يريدون، وأكثر هؤلاء المؤدبين هم الذين تلقوا علومهم على أيدي علماء المشرق، وعادوا إلى الأندلس يحملون مجموعة من الكتب المشرقية نادرة الوجـــود

---

[1] عيسى، محمد، ص273.

[2] أحمد بن خالد: يعرف بابن الحبّاب، وكنيته أبو عمر القرطبي، سمع من محمد بن وضاح، ورحل إلى مكة واليمن وافريقيه وسمع الحديث عن الكثير من الشيوخ، انظر: ابن عياض، **ترتيب**، ج5، ص(174–175).

[3] ابن عياض، **ترتيب**، ج5، ص(174–175).

[4] أبو صالح، ص56.

[5] نفسه، ص64.

في الأندلس، واعتكفوا في بيوتهم، وطلبوا من الطلاب الذين يرغبون في الأخذ عنهم الحضـــور إلى بيوتهم[1].

وكان بعض المؤدبين يدرِّسون في بيوتهم بعض العلوم المحظورة، وذلـــك لأن فقهـــاء الأندلس حاربوا دراسة بعض العلوم، كالفلسفة والمنطق والتنجيم، زد على ذلك ان هناك علومـــاً من الصعب تحصيلها في المساجد، فكانت دراستها لا تتم إلا في بيت المؤدب، كالطـــب، علـــى سبيل المثال، فدراسته عملية أكثر منها نظرية وتحتاج إلى أدوات كثيرة يصـــعب أخـــذها إلـــى المسجد، فلذا درسوا هذه العلوم في بيت المؤدب[2].

وكذلك كان مرض المؤدب وعدم قدرته إلقاء دروسه في المسجد يلزم المؤدب الجلـــوس في البيت، فهناك مؤدبون قد نزل بهم المرض، وأجبرهم على التزام بيوتهم، فما كان منهم إلا أن دعوا طلبة العلم للأخذ عنهم، فيحيى بن يحيى المعروف بابن ســـمينة(ت. 315هـــــ/927م)[3]، كان متصرفاً في ضروب العلم متفنناً في الآداب، ورحل إلى المشرق وسمع عن علمائه، وعـــاد إلى الأندلس ملازماً لداره لمرض ألمّ به مقصوداً من ضروب الناس[4]، وكـــذلك إبـــراهيم بـــن باز(ت. 274هـــ/887م)[5] فقد ذهب الطلاب إلى بيته لعلمه وفضله[6].

كما أن كثيراً من الطلاب إذا عجزوا عن الوصول إلى المعلم في بيته لسبب أو لآخـــر، توجهوا إليه في منطقة عمله، فإبراهيم بن محمد بن باز كان يُقْرأ عليه وهو في البستان[7].

أما فيما يتعلق بدخل المعلمين؛ فكان مرتفعاً، وقسمت أجورهم إلى فئتين؛ فئة كانت تأخذ أجرها من الجراية التي كانت تجريها عليهم الدولة أو من الأجر الذي يدفع من الأحباس، وفئـــة

---

(1) نفسه، ص64.

(2) نفسه.

(3) يحيى بن يحيى ابن سمينة: من أهل قرطبة، يكنى أبا بكر، كان له الكثير من العلم، برع في الأدب ورواية الأخبار، وله معرفة بالفقه، وله رحلة إلى المشرق، انظر: ابن الفرضي، ج2، ص(234– 235).

(4) ابن الفرضي، ج2، ص(234–235).

(5) إبراهيم بن باز: يعرف بابن القزاز، من أهل قرطبة، يكنى أبا اسحق، كان فقيهاً عالماً وزاهداً ورعاً، سمع من يحيى بن يحيى الليثي وغيره الكثير، وله رحلة إلى إفريقية سمع فيها من سحنون، انظر: ابن الفرضي، ج1، ص(42– 43).

(6) ابن عياض، **ترتيب**، ج4، ص445.

(7) نفسه

أخرى كانت تتقاضى أتعابها من الوظائف التي تُسند إليها مثل الإمامة أو الصــلاة أو الأذان، أو من وظائف الدولة الأخرى مثل الشورى أو الفتوى(1).

وهناك مجموعة من المدرسين كانت تقوم بالتدريس مجاناً على أساس أن التعليم عمـل خيري، كمحمد بن وضاح(ت. 287هـ/900م) الذي سُمِّي بمعلم أهل الأندلس، والذي لم يكن له شغل غير العبادة ونشر العلم، وكان يعتمد في قوته على ما يرسله إليه إخوانه، وكان لـه ابـن أخت يبعث إليه كل ليلة ما يأتدم به(2).

وقد حدد بعض المؤدبين أوقاتاً معينة لأخذ الدروس عنهم، وذلك بسبب انشغالهم بـأمور أخرى، فمنهم من يعطي درساً واحداً في الأسبوع، ومنهم من كان يعطي دروساً يومية، على أن عدداً منهم لم يقتصر على تحديد الأيام فقط بل حدد ساعات في اليوم المحدد، والسبب الذي دفع هذه الكوكبة من المؤدبين إلى تحديد أوقات معينة للأخذ عنهم، هو حرصهم على مصالحهم أولاً، لأن المؤدب منهم كان يعمل أعمالاً غير التأديب، أما السبب الثاني فهو حرصهم على مصـلحة تلاميذهم، فعندما يعرف الطالب وقتاً محدداً للدرس فإنه يلتزم بالحضور، فيحرص الطلبة علـى الوصول إلى مكان أستاذهم في الأوقات المناسبة، وهناك بعض الحالات الخاصة، التي لم يتقيـد فيها الطلاب بوقت معين، ويكونون عادةً من غرباء المدينة(3)، فكان عبد الملك بن حبيـب قـد رتب إعطاءه لدروس عليه يومياً، فكل يوم ثلاثين مرة(4)، وكان يحيى بن عبد الله الليثي يسمع الموطأ في أوقات الظهر أيام الجمع، وقد قوبل حرص المؤدبين باستجابة من قبل طلابهم(5).

أما اليوم الدراسي فقد كان يبدأ عندهم بعد صلاة الصبح مباشرة، ويستمر حتى سـاعة قيام صلاة العشاء، وكانت الدراسة تتوقف عند موعد قيام الصلوات، ويتابعون دراسـتهم بعـد الصلاة مباشرة، وبذلك فإن الأذان هو الساعة التي يتم بواسطتها تحديد مواعيد الدراسة، كما كان لكل مادة وقت معين تؤخذ فيه، إذ أنهم خصصوا الفترة ما بين صلاة الصـبح حتـى شـروق

---

(1) عباس، **التعليم**، ج1، ص70.
(2) ابن عياض، **ترتيب**، ج4، ص438.
(3) أبو صالح، ص58.
(4) ابن عياض، **ترتيب**، ج4، ص124.
(5) ابن الفرضي، ج2، ص240.

الشمس لدراسة الحديث والتفسير وقراءة القرآن، وفترة الضحى حتى صلاة الظهر لدراسة النحو والبلاغة، وما بعد العصر لدراسة بقية المواد[1].

وفي هذه المرحلة التعليمية لم يكن للطالب منهج محدد يمكن أن يسير عليه من حيث طبيعة المواد العلمية فبعد أن كان الطلبة قد تعلموا سابقاً حفظ القرآن والقراءة والكتابة وشيء من اللغة والشعر؛ يتقيدون بتعلم مواد محددة، إذ يمكن للطالب أن يتعلم مواد تتوافق مع ميوله وقدراته العقلية، وقد اشتملت هذه المرحلة على العلوم الدينية واللغوية والعقلية[2].

أما فيما يتعلق بالإجازة العلمية (الشهادة) فإنها انتقلت إلى الأندلس بانتقال الكثير من العلماء المشارقة إليها، وأصبح منح الأستاذ الإجازة العلمية لطلابه بعد تتلمذهم على يده عرفاً معروفاً، وكانت تسجل على وثيقة من الجلد الرقيق، أو على إحدى صفحات الكتب التي درسها الطالب بخط الأستاذ نفسه، ولم تكن هذه الإجازات مقتصرة على الرجال فقط بل نالتها النساء أيضاً[3].

الفصل الثاني

العلوم الدينية في الأندلس

---

(1) أبو صالح، ص60.

(2) عيسى، محمد، ص280.

(3) دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138–422هـ/755–1030م)**، ص(397–404).

علم القراءات والتفسير

علم الحديث

علم الفقه

الفصل الثاني

العلوم الدينية في الأندلس

عُدَّت العلوم الدينية من العلوم النقلية، وهي التي لا مجال فيها لإعمال العقل إلاّ في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول، ولعل أهمها؛ العلوم الدينية كعلوم القرآن والحديث والفقه، وعلوم اللغة العربية وفنونها. وهي من أكثر العلوم التي تداولها أهل الأمصار تحصيلاً وتعليماً[(1)].

لقيت العلوم الدينية عناية كبيرة من الأندلسيين، وكانت بذرة هذه العلوم قد بدأت بانتقال بعض الصحابة والتابعين إلى الأندلس مع الفتح وبعده، وكان هؤلاء إلى جانب كونهم جنوداً فاتحين، حملة علم ومعرفة ومثلوا اللبنة الأولى في العلوم الدينية والعربية، ثم جاءت بعدهم طبقة ثانية حملوا معهم علماً جديداً، وكان معظم هؤلاء من الذين رحلوا إلى المشرق وتتلمذوا على يد علمائه، ثم جاءت طبقة ثالثة خطت بالعلم خطوات جديدة من حيث التنظيم والتأليف[(2)].

ووقف على رأس العلوم الدينية **علم القراءات**، والمقصود به كيفية قراءة كلمات القرآن الكريم وأداء آياته، بما اتُّفِق عليه من قراءات الأئمة والتابعين نقلاً عن الرسولﷺ [(3)].

ولقد أولى الصحابة اهتماماً كبيراً بالقرآن الكريم قراءة وحفظاً، ثم اختلف الناس في ضبط ألفاظه ورسم حروفه وحركاته، بسبب اتساع رقعة الدولة الإسلامية ودخول شعوب أعجمية في الإسلام، فقضت الحاجة إلى علم يُمَيِّز الصحيح المتواتر من الشاذ، وقاية لألفاظ القرآن الكريم من التحريف والتبديل، مما أدى إلى ظهور علم القراءات[(4)].

ونتيجة لأهمية هذا العلم فقد تصدر لتدوينه كثير من الأعلام المتقدمين فأفاد ذلك المسلمين فائدة عظيمة، لأن البحث في مخارج الحروف والاهتمام بضبطها، ييسر تلاوة القرآن،

---

(1) ابن خلدون، **تاريخ**، ج1، ص750.

(2) أمين، أحمد، **ظهر الإسلام**، ج3، ص505.

(3) الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج1، ص318.

(4) المشني، مصطفى، **مدرسة التفسير في الأندلس**، ص67.

ويسهل حفظه، ويُستعان به على معرفة الأحكام الشرعية، فاختلاف القراءات يظهر الاختلاف في الأحكام[1].

وأستفاد المسلمون من علم اللغة العربية ومزاياها وقواعدها، ومما يؤيد ذلك – أننا نجد كثيراً من النحاة قد برعوا في علم القراءات–، ومن هؤلاء أبو عمر الكسائي(ت. 189هـ/805م)[2]، ويحيى بن زياد المعروف بالفراء(ت. 207هـ/822م)[3]، حيث أضافا إلى علم القراءات الكثير[4].

وذكر أبو بكر الزبيدي أن أبا موسى الهواري(ت. 228هـ/843م) وهو أول من أدخل علم القراءات إلى الأندلس وألف فيه، وهو من أهل الأندلس، رحل إلى المشرق، أول إمارة عبد الرحمن الداخل، فلقي مالكاً ونظراءه[5]، وقيل: إن أول من أدخل هذا العلم هو الغازي بن قيس، وذلك بعد أن حج وأخذ القراءة عن نافع بن أبي نعيم(ت. 169هـ/785م)[6] قارئ أهل المدينة، وضبط عنه أخباره وصحح مصحفه على مصحف نافع ثلاث عشرة مرة، كما كان أول مَن أدخل مُوطأ مالك أيضاً[7]، ويقول المقدسي(ت. 380هـ/990م): "وأما في الأندلس فمذهب مالك مالك وقراءة نافع" [8].

وقد تطور علم القراءات في الأندلس شيئاً فشيئاً، وقرأ أهلها القراءات السبع، ونظراً لذيوع حديث قراءة نافع في بلاد الأندلس فقد حظيت باهتمام كبير من العلماء، فألفوا فيها

---

[1] المشني، مصطفى، **مدرسة التفسير في الأندلس**، ص67.

[2] الكسائي: علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي، شيخ القراء السبعة، وإمام النحاة، انظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج21، ص48.

[3] الفراء: يحيى بن زياد بن عبد الله الأسلمي الديلمي الكوفي، مولى بني أسد، وقيل مولى بني منقر، كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو والأدب واللغة، وأخذ عن الكسائي الذي يعد من أشهر أصحابه، وله العديد من المصنفات، انظر: ابن خلكان، ج6، ص(176–178).

[4] ابن خلكان، ج6، ص176؛ الصفدي، ج21، ص48.

[5] الزبيدي، ص254؛ انظر أيضاً: الرومي، عبد الرحمن، **منهج المدرسة الأندلسية في التفسير "صفاته وخصائصه"**، ص44؛ أعراب، سعيد، **القراء والقراءات في المغرب**، ص14.

[6] نافع بن أبي نعيم: مولى جعونة بن شعوب الليثي الكناني، أصله من اصفهان، ولد في حدود سنة 70هـ/689م في خلافة عبد الملك بن مروان(65–86هـ/685–705م)، وهو حبر القرآن وأحد القراء العشرة، وإمام القراء في المدينة المنورة، انظر: ابن خلكان، ج5، ص368.

[7] الزبيدي، ص254.

[8] المقدسي، احسن **التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ص236.

المصنفات، ومنهم أبو يحيى زكريا بن يحيى الكلاعي(ت. 300هـ/912م) الذي أخذ القراءة عن مواس بن سهل[1] وسمع من محمد بن وضاح، وكان زكريا ضابطا لقراءة نافع، وعالماً بألفاظ المصريين، وروى عنه القراءة عامة أهل قرطبة في عصره، وقد صنف كتاباً في القراءات سماه "أصول قراءة نافع"[2].

على أن القراءة التي ذاعت في الأندلس بعد ذلك هي التي قرأ بها أحد أشهر تلاميذ نافع وهو: عثمان بن سعيد المصري[3]، القبطي الأصل، المعروف بورش، وذلك عن طريق محمد بن عبد الله الأندلسي(ت. 230هـ/844م) الذي رحل إلى مصر، وتتلمذ على الإمام ورش، وأخذ عنه قراءته، ولما عاد إلى الأندلس جعله الأمير الحكم بن هشام مؤدباً لبعض أبنائه، ولعل مكانته من الأمير مكنته من نشر رواية ورش عن نافع في الأندلس[4].

ومن علماء القراءات في الأندلس، أبو الأزهر عبد الصمد بن عبد الرحمن بن القاسم العتقي(ت. 231هـ/845م)[5] من تلاميذ ورش الملازمين له، وعليه تتلمذ ناشروا المذهب في مصر وإفريقيا، ولذلك فقد حظي بمكانة عظيمة عند أهل الأندلس، وممن أسهم في نشر قراءة ورش أيضاً الإمام محمد بن وضاح، وقد كان له الأثر الكبير باعتماد أهل الأندلس على رواية ورش عن نافع[6].

وقد دوَّن أهل الأندلس قراءة ورش عن النسخة التي رواها محمد بن وضاح عن عبد الصمد بن القاسم، وكانوا قبل ذلك يعتمدون على رواية الغازي بن قيس عن نافع[7]، ثم نشر

---

(1) مواس بن سهل: قارئ مشهور، ثقة، أخذ القراءة عرضاً عن يونس بن عبد الأعلى(ت. 264هـ/878م)، وروى عنه القراءة عدد من القراء فيما بعد، انظر: الجزري، **غاية النهاية في طبقات القراء**، ج2، ص276.

(2) الجزري، **غاية**، ج2، ص267.

(3) عثمان بن سعيد المصري: شيخ القراء المحققين، وإمام أهل الأداء المرتلين، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالديار المصرية في زمانه، وله رحلة سمع فيها عن نافع وأخذ قراءته، وأثنى عليه الجميع بأنه كان جيد القراءة حسن الصوت، انظر: الجزري، **غاية**، ج1، ص(446–447).

(4) الجزري، **غاية**، ج1، ص351.

(5) عبد الصمد بن عبد الرحمن: راوٍ مشهور، صاحب الإمام مالك، أخذ القراءة عن عدد من شيوخ زمانه، انظر: الجزري، **غاية**، ج1، ص351.

(6) الجزري، **غاية**، ج2، ص241.

(7) نفسه.

الأندلسيون هذه القراءة في بلاد الشمال الأفريقي، على يد محمد بن خيرون القرطبي(ت. 306هـ/918م) الذي رحل إلى مصر وأخذ قراءة ورش عن نافع، ونشرها في بلاد المغرب، وتظهر مكانة ابن خيرون الواضحة في القراءات؛ إذ ظهر أثر مدرسة القراءات الأندلسية على مدرسة القيروان[1].

إلا أن قراءة ورش لم تبق طويلاً في الأندلس فعادت إلى قراءة نافع بن أبي نعيم ويعود سبب ذلك إلى بعد الشقة بين المشرق والأندلس، فاختار الأندلسيون لذلك الاقتصار على هذه القراءة، واجتماع كلمة الأمة على مذهب مالك وقراءة نافع، فلرغبتهم في عدم التوزع والتفرق تقيدوا بمذهب مالك وقراءة نافع[2].

وذكر ابن خلدون: "ولم يزل القراء يتداولون هذه القراءات وروايتها إلى أن كُتبت العلوم ودُونت، فكُتبت حينما كُتب من العلوم حتى صارت صناعة مخصوصة وعلماً منفرداً وتناقله الناس في المشرق والأندلس في جيل بعد جيل" [3].

وأخيرا ما لبث علم القراءات وغيره من العلوم أن تعرض لانتكاسة كبيرة خلال الربع الأخير من القرن الثالث الهجري في عهد الأمير عبد الله بن محمد، إذ انتشرت الثورات وخاصة ثورة عمر بن حفصون التي استمرت بقوة خلال عهده، غير أن ولاية عبد الرحمن الناصر في مطلع القرن الرابع الهجري كانت مؤذنة بعهد جديد، فقد استطاع هذا الأمير أن يقضي على الثورات، ويعيد للدولة قوتها وينشر جواً من السلام والأمن، فعادت الرعية إلى مباشرة أنشطتها الثقافية والفكرية بحرية[4].

وأما **علم التفسير** فهو كشف معانى القرآن وبيان المراد منه، وهو أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره، وبحسب المعنى الظاهر وغيره، والمقصود منه[5]، وارتبط علم

---

[1] الحميدي، ص83.

[2] غزالة، عبد الكريم، **مدرسة القراءات في الأندلس**، ص(41-42).

[3] ابن خلدون، **تاريخ**، ج1، ص552.

[4] غزالة، ص42.

[5] ابن الجزي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، ج1، ص10.

التفسير بالقرآن الكريم باعتباره المصدر الأول للتشريع[1]، ومن المعلوم أن المفسرين قد اتجهوا في تفسير القرآن باتجاهين، التفسير بالمأثور؛ وهو ما أثر عن النبي ﷺ وصحابته من أقوال في تفسير بعض آيات القرآن الكريم، والتفسير بالرأي؛ وهو ما يُعتمد فيه على العقل إلى جانب النقل، وربما أكثر[2].

ويجد الباحث صعوبة في تحديد الفترة الزمنية التي نشأ فيها علم التفسير في الأندلس، كعلم مستقل عن باقي العلوم، ولعل مَرَدُّ ذلك يعود إلى أسباب أهمها ظاهرة الجمع بين العلوم، فالناظر في كتب التاريخ، وتراجم الأعلام في الأندلس، يلاحظ هذه الظاهرة بوضوح، وإن كانت الشهرة في أحد العلوم، تبدو ظاهرة على غيرها، فإذ نظرنا إلى ترجمة حياة عالم من علماء الأندلس نجد العبارة التي تعبر عن هذه الظاهرة وهي(العالم، الفقيه، المحدث، المفسر، النحوي،..).

ويمكن القول: إن الاهتمام بعلم التفسير قد بدأ في بلاد الأندلس منذ دخول الفاتحين الأوائل، ولما كان الإسلام يستمد قواعده وأصوله وتشريعاته من القرآن الكريم بالمقام الأول؛ فقد كان من الضرورة بمكان الاهتمام به وبتفسير آياته لفهمها والوقوف على معانيها، وكان المسجد هو المدرسة التي انطلق منها هذا العلم جنبا إلى جنب مع غيره من العلوم الإسلامية [3]، إلى أن جاء القرن الثالث الهجري/ العاشر الميلادي الذي طالعنا بولادة أول عَلَم من أعلام المفسرين ممن ساروا على منهج التفسير بالمأثور، ألا وهو بقيّ بن مخلد، الذي رحل إلى المشرق في طلب العلم وسمع عدداً عظيماً من الشيوخ في مكة والمدينة ومصر ودمشق وبغداد، ولم يقتصر على السماع من المالكيين بل سمع من الشافعيين وسمع من أحمد بن حنبل(ت. 241هـ/855م)[4] وكان من كبار أصحابه، ولم يتبع مذهباً معيناً، وإنما كان يصدر آراءه في المسائل بحسب ما رأى، ولم يرض فقهاء الأندلس عن مذهبه، وأخذوا يكيدون له[5].

---

[1] ذياب، حامد، **الكتب والمكتبات في الأندلس**، ص38.

[2] أمين، ج3، ص293؛ دويدار، ص405.

[3] المشني، ص81.

[4] أحمد بن حنبل: إمام المحدثين، ولد ونشأ ببغداد، وسمع الحديث من شيوخها، ثم رحل إلى الكوفة والبصرة، وأخذ عن علماء ذلك العصر، وجلس للإفتاء والحديث في بغداد، وهو صاحب المذهب الحنبلي، انظر: الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد وذيله والمستفاد**، ج6، ص(91-92).

[5] الحميدي، ص252.

ألف بقيّ بن مخلد تآليف كثيرة، وقد قيل في تصانيفه: إنه لا مثيل لها؛ ومن هذه التآليف: كتابان مشهوران، تناولهما أصحاب التراجم على أنهما قل أن يؤلف مثلهما، وهما كتابه التفسير والمسند في الحديث[1]، واشادت العديد من المصادر بجهود بقي بن مخلد في علم التفسير ومنهم؛ ابن حزم بقوله فيه: كتاب بقي في تفسير القرآن لم يؤلف مثله في الإسلام وذلك لشموله[2].

ويقول في موضع آخر، أنه يأتي بالمقام بعد محمد بن اسماعيل البخاري(ت. 256هـ/870م)[3]، ومسلم بن الحجاج النيسابوري(ت. 261هـ/875م)[4]، وسليمان بن الأشعث السجستاني(ت. 275هـ/888م)[5]، وأحمد بن شعيب النسائي(ت. 303هـ/915م)[6]، وذلك لأهمية كتابه في التفسير[7]، ثم يتحدث ابن بشكوال(ت. 578هـ/1183م) عن تصانيف بقيّ: إنه إنه لا يوجد نظير لها[8]، وكان لا يقلد أحداً من علماء التفسير، وقد ترجم له الإمام السيوطي(ت.911 هـ/1505م) وعدَّه من أعلام المفسرين، وأشاد بتفسيره ومسنده، ثم ذكر وفاته وكانت سنة 276هـ/889م [9].

ومن علماء التفسير أيضاً ابن محاسن عثمان بن محمد(ت. 306هـ/918م) وكان من أهل أستجة، وقال عنه ابن الفرضي: "كان حافظاً للتفسير عالماً بأخبار الدهور وله في ذلك كتاب

---

(1) الضبي، ج1، ص301.

(2) ابن حزم الأندلسي، **رسائل**، ج2، ص178.

(3) البخاري: محمد بن إبراهيم بن المغيرة، ولد سنة 194هـ/810م، وقد حفظ الحديث وعمره عشر سنين أو أقل، وسمع عن عدد من شيوخ عصره، وصنف العديد من الكتب في الحديث وله كتاب في التاريخ، انظر: الذهبي، **سير**، ج12، ص391،(393-394).

(4) النيسابوري: أحمد بن سهل بن إبراهيم، يكنى أبا حامد الأنصاري، كان آخر من حدث عن محمد بن شادل(ت. 311هـ/923م) وأبي قريش الحافظ(ت. 313هـ/925م)، وكانت أصوله صحيحة، وله العديد من المصنفات، انظر: الذهبي، **سير**، ج16، ص445.

(5) السجستاني: سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني، أحد حفاظ الحديث، سمع عن عدد من الشيوخ، وقيل عنه: إنه أمام الحديث في عصره، وله العديد من المصنفات، أنظر: الصفدي، ج15، ص(218 –219).

(6) النسائي: شيخ الإسلام وناقد الحديث أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي، ولد بنسا في سنة 215هـ/830م، وسمع عن عدد من شيوخ عصره، وله العديد من المصنفات، انظر: الذهبي، **سير**، ج14، ص(125، 128)، 133.

(7) ابن حزم الأندلسي، **رسائل**، ج2، ص179.

(8) ابن بشكوال، ج1، ص119.

(9) السيوطي، **طبقات المفسرين**، ص41.

نقل أكثره على ظهر قلب"، وقد اشتهر بالزهد والعزوف عن الدنيا[1]. منهم أيضاً سعدان بن سعيد بن خمير المكنى بأبي سعيد وهو من أهل قرطبة وكان إماما للمسجد الجامع بها، وقرأ الناس عليه كتاب التفسير المنسوب إلى ابن عباس من رواية الكلبي[2].

وعُني **علم الحديث** بضبط أحاديث الرسولﷺ ودراسة أسانيدها ومعرفة حال كل حديث من حيث القبول والرد والمعنى، ونظراً لأهمية الأحاديث من الناحيتين العقائدية والتشريعية؛ فقد عني المسلمون بجمعها والوقوف على معرفة الصحيح منها والضعيف بما يحفظ السنن المنقولة عن صاحب الشريعة حتى بات ذلك علماً قائماً بذاته، واقترن علم الحديث بالمصنفات الفقهية في الأندلس، فما من فقيه اشتهر بالفقه إلا وكان من العارفين بعلم الحديث وضوابطه، وكل من تعمق في علم الحديث ازدادت وارتفعت مرتبته بين علماء الفقه[3].

وكان علم الحديث قد انتقل من بلاد المشرق إلى الأندلس، وعرف أهلها صحيح البخاري ومسلم وموطأ مالك ومسند ابن أبي شيبة وغيرها، وعليها تتلمذ طلاب الحديث وانتقلت من جيل إلى جيل ومن بلد إلى بلد وصارت معتمدهم، لأنها نصوص محققة، بذل جامعوها ومحققوها الجهد الكبير حتى وصلتهم على هذه الصورة[4].

وأسهم أصحاب المذاهب الفقهية في نشر هذا العلم في الأندلس، وفي مقدمتهم علماء مذهب الأوزاعي لأن هذا المذهب يعتمد على الكتاب والسنة في استنباط الأحكام الشرعية والمسائل الفقهية، ومن هنا أدى ذلك إلى العناية الفائقة والاهتمام البالغ بعلم الحديث دراية ورواية، ثم حظي المذهب المالكي بعد ذلك بمكانة كبيرة ابتداءً من عهد الأمير الأموي هشام الرضا، إذ أصبح المذهب الرسمي لها –على يد الفقيه يحيى بن يحيى الليثي– الذي مكن لعلم الحديث من الانتشار وسرعة الانتقال إلى الأندلس، ثم العناية به وبرجاله، ذلك لأن هذا المذهب يقوم في أساسه على موطأ الإمام مالك، الذي يعتبر من الكتب المعتمدة في الحديث[5].

---

[1] الحميدي، ص447؛ الضبي، ج2، ص540؛ ابن الفرضي، ج1، ص398.

[2] ابن الفرضي، ج1، ص252.

[3] ابن خلدون، **تاريخ**، ج1، ص556.

[4] العكش، ص193.

[5] المشني، ص45.

ودفع هذا المذهب بعجلة تقدم الحديث والتأليف فيه من خلال الشروحات التي صنفها علماء الأندلس في موطأ مالك، ككتاب (تفسير الموطأ) لعبد الملك بن حبيب السلمي[(1)].

وكانت الرحلة إلى الحج من أسباب انتشار علم الحديث، حيث كان الأندلسيون يلتقون كبار العلماء في مكة والمدينة فيسمعون منهم، فإذا عادوا إلى بلادهم حدثوا بما سمعوا، فزاد ذلك انتشار رواية الحديث واتساعها في الأندلس[(2)].

واختلفت الآراء حول الشخصية التي كانت صاحبة السبق في إدخال علم الحديث إلى الأندلس، فقيل أن أول من أدخله صعصعة بن سلام الشامي(ت. 192هـ/808م) تلميذ الأوزاعي، غير أننا نجد فيه فقيهاً ومحدثاً مشهوراً دخل الأندلس منذ سنة 123هـ/741م وهو معاوية بن صالح الحضرمي الحمصي، ويعتبر أول من أدخل الحديث إلى بلاد الأندلس على حد قول يحيى بن يحيى الليثي، إذ يعتبر أول المحدثين فيها إن لم يكن أولهم[(3)].

وعُدّ بقيّ بن مخلد من أبرز العلماء الذين اهتموا بدراسة الحديث وعلومه، وكان يمثل مدرسة عظيمة ذات أثر واضح في الرقي العلمي في الأندلس، وبجهوده صارت دار حديث[(4)]، ولا شك أن بقيّ بن مخلد قد أثرى بذلك ميدان الحديث ولفت انظار الأندلسيين إلى حقل الحديث وعلومه بعد أن غلب عليهم فقه مالك، وكان تأثيره واضحاً وعمله جلياً، حتى قال عنه ابن الفرضي: إنه ملأ الأندلس بالحديث والرواية[(5)].

ونتيجة لذلك فقد أصبح بَقّي بن مخلد رائداً للحركة العلمية الأندلسية في علم الحديث ودراساته المختلفة التي أثمرت وأينعت، وشكّلت مؤلفاته وآراؤه قاعدة صلبة للدراسات العلمية الأندلسية فيما بعد، ومما ألفه في الحديث مصنف "المسند"، رتّبه على أسماء الصحابة وروى فيه ألفاً وثلاثمائة منهم، ورتب أحاديث كل منهم على أسماء الفقه وأبواب الأحكام فهو مصنف

---

(1) المشني، ص(45-46).

(2) نفسه، ص46.

(3) الحميدي، ص(500-501).

(4) ابن الفرضي، ج1، ص145.

(5) نفسه، ص144.

ومسند[1]، الأمر الذي أدى إلى وصوله إلى درجة عالية من الشهرة وسعة العلم، حتى كان يقال عنه في المشرق ما احوج المشرق لمثل بقيّ بن مخلد، وحملت تصـانيفه فـي الحـديث إلـى المشرق: فاعترف بفضلها وقيمتها[2].

ومن المحدِّثين المعاصرين لبقيّ بن مخلد؛ محمد بن وضاح الذي نشط في التأليف، وكان قد رحل إلى المشرق مرتين، ولقي من العلماء المئات، واتسم منهجه بالدقة فـي التعامـل مـع الأحاديث[3]، حيث كان عالماً بالحديث وطرائقه، وكان شديد الورع والتعفف، أخذ العلم عنه كثير من الناس، حيث كان ينشر علمه لوجه الله تعالى، وقد نفع أهل الأندلس كثيراً[4].

ومن أعلام الحديث أيضاً ثابت بن عبد العزيز السرقسطي(ت. 313هـ/925م) وابنـه قاسم(ت.303هـ/915م)، فقد رحل الاثنان معاً إلى المشرق لطلب الحديث وعادا إلى قرطبـة، فعني قاسم بتأليف كتاب في غريب الحديث سماه "الدلائل في غريب الحديث"، وحال الموت بينه وبين تمامه فأتمه والده[5]، ووصف ابن الفرضي هذا الكتاب بأنه مساوٍ في قيمته العلمية لكتـاب أبي عبيدة القاسم بن سلام[6].

وكذلك عالم الحديث الحافظ أحمد بن عمرو بن منصور الإلبيري ويعرف بابن عمريـل (ت. 312هـ/924م)، وكان طلاب العلم يرحلون إليه للاستفادة من علومه[7].

ومن أسباب تأثر المحدِّثين وعلماء الحديث الأندلسيين بمدرسة أهل المدينة؛ الـرحلات التي قاموا بها إلى بلاد المشرق فسمعوا من علمائها الذين كانت مرويات الإمام مالك المسموعة هي الأعلى طبقة بالنسبة لهم، فقلدوا كل ما ورد عنه، وعن علماء أهل المدينة[8].

---

(1) السيوطي، **طبقات**، ص41.

(2) ابن الفرضي، ج1، ص144.

(3) نفسه، ج2، ص26؛ انظر أيضاً: مؤنس، حسين، **شيوخ العصر في الأندلس**، ص43.

(4) ابن الفرضي، ج2، ص26.

(5) الحميدي، ص488.

(6) ابن الفرضي، ج1، ص463.

(7) نفسه، ص67.

(8) ابن خلدون، **تاريخ**، ج1، ص668؛ انظر أيضاً: مصطفى، خزعل، **بنو أمية في الأندلس ودورهم في الحياة العامة**، ص129.

ومن طلاب علم الحديث الذين أخذوا عن بقيّ بن مخلد ومحمد بن وضاح؛ أحمد بن عبد الله بن محمد بن المبارك الذي اختص بروايات بقيّ بن مخلد[1]، وعبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن صفوان، عرف عنه الزهد والورع، ولكنه في آخر حياته ترك رواية الحديث[2]، ومن الذين أخذوا الحديث عن محمد بن وضاح؛ أحمد بن عبد الله بن سعيد الأموي، ويعرف بابن العطار[3].

ومن الأسر الأموية التي عرفت باهتمامها بالحديث أسرة دحَوّن، وهو أبو سليمان، حبيب بن الوليد بن حبيب بن عبد الملك بن مروان(ت. 318هـ/930م)، و كان قد رحل إلى المشرق في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، والتقى رجال الحديث وكتب عنهم، وعندما رجع إلى الأندلس أقام بقرطبة، فأنتفع طلبة الحديث به وسمعوا منه في حلقته بجامع قرطبة، ولكن الأمير عبد الرحمن الأوسط منعه من عقد الحلقة في المسجد، ومن أولاده بشر الذي كان من علماء الحديث أيضاً، وقد نال شهرته وعلمه من أبيه، كما ذكرنا ومن أمه، وهي من أهل المدينة، وكانت تروي عن الإمام مالك وغيره من العلماء بالحفظ، وكان عدد ما تحفظه من الحديث عشرة الأف، وقد اشتهرت عبدة بنت بشر بالرواية وعلم الحديث، وكانت أسرة حبيب بن الوليد حينها مصدراً مهماً للحديث، لكثرة حفظ ذويها له[4].

وكذلك محمد بن سليمان بن أحمد بن حبيب المعروف بالحبيبي(ت. 329هـ/940م)، وكان قد روى عن أهل الأندلس الكثير من الأحاديث[5]، ومحمد بن معاوية بن عبد الرحمن بن معاوية المعروف بابن الأحمر، ينتسب إلى الخليفة هشام بن عبد الملك(105-125هـ/724-743م)، وكان أحد رواة سنن النسائي، وكان قد رحل إلى المشرق قبل سنة 300هـ/912م وتتلمذ على أيدي علماء العراق ومصر وغيرهما من بلدان المشرق[6].

---

(1) الذهبي، **سير**، ج13، ص286.

(2) الحميدي، ص387.

(3) ابن الفرضي، ج1، ص94.

(4) ابن حيان، ص(326-327)؛ المقري، ج2، ص(503-504).

(5) الحميدي، ص89.

(6) نفسه، ص134.

ومن محدثي عصر الإمارة الأموية في الأندلس؛ قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء(ت. 340هـ/951م) ويعرف بالبياني، وهو من أهل قرطبة، ومن شيوخه في الأندلس بقي بن مخلد ومحمد بن وضاح، وكان قد رحل إلى المشرق وأخذ عن أحمد بن يحيى بن يزيد (ت. 286هـ/899م)[1] المعروف بثعلب، وطال عمره فسمع منه الشيوخ والكهول والأحداث، وكان طلاب العلم يرحلون إليه في الأندلس، وكان بصيراً بالحديث بالإضافة إلى النحو والشعر، وكان يشاور في الأحكام، وقد ضاعت الكتب التي ألفها وحفظ لنا المؤرخون أسماءها، مثل: كتاب الأنساب، وكتاب في السنن، وكتاب في أحكام القرآن، وكتاب في الناسخ والمنسوخ، وكتاب في حديث مالك بن أنس مما ليس في الموطأ[2].

وأما **علم الفقه** فهو يعنى بفهم أحكام الشريعة الإسلامية واستنباطها من أدلتها التفصيليّة في القرآن الكريم والسنة النبوية في كل مناحي حياة المسلم بما عليه من أفعال وعبادات مكلّف بها، وهو العلم الذي يقرر حكم الشيء بحلاله وحرامه ووجوبه وندبه وكراهيته. والفقه الإسلامي نظرياً يشتمل على دراسة علوم أساسية فيه، ألا وهي علم فروع الفقه، وأيضاً علم أصول الفقه، وعلم الاستدلال، وغيره، وكان السلف يستخرجون النصوص من تلك الأدلة على اختلاف فيما بينهم، وذلك بسبب احتمال ألفاظها الكثير من المعاني المختلفة فكانوا يلجأون إلى الترجيح، وكانت هذه نقطة خلاف بين السلف والأئمة من بعدهم[3].

ثم إن الصحابة لم يكونوا كلهم أهل فتيا، ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم، وإنما كان ذلك مختصاً بالحاملين للقرآن العارفين بناسخه ومنسوخه ومتشابهه ومحكمه وسائر دلالته، بما تلقوه عن النبيﷺ، أو ممن سمعه منه من عليتهم، وكانوا يسمون لذلك القراء –أي الذين يقرأون القرآن–، فاختص من كان منهم قارئاً للكتاب بهذا الاسم لغرابته في ذلك الوقت، وبقي الأمر كذلك حتى صدر الملة[4].

---

(1) أحمد بن يحيى: هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن يزيد النحوي، إمام الكوفيين في النحو واللغة، سمع من الزبير بن بكار، وكان ثقة صالحاً مشهوراً بالحفظ والصدق والمعرفة باللغة وراوية الشعر القديم، وله العديد من المصنفات منها كتاب المجلس، انظر: ابن خلكان، ج1، ص(102–103).

(2) الحميدي، ص(487–488).

(3) ابن خلدون، تاريخ، ج1، ص563؛ انظر أيضاً: علوان، عبد الله، **محاضرة في الشريعة الإسلامية وفقهها ومصادرها**، ص74؛ القطان، مناع، **التشريع والفقه في الإسلام تاريخاً ومنهجاً**، ص121.

(4) ابن خلدون، **تاريخ**، ج1، ص563.

ولما عظمت أمصار الإسلام وذهبت الأمية من العرب قاموا بقــراءة القــرآن الكــريم، وتمكن الاستنباط منه وكمل الفقه وأصبح علماً، وانقسم الفقه فيهم إلى طريقتين: طريقــة أهــل القياس وهم أهل العراق وطريقة أهل الحديث وهم أهل الحجاز، وكان الحديث قليلاً فــي أهــل العراق فاستكثروا من القياس ومهروا فيه، فلذلك قيل أهل الرأي، ومقدم جماعتهم الذي اســتقر المذهب فيه وفي أصحابه أبو حنيفة(ت. 150هـ/767م)[(1)]، وأما أهل الحجاز، فرأسهم الإمــام مالك بن أنس والشافعي(ت. 204هـ/820م)[(2)] من بعده[(3)].

وكان للفقه مكانة عالية لدى الأندلسيين، وحظي علماؤه بكل تقــدير واجــلال، وكــانوا يمنحون صفة الفقيه على النحوي أو اللغوي، لأن هذا اللقب كان لديهم ارفع المنازل[(4)].

وقد كان أهل الأندلس منذ الفتح وحتى عهد الأمير هشام الرضا علــى مــذهب الإمــام الأوزاعي(ت. 157هـ/774م)[(5)] -فقيه الشام المشهور-، وذلك بسبب أن أكثر الفاتحين للأندلس أصلهم من الشام[(6)]، ويعود أنتشاره في ذلك الوقت لتأثر الأندلس بالحضارة الشامية فــي جميــع مظاهرها، فكان من الطبيعي أن تعتنق هذا المذهب بحكم كونه شامياً موالياً للأمويين، بالإضافة إلى اهتمام هذا المذهب بالتشريعات العسكرية وأحكام الحرب وهو ما يناسب الأندلسيين في هذه الفترة من حياتهم[(7)].

وكان مذهب الأوزاعي في الأندلس يقوم على رفض العمل بالرأي ويتمســك بالحــديث وباتباع صحابة الرسولﷺ، معتبراً أن السنة الحية هي الممارسة المستمرة التي تبعها المسلمون

---

(1) أبو حنيفة: النعمان بن ثابت، الفقيه الكوفي، وهو مولى تيم الله ثعلبة، ولد ونشأ بالكوفة، أخذ العلم على يد مالك بن أنس وغيره، وكان كثير العلم والزهد والعبادة، وهو صاحب المذهب الحنفي، انظر: ابن خلكان، ج5، ص(405-406).

(2) الشافعي: أبو عبد الله، محمد بن إدريس بن العباس الشافعي، اجتمعت فيه الكثير من الصفات الحسنة من علم وأدب وكان عالما بالقران وكلام الصحابة وبكلام العرب واللغة والشعر، وقيل: إنه اجتمع بمالك بن أنس وحفظ موطأه، وله مذهب في الفقه، انظر: ابن خلكان، ج4، ص (163-164).

(3) ابن خلدون، **تاريخ**، ج1، ص564.

(4) المقري، ج1، ص22؛ انظر أيضاً: الرافعي، مصطفى، **تاريخ آداب العرب**، ج2، ص234.

(5) الأوزاعي: عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي، يكنى أبا عمرو، من قبيلة الأوزاع الدمشقية، إمام الديار الشامية في الفقه والزهد وأحد الكتاب المترسلين، وله كتاب السنن في الفقه، انظر: الزركلي، ج3، ص320.

(6) ابن الفرضي،ج1، ص278؛ المقري،ج3، ص230؛ انظر أيضاً: الحجي، عبد الرحمن، **التاريخ الأندلسي**، ص280؛ عبد العزيز، محمد، **الحضارة الإسلامية، عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار**، ص184.

(7) بروفنسال، ليفي، **الحضارة العربية في اسبانيا**، ص153.

منذ عهد النبيﷺ، كما حافظ عليها الخلفاء الراشدون، وكما أعترف بها الفقهاء، وبالتالي حفظ مبدأ التمسك بمذهب القدماء[1].

واختلفت الآراء حول الشخصية التي أدخلت مذهب الأوزاعي إلى الأندلس أولاً، فقيل: إنَّ القاضي أسد عبد الرحمن السبتي(ت. 150هـ/767م)[2] هو من ادخله[3]، وقيل: إنَّ صعصعة بن سلام الشامي تلميذ الأوزاعي هو أول من أدخله، فقد كانت الفتيا دائرة عليه بالأندلس منذ أيام الأمير عبد الرحمن الداخل، وحتى عهد الأمير هشام الرضا، وولي الصلاة بقرطبة[4]، وظلت الفتيا قائمة عليه في المساجد بالأندلس حتى بعد حلول المذهب المالكي وانصراف مذهب الأوزاعي[5].

وانتفع الأندلسيون بعلم الأوزاعي وذهبوا مذهبه، وروى عنه عدد من الفقهاء أمثال: أبو مروان عبد الملك بن الحسن بن محمد بن زريق(ت. 232هـ/846م)[6]، المعروف بزونان، وعثمان بن أيوب(ت. 246هـ/860م)[7]، وعبد الملك بن حبيب السلمي[8].

وقد كان من الطبيعي في بداية الأمر وخاصة أيام الأمير عبد الرحمن الداخل أن يكون الاتجاه ناحية الشام لا ناحية العراق بسبب كره الأمويين للعباسيين، وكانت دمشق رغم انتقال عاصمة الخلافة منها إلى بغداد لا تزال مركزاً ثقافياً وحضارياً بشكل كبير، وعلى الرغم من هذا البعد لم ينقطع الاتصال بها عن طريق مرور الحجاج عليها في ذهابهم وإيابهم، فكان يتم لقاء المشاهير من المشايخ والسماع عليهم والنقل عنهم، وكان الأمير عبد الرحمن الداخل يختار

---

(1) مؤنس، **معالم**، ص319.

(2) أسد عبد الرحمن السبتي: مولى هذيل، ولي قضاء إلبيرة في إمارة عبد الرحمن الداخل، انظر: الحميدي، ص244.

(3) الحميدي، ص244.

(4) ابن الفرضي، ج1، ص278؛ ابن كثير، ج14، ص15؛ انظر أيضاً: ايرافوا، دومينيك، علماء الأندلس؛ أنظر: الجيوسي، سلمى، ج2، ص(1180-1181).

(5) النباهي، **تاريخ قضاة الأندلس**، ص51؛ انظر أيضاً: ضيف، شوقي، ص(111-112).

(6) عبد الملك بن زريق: كان مفتياً أيام هشام الرضا، وعبد الرحمن الاوسط، وله رحلة سمع فيها من عدة شيوخ، انظر: ابن الفرضي، ج1، ص(358–359).

(7) عثمان بن أيوب: وهو من أهل قرطبة، ويزعم ولده أنه من الفرس، روى عن الغازي بن قيس ورحل إلى بلاد المشرق، وسمع عن عدد من شيوخها، وعرض عليه القضاء فرفض، انظر: ابن الفرضي، ج1، ص393.

(8) ابن الفرضي، ج1، ص(358، 393)؛ انظر أيضاً: الحجي، ص281.

رجال دولته في الأندلس من بين الشاميين، ويعهد إليهم بأمورها، خاصة الوظائف الدينية، بل إنه كان يرسل من بينهم البعثات إلى دمشق لتزود بالعلم والمعرفة، فهذا معاوية بن صالح، كان يرسله الأمير إلى دمشق دارساً ثم يعينه بعد عودته قاضياً لقرطبة، والمنصب ذاته يتولاه في وقت آخر شخصية شامية وهي المصعب بن عمران[1]، كما ولى القضاء، القاضي الشامي المعروف يحيى بن زيد التجيبي[2] في بداية حكم الأمير عبد الرحمن الداخل[3].

ولا شك أن اتجاه الأمير عبد الرحمن الداخل إلى دمشق كان مقدمة لقبول وانتشار مذهب الأوزاعي في الأندلس، وبالتالي فعقب تولية الأمير هشام الذي كان بطبيعته فاضلاً متديناً محباً لدراسة الحديث والفقه، عمل بكل ما في وسعه لنشر المذهب المالكي في الأندلس بالتدريج ليحل محل مذهب الأوزاعي، وقد سار على نهجه ولده الحكم الربضي، فازدهر المذهب المالكي وأصبح المذهب الديني الرسمي للأندلس، وكانت المناصب الدينية وغيرها تمنح للمالكيين في كافة أنحاء الأندلس، وبمرور الأيام فقد أدى هذا إلى ازدياد نفوذ الفقهاء وتدخلاتهم في السلطة، الأمر الذي تخوف منه الأمير الحكم الربضي، ففرض عليهم أن يقدموا فتاواهم وأن يحكموا بموجب المذهب المالكي وحده، الأمر الذي أدى إلى تمرد الفقهاء على الحكم وإعلانهم الثورة عليه، فقام بقمعهم ونفيهم من قرطبة[4].

ومن أسباب تحول الأندلسيين عن مذهب الإمام الأوزاعي إلى مذهب الإمام مالك، وهو الشبه الكبير بين طبيعة أهل المغرب والأندلس وطبيعة أهل الحجاز، من حيث البساطة، أضف إلى هذا إن عقلية أهل المغرب والأندلس كانت تغلب عليها نزعة أهل الحديث، وجانبوا نزعة أهل الرأي والقياس، مذهب أبي حنيفة[5].

---

[1] المصعب بن عمران: من العرب الشاميين، وصل إلى الأندلس قبل قدوم الأمير الداخل، وتقلّدَ منصب الوزارة ثم منصب القضاء، وتوفي أيام الحكم بن هشام، انظر: الخشني، **قضاة قرطبة وعلماء إفريقية**، ص(42-45).

[2] يحيى بن زيد التجيبي: من أهل العلم، ولّي الإمامة والقضاء في قرطبة في عهد الداخل، انظر: الخشني، **قضاة**، ص28.

[3] الخشني، قضاة، ص(28،42).

[4] الشعراوي، ص(183-184).

[5] ايرافو، ص1181.

ومن الأسباب التي أدَّت أيضاً إلى أنتشار مذهب الإمام مالك في الأنــدلس، أن العلمــاء والفقهاء الأندلسيين الذين رحلوا إلى المشرق قابلوا الإمام مالك في المدينة، فــأعجبوا بشخصــه وبفقه المعتمد على الكتاب والسنة، والذي يميل إلى الناحية العلمية فهو يرى أن كل ما هو نــافع للمسلمين ويتفق مع مصالح جمهورهم فهو من الإسلام ما دام لا يتعارض مع أوامره ونواهيــه، ولكن الإمام مالك يعمم ذلك ويجعله قاعدة ولم يكن يلجأ إلى الرأي إلا في حــالات الضــرورة القصوى[1]، ومنهم من قال: إن الإمام مالك سأل بعض الحجاج الأندلسيين عن أميــرهم هشــام الرضا فأثنوا عليه خيراً، فقال مالك: "وكأنَّ في نفسه من بني العباس شيء ليت الله زين موسمنا بمثله أو ليت الله أن يزين حرمنا بملككم".

فلما سمع هشام هذا سمح لتلاميذه أمثال، سعيد بن أبي هند[2] و الغازي بن قيس، وزياد بن عبد الرحمن(ت. 199هــ/814م)[3]،الملقب بشبطون، وعيســى بــن دينــار الغــافقي(ت. 191هــ/807م)[4]، وقرعوس بن العباس(ت. 220هــ/835م)[5] ويحيى بــن يحيــى الليثــي، بتدريس مذهبه ونشره وأمر القضاة بالعمل به، ومن هنا أخذ مذهب مالك في الانتشار حتى غدا المذهب الرسمي في البلاد[6].

وقال ابن حزم في حديثه عن السبب في انتشار المذهب المالكي في الأندلس: "مــذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان مذهب أبي حنيفة في المشرق ومذهب مالك عندنا في

---

(1) ابن خلدون، **تاريخ**، ج1، ص568؛ المقري، ج2، ص9؛ انظر أيضاً: مؤنس، **معالم**، ص309.

(2) سعيد بن أبي هند: يكنى أبا عثمان، وأصله من طليطلة، ولكنه سكن مدينة قرطبة، لقي مالك بن أنس وسمع منه، وكان مالك يسميه بالحكيم، وقيل: إنه توفي في بداية قيام دولة عبد الرحمن الداخل، انظر: ابن الفرضي، ج1، ص(224–225)؛ الحميدي، ص339.

(3) زياد بن عبد الرحمن: فقيه أهل الأندلس على مذهب مالك، وكان رجلاً صالحاً، عُرض عليه القضاء ولم يقبله، انظر: الحميدي، ص(313–314).

(4) عيسى بن دينار: أصله من طليطلة، سكن قرطبة ورحل وسمع من ابن القاسم وصحبه وعاد إلى الأندلس، وأصبحت الفتوى له فيها، وكان متفنناً بالمسائل الفقهية، وقيل إنه هرب يوم وقعة الربض واختفى ثم أمنه الأمير الحكم الربضي على نفسه، انظر: ابن الفرضي، ج1، ص426؛ ابن عياض، **ترتيب**، ج4، ص106.

(5) قرعوس بن العباس: أحد فقهاء الأندلس سمع من مالك بن أنس وسفيان الثوري(ت. 161هــ/778م) وابن جريج(ت. 150هــ/767م)، وكان رجلاً متديناً وورعاً، إلا أن البعض ضعّفه في الحديث، انظر: ابن الفرضي، ج1، ص475؛ الحميدي، ص491.

(6) مجهول، **أخبار**، ص109؛ المقري، ج3، ص230؛ انظر أيضاً: سالم، السيد، **تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس**، ص218.

الأندلس، فإن يحيى كان مكيناً عند السلطان مقبول القول في القضاء، وكان لا يولي قاضياً في أقطار الأندلس إلا بمشورته واختياره، ولا يشير إلا بأصحابه ومن كان على مذهبه، والناس سراع إلى الدنيا والرئاسة، فاقبلوا على ما يرجون بلوغ أغراضهم به"[1].

ونستنتج من مقولة ابن حزم أن من أسباب إقبال الناس في الأندلس على مذهب مالك هو طمعهم في الرئاسة، فأقبلوا على هذا المذهب لأنه يحقق غايتهم.

ويضيف ابن خلدون سبباً آخر على طريقته في فلسفة أحداث التاريخ بقوله: "إن البداوة كانت هي الغالبة على أهل المغرب والأندلس، وأنهم لم تكن لهم حضارة أهل العراق، فكانوا إلى مذهب أهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة "[2] ويرى ابن خلدون أيضاً أن مذهب مالك يعتمد على النصوص أكثر مما يعتمد على العقل والقياس، وهذا أيضاً مما يناسب البداوة ويعد أكثر ملاءمة لعقلية الأندلسيين[3].

ويعود السبب أيضاً في انتشار مذهب مالك إلى وجود عوامل سياسية، فيذكر أن النفور بسبب الخصومة المستحكمة بين الأمويين والعباسيين، حيث كان العباسيون على المذهب الحنفي، لأن مالكاً كان مغاضباً لسياسة العباسيين منذ أن أفتى أهل المدينة بالتحلل من بيعة الخليفة المنصور وبيعة محمد النفس الزكية(ت. 145هـ/762م)[4]، ولم يلبث واليها جعفر بن سليمان أن دعا مالكاً سنة 146هـ/ 763م بعد القضاء على ثورة النفس الزكية وجرده وضربه بالسياط عقاباً له على فتواه، وهو ما جعل عبد الرحمن وابنه هشاماً أن يتشيعا لمالك ومذهبه الفقهي نصرة له ضد العباسيين وصاحبهم أبي حنيفة وتلاميذه[5].

---

[1] ابن حزم الأندلسي، **رسائل**، ج2، ص229.

[2] ابن خلدون، **تاريخ**، ج1، ص568.

[3] نفسه.

[4] محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب: يكنى أبا عبد الله، أبوه عبدالله المحض زعيم الحسنيين في زمانه، خرج على الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، وقتل على يد عيسى بن موسى(ت. 168هـ/785م) في المدينة، انظر: خليفة بن خياط، **تاريخ**، ص(421–422)؛ العمري، **المجدي في أنساب الطالبيين**، ص223؛ ابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، ج9، ص252.

[5] نعنعي، ص180.

وبالإضافة إلى هذه الاسباب فإننا نستطيع أن نضيف سبباً آخر لـــه أهميتـــه وهـــو أن الأندلس لم تكن بمنأى عن التيارات المذهبية في المغرب التي لا يفصـــلها عنهـــا إلا مضـــيق صغير، وكان المذهب المالكي قد انتشر فـــي بـــلاد المغـــرب علـــى أســـد بـــن الفـــرات(ت. 213هـــ/828م) وسحنون اللذين أدخلا إليها هذا المذهب وعملا على نشره مـــع طائفـــة مـــن الفقهاء[1]، ومن هنا أخذ هذا المذهب بالانتشار في الأندلس، حيث كان كثير من البربـــر الـــذين شاركوا في فتحها على المذهب المالكي الذي غدا بمثابة الهوية الدينية والقومية بالنسبة للســـكان في المغرب والأندلس[2].

ويعود الفضل في انتشار المذهب المالكي في الأندلس إلى الغازي بن قيس الـــذي كـــان أول من حمل كتاب الموطأ من المشرق وأدخله إلى الأندلس، ويقول ابن القوطية: "في أيام عبد الرحمن دخل الغازي بن قيس الأندلس بالموطأ عن مالك وبقراءة نافع، وكان له مكرماً ومتكرراً عليه بالصلة في منزله" [3].

ومن أوائل من أدخلوا موطأ مالك وفقهه إلى الأندلس، زياد ين عبد الـــرحمن اللخمـــي الملقب بشبطون، وكان قد رحل بعد عام واحد من إمارة هشام وتتلمذ على يد الإمام مالك الـــذي كان معاصراً لهشام، وكان يثنى عليه وعلى حسن سيرته، وقد أخذ عنه يحيى بن يحيى الليثـــي الذي أشار عليه زياد بالرحيل إلى المدينة للتتلمذ على يد الإمام مالك، فلازمه مدة وسمع عنـــه الموطأ، ثم رحل إلى مكة فسمع عن عدد من شيوخها، كما سمع بمصر عن فقيهها الليـــث بـــن سعد(ت. 175هـــ/791م)[4] وعبد الرحمن بن القاسم العتقي(ت. 191هـــ/807م)[5]، ولما عـــاد إلى الأندلس عمل هو الآخر على نشر مذهب الإمام مالك، وتولى الرئاسة في الفقه والقضـــاء، وأصبح إمام عصره وغدا له منزلة سامية ومكانة عظيمة في عهد هشام الذي قرَّب الفقهاء حتى

---

(1) الفقي، ص78.

(2) دويدار، ص143.

(3) ابن القوطية، ص56.

(4) الليث بن سعد: شيخ إقليم مصر، مولى اصبهاني الأصل، حج ولقي عدداً من الشيوخ الذين تلقى عنهم علمه، وكان كبير الديار المصرية، انظر: الذهبي، **تاريخ**، ج11، ص(302–303).

(5) عبد الرحمن العتقي: أبو عبد الله الفقيه، أخذ علمه عن الإمام مالك وعن عددٍ من كبار شيوخ عصره، وكان شديد الورع والتقوى، انظر: الذهبي، **تاريخ**، ج13، ص(277،275).

سمي عصره بعصر نفوذ الفقهاء، وكذلك أصبح له منزلة كبيرة في عهد حفيده عبد الرحمن الأوسط، وبلغ من نفوذ يحيى أنه كان لا يولى الأمر أحداً في القضاء إلا بمشورته[1].

وبالتالي فقد أصبح المذهب المالكي هو المذهب الوحيد المعترف به رسمياً في الأندلس، وتعصب فقهاؤه له وانتهى بهم إلى التقليد والجمود[2]، وقد وصل التعصب بالبعض لدرجة أنه إذا تناظر فقيهان في قضية أو مسألة وقال أحدهما، قال رسول الله ﷺ، رد الآخر قائلاً: وقال مالك، وهذا من الجهل المؤدي إلى العصبية، لأن مالكاً ما استقى إلا من الرسول ﷺ[3].

ومن العلماء الذين برعوا في هذا المجال؛ عيسى بن دينار، ووصف بأنه كان أكثر علماً بالفقه من يحيى بن يحيى[4]، فقيل فقيه الأندلس عيسى بن دينار وعالمها عبد الملك بن حبيب وعاقلها يحيى بن يحيى[5]، ووصفه ابن الفرضي بكثرة العبادة والزهد وترك الرأي والتمسك بالحديث[6]، وكان عيسى بن دينار قد رحل إلى مصر وتأثر بالمدرسة المالكية المصرية وشيخها وشيخها عبد الرحمن بن القاسم، وألف من كتب الفقه المالكي "كتاب الهداية" [7].

وظهر للمدرسة المالكية أثر واضح في الفقه الأندلسي وذلك من خلال العديد من الأعلام المغاربة والأندلسيين الذين تتلمذوا على أيدي الفقهاء المصريين مثل عيسى بن دينار ويحيى الليثي وعلى رأسهم فقيه مصر عبد الرحمن بن القاسم[8].

وانتشر المذهب المالكي في الأندلس على يد يحيى بن يحيى الليثي الذي كان له تأثير كبير بين الأندلسيين، وله رحلة إلى المشرق زار فيها الديار الحجازية ولقي فيها الأمام مالك وسمع منه الموطأ، وبعد عودته إلى قرطبة عمل في التدريس والإفتاء، ولكن بعد وقعة الربض

---

(1) الحميدي، ص(566-567)؛ انظر أيضاً: عبد البديع، لطفي، **الإسلام في اسبانيا**، ص41.
(2) بروفنسال، ص150.
(3) دويدار، ص144.
(4) ابن عياض، **ترتيب**، ج4، ص106.
(5) ابن الفرضي، ج1، ص426.
(6) نفسه.
(7) ابن عياض، **ترتيب**، ج4، ص109.
(8) نفسه.

وضلوعه فيها فر هارباً إلى مدينة طليطلة، وعاد إلى قرطبة بعد أن عفى عنه الأمير الحكم الربضي، فعاد للتدريس وروى عنه الكثير، وكان زاهداً لم يقبل تولي القضاء[1].

ومن الفقهاء المشهورين الذين ظهروا خلال عصر الإمارة الأموية في الأندلس عبد الملك بن حبيب، وكانت له رحلة إلى المشرق تعلم فيها المذهب المالكي، وأسهم في نشره في بلاد الأندلس، حيث زار في رحلته بلاد الشام والحجاز ومصر، ولقي في الحجاز أصحاب مالك[2]، وسمع من ابن الماجشون(ت. 213هـ/828م)[3] وغيره الكثير، وكان عالماً بالفقه والحديث واللغة والاعراب[4]، وله من الفقه كتاب "الواضحة" [5]، الذي اشتهر في الأندلس وبلدان المغرب، وهو كما قيل: لم يؤلف مثله[6]، وكذلك يحيى بن معمر الألهاني، كان شديد الورع واشتهر بالفقه، وكانت له رحلة إلى المشرق لقي فيها أشهب بن عبد العزيز(ت. 204هـ/819م)[7] وسمع منه، كما تولى القضاء أيام الأميرعبد الرحمن الأوسط[8].

ويأتي من بعده محمد بن أحمد ابن عتبة(ت. 254هـ/868م) وهو تلميذ يحيى الليثي وعبد الملك بن حبيب، رحل إلى المشرق ومصر وسمع بها أصبغ بن الفرج(ت. 225هـ/840م)[9]، وله كتاب المستخرجة وتسمى العتيبة[10] نسبة إليه، وطارت شهرتها في

---

(1) الحميدي، ص567؛ المقري، ج2، ص9؛ انظر أيضاً: إبراهيم، إبراهيم، **علم أصول الفقه الإسلامي**، ج2، ص333؛ مؤنس، معالم، ص331.

(2) ابن الفرضي، ج1، ص(360-361).

(3) ابن الماجشون: أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز، فقيه مالكي، تفقه على يد الإمام مالك بن أنس، ونشر علمه في شتى بقاع الارض، وأثنى عليه علماء عصره، انظر: ابن خلكان، ج3، ص(166-167).

(4) ابن الفرضي، ج1، ص360؛ الحميدي، ص(407-408).

(5) الواضحة: تنسب لعبد الملك بن حبيب السلمي، وهي كتاب كبير في مذهب مالك، وقال فيه ابن الفرضي إنه لم يؤلف مثله كتاب، انظر: ابن الفرضي، ج1، ص360؛ ابن عياض، **ترتيب**، ج4، ص127؛ المقري، ج2، ص5.

(6) المقري، ج2، ص(5-6).

(7) أشهب بن عبد العزيز القيسي: أبو عمرو، تفقه على يد الإمام مالك، وكان كثير العلم، انظر: ابن خلكان، ج1، ص(238-239).

(8) ابن الفرضي، ج2، ص222؛ الحميدي، ص562.

(9) أصبغ بن الفرج: أبو عبد الله، الفقيه المالكي المصري، تفقه على يد عدد من فقهاء عصره، وكان من أهم أعلام مذهب مالك، انظر: ابن خلكان، ج1، ص101؛ الصفدي، ج9، ص166.

(10) العتيبة: أو المستخرجة، تنسب إلى محمد بن أحمد العتبي، وفي هذا الكتاب كان يجمع الروايات المطروحة والمسائل الغريبة الشاذة، وقيل أن فيها الكثير من المسائل التي لا صحة لها، انظر: ابن الفرضي، ج2، ص12؛ ابن عياض، **ترتيب**، ج4، ص253.

الأندلس والمغرب[1] وكذلك عبد الله بن محمد بن خالد بن مرنتيل(ت. 256هـ/870م) وهو من أهل قرطبة وله رحلة إلى مصر سمع فيها من أصبغ بن الفرج، وكان على رأس المالكية بالأندلس والقائم عليها في عصره[2].

ومن أعلام الفقه أيضاً في هذا العصر محمد بن عبد السلام الخشني، وهو من أهل قرطبة ورحل إلى المشرق وسمع في البصرة وبغداد ومصر وأخذ العلم عن عدد من الشيوخ، ولما عاد إلى قرطبة أدخل معه كثيراً من العلوم، كما رفض تولي القضاء للأمير محمد بن عبد الرحمن[3].

ومن الفقهاء أيضاً محمد بن عمر بن لبابة(ت. 314هـ/926م) وكان إماماً في الفقه ومشاوراً للأمير عبدالله بن محمد، كما عمل بالإفتاء أيام الأمير عبد الرحمن الناصر، ولم يكن له علم بالحديث، وكان عالماً بالشعر[4]، بالإضافة إلى محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة(ت. 330هـ/941م) الذي ارتحل إلى القيروان، وكان يقال عنه: إنه من أنبل المالكيين في جمع روايات المذهب والتأليف فيها، وفي شرح ما استعصى على الفهم، وله في الفقه كتب مؤلفة، منها كتاب "المنتخب" [5].

وفي النهاية عمل عدد من الفقهاء مستشارين لدى الأمراء الأمويين في كافة شؤونهم، وخاصة الدينية منها، إلا أن بعضهم قد رفض تولي القضاء أو الوظائف العامة مكتفين بالانصراف إلى العلم والتدريس وإفتاء الناس فيما يعرض لهم من مشاكل، وكان هذا العزوف يرفع من مكانتهم أمام الناس، وفي الوقت نفسه لم يكن تعبيراً عن عدم الرضا عن البيت الأموي، ولكنهم يسيرون في هذا في آثار مالك الذي لم يتولَّ أيَّ منصب سوى التعليم، وقد اختار الأمراء من بين هؤلاء الفقهاء عدداً كانوا من أوسعهم علماً، وجعلوهم فقهاء مشاورين، وكانوا يعتبرونهم أهل شورى لهم، وتعدل مراكزهم مركز الوزراء[6].

---

(1) الحميدي، ص552؛ انظر أيضاً: عباس، إحسان، **تاريخ الأدب الأندلسي –عصر سيادة قرطبة–**، ص25.

(2) ابن الفرضي، ج1، ص289.

(3) نفسه، ج2، ص(23-24).

(4) نفسه، ص(49-50).

(5) الحميدي، ص147؛ ابن حزم الأندلسي، **رسائل**، ج2، ص181.

(6) مؤنس، **معالم**، ص330.

ونتيجة لكل ما ذكر فقد عكف الأندلسيون على دراسة المذهب المالكي وانتشرت بيـــنهم كتبه ومؤلفاته، حيث أصبح من المستحيل حصر المؤلفات الأندلسية في هذا المجال أو حصـــر أشهر علماء الأندلس المالكيين، وأصبحت السيادة في الأندلس لمذهب مالك مما قلل مـــن شـــأن المذاهب الأخرى المخالفة لأهل السنة عموماً، وكان الأندلسيون من عامة وعلماء يصدرون في الغالب عن رأي واحد وعاطفة واحدة، غير أن السيادة هذه لم تلغي وجود مذاهب أخرى، سواء أكانت مذاهب فقهية، كالمذهب الشافعي والمذهب الحنفي والمذهب الظاهري، أو وجـــود فـــرق دينية كالخوارج والشيعة والمعتزلة[1].

وأما فيما يتعلق بالمذاهب الفقهية الأخرى ومنها، المذهب الحنفي فإنه لم يجد له أتباعـــاً كثيرين في الأندلس في عصر بني أمية، وقد أبدى المقدسي دهشته من ذلك حين ذكر: إنهم فـــي الأندلس يقولون لا نعرف غير كتاب الله وموطأ مالك على حين ثمة أتباع كثيرون لمذهب أبـــي حنيفة في المغرب[2].

ويذكر ذلك من خلال قصة ينسبها إلى هذا الأمير الذي لم يذكر أسمه – ولعله هشام بن عبد الرحمن– فيقول: "إن الأحناف والمالكية تناظرا بين يديه ذات يوم فقال: من أين أبو حنيفة؟ قالوا: من الكوفة، قال: ومالك؟ قالوا: من المدينة، فقال: عالم دار الهجرة يكفينا، وأمر بـــإخراج أصحاب أبي حنيفة، وقال: لا أحب أن يكون في عملي مذهبان[3].

ولكن، يبدو في هذه القصة طابع الصنعة والتكلف بالرغم من ذكر المقدسي أنه ســـمعها من عدة مشايخ في الأندلس، وهي من نوع الحكايات التي تجرى على ألسنة الناس دون تحقـــق من صحتها، فهل كان الأمير الأموي يجهل موطن أبي حنيفة ومالك حتى يســـأل عـــن ذلـــك؟ ويظهر أن السبب في ذلك هو عدم ميل الأمويين لهذا المذهب نظراً لأنه كان مذهب خصـــومهم العباسيين، ولذلك مالوا إلى مذهب الأوزاعي إمام أهل الشام أولاً، ثم إلى مذهب الإمام مالك إمام أهل المدنية الذي أثنى على سياسة هشام بن عبد الرحمن الداخل، أضف إلى هذا أن مذهب أبي حنيفة مذهب يعتمد على العقل والمنطق أكثر من مذهب مالك الذي يعتمد أكثر على النصوص،

---

(1) دويدار، ص414.

(2) المقدسي، ص237.

(3) نفسه.

ولما كان البربر يشكلون جزءاً كبيراً من المجتمع الأندلسي، وكان مذهب مالك قد انتشر في بلادهم قبل ذهابهم إلى الأندلس الأمر الذي جعلهم يقبلون عليه أكثر، نظراً لتوافقه مع طبيعتهم وثقافتهم البسيطة.

ومن أشهر أتباع المذهب الحنفي في الأندلس الأعشى القرطبي(ت. 221هـ/836م)[1]، الذي كان أول من تأثر من الأندلسيين بفقه أهل العراق، ويظهر ذلك من خلال رأيه في شرب النبيذ فقد ذهب مذهب أبي حنيفة في هذه المسألة، حيث اعتبر شرب النبيذ كالتمر والشعير فهو إن لم يسكر حلال، إما اذا أسكر كعصير العنب فهو حرام[2].

ويذكر أن القاضي محمد بن زياد[3]، أمر بالقبض على رجل يشرب النبيذ فحبسه لإقامة الحد عليه، إلا أن الاعشى أوضح للقاضي ابن زياد أن الرجل لم يقع بالحرام، فأمر بإطلاق سراحه، وكان قد عرض على الأعشى القضاء فرفض، واشتهر بمزاحه وأنه صاحب حكايات ونوادر[4].

ومن الذين ذهبوا مذهب أهل العراق؛ أيوب بن سليمان بن حكم بن عبد الله بن بلكايش بن إليان القوطي، وقد رحل إلى المشرق، ودخل العراق فسمع فيها وعاد ومعه الكثير من كتب أهلها، وكان يميل إلى الحجة والنظر، ولذلك انصرف عنه الطلاب ولم يتتلمذ عليه إلا ابنه[5]، وكذلك أحمد بن سليمان القيرواني الذي قدم إلى الأندلس، وروى عن سحنون، وكان يذهب مذهب العراقيين[6].

وبالرغم من سيادة المذهب المالكي بالأندلس إلا أن المذهب الشافعي وجد له طريقاً إلى هذه البلاد منذ حكم الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط، الذي كان أول أمير أموي يتسامح

---

(1) الأعشى القرطبي: محمد بن أبي عيسى، ولي قضاء الجماعة في قرطبة، وله رحلة إلى المشرق، كان فقيهاً جليلاً عالماً، موصوفاً بالعقل والدين، ومن أهل الشعر والأدب، انظر: الحميدي، ص115.

(2) ابن عبد البر، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، ج1، ص245.

(3) محمد بن زياد: تولى قضاء الجماعة في عهد الأمير الحكم الربضي، فكان حسن السيرة،، ومن أهل الفضل والخير، انظر: الخشني، **قضاة**، ص87.

(4) ابن حيان، ص(208-209).

(5) ابن الفرضي، ج1، ص138.

(6) المقدسي، ص236.

ويشجع دخول المذاهب الأخرى، لما رآه ولمسه من نفوذهم، كما حاول الحكم الربضي ذلك من قبل، وذلك رغبة منه في توسيع آفاق الحياة الفقهية بحيث لا تقتصر على مذهب واحد، وذلـك بالرغم من تحذيرات الفقهاء المالكية له[1].

وكان قاسم بن محمد بن سيار القرطبي أول دعاة المـذهب الشـافعي فـي العاصـمة الأندلسية، حيث تفقه في المشرق على هذا المذهب وارتبط به، ولما عاد إلى الأندلس دعا إلـى ترك التقليد والأخذ بالحجة والنظر والاستنباط والاعتماد على الإجماع والقياس، وأخذ يدرس هذا المذهب في قرطبة تحت رعاية الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط، الذي منحه الحماية فـي مواجهة دعاة التقليد من فقهاء المالكية بخاصة، وعهد إليه بتحرير وثائقه وشروطه، وظل فـي هذا المنصب حتى توفي سنة276هـ/890م[2]، فقد ألف كتاب الإيضاح في الرد على ابن عتبة وابن مزين(ت. 260هـ/874م)، في ترك التقليد والأخذ بالحجة والنظر، وقد التف حوله بعض الفقهاء، أمثال أحمد بن خالد ومحمد بن عمر بن لبابة[3].

ومن الذين حاولوا إدخال المذهب الشافعي إلى الأندلس بقي بن مخلد، إلا أن جهوده لـم تمنح نتائج هامة في سبيل نشر هذا المذهب[4]، وكان من أتباع المذهب الشافعي؛ يحيى بن عبد العزيز المعروف بابن الخراز(ت. 295هـ/907م)، تتلمذ بمصر على يد أصـحاب الشـافعي، ومما سمعه من ابن عبد الحكم "مختصر المزني" و"رسالة الشافعي" [5]، أضف إلى هـؤلاء أبـا الخيار هرون بن نصر القرطبي(ت. 312هـ/924م)، وكان قد تفقه بكتب الشافعي[6].

وكذلك ممن سار على المذهب المذكور في عهد عبد الرحمن الناصر كان ابنه الأميـر عبد الله بن عبد الرحمن الناصر(ت. 238هـ/950م)[7] أحد الدعاة النشطين لهذا المذهب، وقـد

---

[1] بروفنسال، ص(159-160).

[2] ابن الفرضي، ج1، ص(456-457).

[3] الحميدي، ص484.

[4] نفسه، ص252.

[5] ابن الفرضي، ج2، ص(230-231).

[6] نفسه، ص(211-212).

[7] عبد الله بن عبد الرحمن الناصر: من نجباء أولاد الخلفاء، محباً للعلم والعلماء، وسمع من عدد منهم وحدث عن الكثير منهم، وله مؤلفات تدل على علمه مثل كتاب العليل والقتيل في أخبار ولد العباس، وانتهى به إلى خلافة الراضي ابن المقتدر(322-329ه/ 934-940م)ـ، انظر: ابن الأبار، **الحلة**، ج1، ص206.

اتهم بالاشتراك في مؤامرة ضد والده، وحكم عليه بالإعدام، ونَفَذَّ فيه الحكم بـأمر مـن والـده نفسه[1].

ومنهم أيضاً أبو الجعد أسلم بن عبد العزيز بن هاشم القرطبي(ت. 319هـ/931م) الذي تتلمذ على يد بقي بن مخلد، ورحل إلى المشرق سنة260هـ/874 م، ولقي بمصر عـدداً مـن أصحاب الشافعي، وقد ولي قضاء الجماعة مرتين في عهد الناصر، وبالرغم من أنه كان يميـل إلى المذهب الشافعي إلا أنه كان يقضي طبقاً للمذهب المالكي لأنه المذهب الرسمي للدولة[2].

ومن هؤلاء أيضاً أحمد بن بشر بن محمد بن إسماعيل التجيبـي(ت. 327هـ/939م) المعروف بابن الأغبش، وكان من أهل قرطبة سمع من ابن وضاح والخشني وغيرهما، وكـان متقدماً في علوم اللغة العربية، وكان يشاور في الاحكام، ويذهب في فتياه إلى مذهب الشـافعي ويميل إلى النظر والحجة[3].

وأما المذهب الحنبلي فمقلدوه قليلون حسب ما ذكره ابن خلدون، وذلك بسبب بعد مذهبه عن الاجتهاد وأصالته في مساندة الرواية والأخبار بعضها ببعض، وأكثرهم بالشـام والعـراق، وهم أكثر الناس حفظاً للسنة ورواية للحديث[4].

وكذلك ظهر المذهب الظاهري، وقد تأسس هذا المذهب بالعراق على يد داود الأصبهاني البغدادي (ت270هـ/883م)[5]، وكان على المذهب الشافعي أولاً ثم خرج عنه وأظهر القـول بالظاهر، وهو على حد قول الخطيب البغدادي "أول من أظهر انتحال الظاهر ونفى القياس فـي الأحكام"[6]، ويقوم هذا المذهب على الأخذ بظواهر النصوص والإجماع، وإبطال القياس وعـدم الآخذ به، ويذكر أن داود لما سئل عن ذلك وقد أخذ الشافعي به قال: "أخذت أدلة الشافعي فـي إبطال الاستحسان فوجدتها تبطل القياس" [7].

---

(1) الحميدي، ص376.

(2) الخشني، **قضاة**، ص155.

(3) ابن الفرضي، ج1، ص175.

(4) ابن خلدون، **تاريخ**، ج1، ص566.

(5) داود الأصبهاني: سمع الحديث عن عدد من شيوخ عصره، وارتحل إلى ابن راهويه(ت. 238هـ/853م) وسمع منه المسند والتفسير، وله العديد من المصنفات، انظر: الذهبي، **سير**، ج13، ص(98-99).

(6) ابن الخطيب البغدادي، ج9، ص348.

(7) ابن خلدون، **تاريخ**، ج1، ص564؛ انظر أيضاً: عبد المعطي، فاروق، **الإمام الشافعي**، ص11.

وقد دخل المذهب الظاهري إلى الأندلس على يد عبد الله بن محمد بن قاسم بن هلال القرطبي(ت. 272هـ/885م) وذلك في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط، وكان لعبد الله رحلة إلى المشرق أخذ فيها العلم عن داود مؤسس المذهب، وكتب عنه كتبه كلها وأدخلها إلى الأندلس، وغلب عليه هذا المذهب[1].

وتعصب فقهاء المالكية لمذهب مالك تعصباً شديداً وتحمسوا له تحمساً بالغاً، ولذلك وقفوا ضد انتشار المذاهب الأخرى سواء أكانت مذاهب فقهية أم دينية، وعارضوا أتباع المذاهب الأخرى بشراسة، فقد كان الإمام مالك عندهم هو صاحب الكلمة العليا والأخيرة فيما يتصل بالفقه والعقيدة وعلم الكلام[2].

وبناءً على ما ذُكر؛ عارض فقهاء المالكية تدريس بقيٍّ بن مخلد مسند ابن أبي شيبة، ومنهم أصبغ بن خليل(ت. 273هـ/886م)[3] الذي ينسب إليه أنه قال: "لأن يكون في تابوتي رأس خنزير أحب إلي من أن يكون فيه مسند ابن أبي شيبة"، كما اقترح بعض الفقهاء المالكيين إصدار فتوى بإباحة دمه، وقرر بقيٌّ الرحيل فراراً بنفسه، وبلغ الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط ما حدث، فاستدعاه وأنصفه[4].

وهذا يدل على مدى تشدد موقفهم من المذاهب الدينية والكلامية، ويدلنا على ذلك قول المقدسي: "وهم يقولون: لا نعرف غير كتاب الله وموطأ مالك، فإن ظهروا على شافعي أو حنفي نفوه، وإن عثروا على معتزلي أو شيعي ونحوهما ربما قتلوه"[5]، فحرص أصحاب المذاهب الأخرى على تدريس مذاهبهم في الخفاء، وفشلوا في الترويج لمذاهبهم مما جعل انتشارها محدوداً مقارنة مع مذهب الإمام مالك[6].

---

(1) ابن الفرضي، ج1، ص297.

(2) دويدار، ص145.

(3) أصبغ بن خليل: يكنى أبا القاسم، سمع بالأندلس من الغازي بن قيس ويحيى بن يحيى، ورحل فسمع من أصبغ وسحنون، وكان من أهل العلم والفقه، متعصباً لمذهب مالك، إلا أن البعض ضعَّفه في علم الحديث، انظر: ابن الفرضي، ج1، ص129؛ ابن عياض، **ترتيب**، ج4، ص(250-251).

(4) ابن الفرضي، ج1، ص130.

(5) المقدسي، ص236.

(6) دويدار، ص147.

الفصل الثالث

علوم اللغة العربية وآدابها وفنونها في الأندلس

علم النحو

الأدب

الشعر

فنون الموشحات والغناء والموسيقى

الفصل الثالث

علوم اللغة العربية وآدابها وفنونها في الأندلس

عُدّتَ علوم اللغة العربية وفنونها من العلوم النقلية، واحتلت المرتبة الثانية بعد العلوم الدينية، من حيث اشتغال الأندلسيين فيها منذ بداية الحركة العلمية، ومما يوضح ذلك أن الكثير من علماء الأندلس الذين برعوا في كافة حقول العلم كانوا على علم كبير بعلوم اللغة والنحو والبلاغة[1].

وقدم ابن خلدون **علم النحو** على سائر علوم اللسان العربي، بما فيها علم اللغة والأدب، وذلك لأهميته في الحفاظ على تكوين الجملة العربية وبنائها، والتي أصيبت بالخلل بعد انتشار الفتح الإسلامي ودخول الاعاجم في الإسلام، فخشي أهل اللغة من أن يؤثر ذلك سلباً في القرآن والحديث، فوضعوا قوانين وقواعد قياسية لضبط حركات الكلمات، حتى تتبين أصول المقاصد بالدلالة، فنشأ الإعراب وعلم النحو[2].

وفي بداية اشتغال الأندلسيين بالنحو كانوا يعتمدون على قراءة كتب الأدب والنصوص الأدبية مراعاة الناحية النحوية، ثم حرصوا على استقامة الفاظهم وصحة كلامهم وُخلوِّه من اللحن، فاهتموا بهذا العلم وتوسعوا في دراسته وحفظ قواعده، وكثر المشتغلون به من الأندلسيين والمشرقيين الذين هاجروا إلى الأندلس، فكتبوا كتباً قيمة من المعاجم والشروح اللغوية، وكتب الصرف والنحو[3].

وأول ما ذاع بينهم من كتب النحو، كتاب الكسائي[4]، ولكنه على الرغم من سبقه لم ينل من الرعاية والاهتمام مثل ما نال كتاب سيبويه(ت. 177هـ/793م)[5]، من حيث الدرس

---

(1) البشري، سعد، **الحياة العلمية في عصر الخلافة في الاندلس(316-422هـ/928-1030م)**، ص46.

(2) ابن خلدون، **تاريخ**، ج1، ص(753-754).

(3) عصيدة، ص7.

(4) عيسى، محمد، ص314.

(5) سيبويه: أبو بشر، عمرو بن عثمان، أصله من بلاد فارس، وكان أعلم الناس بالنحو، أخذه عن الخليل بن أحمد، ومن أهم آثاره كتابه الشهير في النحو، انظر: ابن خلكان، ج3، ص463.

والحفظ والشرح والتعليق عليه، أو كتاب الجمل للزجاجي(ت. 337هـ/949م)[1] الـذي بلغـت شهرته الآفاق[2].

وكان جودى بن عثمان أول نحاة الأندلس الذين رحلوا إلـى المشـرق، ودرس النحـو العربي على يد ثلة من علماء المدرسة الكوفية كالكسائي، والفراء شيخي المدرسة الكوفية، حيث إن اهتمام الأندلسيين بالنحو الكوفي أو المدرسة الكوفية كان أسـرع مـن اهتمـامهم بـالنحو البصري[3]، ويذكر الزبيدي أن لجودى بن عثمان تآليف في النحو، وبقي يـدرس هـذا العلـم لطلابه، واشتهر من تلاميذ جودى، أبو حرش عبد الله بن رافع، وكان عالمـاً باللغـة العربيـة وضرب به المثل في فصاحته[4].

وجاء من بعده عبد الملك بن حبيب السلمي الذي كان من كبار علماء النحو واللغة فـي الأندلس، قال عنه ابن الفرضي: "إنه كان فقيهاً مفتياً، نحوياً لغوياً نسابة إخبارياً عروضياً فائقـاً شاعراً محسناً مترسلاً حازماً" [5]، وكان له عدة مؤلفات لغوية، وقد صنف كتاباً فـي إعـراب القران وآخر في شرح الحديث، وظهر في القرن نفسه مفرج بن مالك النحوي[6]، وقـد وضـع شرحاً على كتاب الكسائي[7]، كما عني أبو بكر بن حاطب النحوي المكفوف بوضع كتاب فـي النحو كانت له شهرة في موطنه، وكان ذا علم باللغة والعروض[8]، وكذلك أبو عبد الله محمد بن بن إسماعيل(ت. 331هـ/943م)[9]، حيث برع في اللغة والنحو، وقيل عنه: إنه كان على علم

---

(1) الزجاجي: أبو القاسم، عبد الرحمن بن إسحاق، أخذ النحو عن محمد بن العباس، وكان إماماً في علم النحو، وصنف فيه كتاب الجمل الكبرى، وسكن في دمشق وانتفع الناس بعلمه، انظر: ابن خلكان، ج3، ص136.

(2) عصيدة، ص16.

(3) القفطي، **إنباه**، ج1، ص306.

(4) الزبيدي، ص(256–257)؛ السيوطي، **بغية**، ج1، ص490.

(5) ابن الفرضي، ج1، ص362.

(6) مفرج بن مالك النحوي: كان ذا فضل وصلاح ونية في تأديب المتعلمين، وأخذ عنه الكثير من أهل عصره، انظر: الزبيدي، ص273.

(7) الزبيدي، ص273.

(8) نفسه.

(9) محمد بن إسماعيل: من علماء الحساب والمنطق، كما نبغ في الأدب، وتتلمذ على يديه عدد من الشعراء والكتاب، انظر: الزبيدي، ص(276–277).

كبير باللغة والحساب، ولم يكن لأحد ممن عاصروه مثل علمه، وتتلمذ على يديه عدد ممن أصبحوا مؤدبين وكتاب[1].

بالإضافة إلى عباس بن ناصح الذي نال من رحلاته إلى المشرق علماً كثيراً ومعارف جمة في اللغة وعلومها، فقد كان من أهل التقدم في ذلك، وسبقت الإشارة إلى رحلاته إلى المشرق، مما أحدث ذلك عمقاً في معرفة اللغة العربية وعلومها، وأنه لقي الكثير من علماء البصرة والكوفة فتزود منهم بالكثير من المعارف، وممن برع في اللغة والنحو أيضاً محمد يحيى القلفاط(ت. 302هـ/914م)، وكان إلى جانب مهارته في ذلك بارعاً في الشعر أيضاً، ولم يكن أحد يماثله في سعة علمه باللغة، ولهذا فقد عد القلفاط من أبرز النحويين، وكان لسعة علمه أثر في انجذاب الناس إليه يقتبسون من علمه ويكتسبون من معارفه في ذلك قبل السلمي[2].

ويبدو أن الأندلس تأخرت في عنايتها بالنحو البصري، وأنها صبَّت عنايتها أولاً على النحو الكوفي مقتديه بنحويِّها الأول جودى بن عثمان، ولعل الاهتمام بالنحو الكوفي وتقديمه على النحو البصري جاء بسبب أن النحو الكوفي كان في بدايته منتشراً في البلاد عندما جاء الأندلسيون لطلب النحو العربي، وكان النحو بسيطاً بعيداً عن التعقيد فأخذوا به، أضف إلى ذلك أن علماء المدرسة الكوفية كانوا أهل شعر ورواية عن فصحاء العرب، لذلك ابتعدوا إلى حد كبير عن القوانين المنطقية أو الأقيسة العقلية، في حين أن المدرسة البصرية لم تكن على نفس درجة الكوفيين في الفصاحة[3].

وفي أواخر القرن الثالث الهجري بدأت مرحلة جديدة ظهر فيها كتاب سيبويه في مجالس الدرس النحوي في الأندلس، وكان محمد بن موسى بن هاشم(ت. 307هـ/919م)[4] المشهور

---

[1] القفطي، **إنباه**، ج3، ص65؛ السيوطي، **بغية**، ج1، ص55.

[2] البشري، ص(49-50).

[3] عصيدة، ص13.

[4] محمد بن موسى بن هاشم: مولى للمنذر بن محمد، وكان على علم كبير في الأدب، وله فيه كتب مؤلفة، منها كتاب طبقات الكتاب، انظر: الزبيدي، ص(281-282).

بـــ(الافشنيق) قد رحل الى المشرق فلقي أبا جعفر الدينوري(ت. 289هــــ/902م)[1] وانتســـخ كتاب سيبويه من نسخته وأخذ منه رواية[2].

وقد ظهرت بعد الافشنيق مجموعة من النحاة وجهوا اهتمـــامهم الـــى كتـــاب ســـيبويه فدرسوه، واهتموا بالنظر فيه، ومن أشهرهم: ابن محمد بن عبد الرؤوف[3] الـــذي درس كتـــاب سيبويه ومسائله[4]، وأحمد بن يوسف بن حجاج(ت. 336هــ/ 947م)[5] وكان يضع دائما كتاب سيبويه بين يديه ويطالعه في جميع أوقاته[6].

وكان لدخول كتاب سيبويه إلى الأندلس شهرة كبيرة، حيث وجه كثير من علماء الأندلس جهودهم نحوه من خلال شرحه ودراسته[7]، ونتيجة لهذا الاهتمام الذي حظي به كتاب ســـيبويه، تراجع النحو الكوفي وبخاصة كتاب الكسائي، الذي انصرف عنه كثير من علماء النحـــو فـــي الأندلس، لأنهم وجدوا في كتاب سيبويه ضالتهم النحوية، لذلك لا عجب أن يبقى هـــذا الكتـــاب المصدر الأول عندهم، لا ينافسه في ذلك سوى كتاب الجمل للزجاجي[8].

ومن علوم اللغة العربية التي اهتم بها الأندلسيون؛ **الأدب،** فهو حفـــظ أشـــعار العـــرب وأخبارها، والأخذ من كل علم بطرف، سواء أكان ذلك مـــن علـــوم اللســـان أو مـــن العلـــوم الشرعية[9]، فقد برز أدباء اسهموا في نشاط الدراسات الادبية، ويأتي في مقدمة هؤلاء الأدبـــاء، فرح بن سلام القرطبي الذي كان مهتماً بالأخبار والأشعار وألوان الأدب المختلفة، وكان له أثر

---

(1) أبو جعفر الدينوري: أصله من الدينور، وكان قد أخذ علمه عن المازني(ت. 247هــ/861م)، وحمل منه كتاب سيبويه (ت. 180هــ/796م)، ثم رحل إلى بغداد وقرأ على أبي العباس المبرد(ت. 285هــ/898م) كتاب سيبويه، ثم نزل مصر، وكان له كتاب في مختصر ضمائر القرآن استخرجه من كتاب المعاني للفراء، انظر: الزبيدي، ص215.

(2) الزبيدي، ص(281-282)؛ القفطي، **إنباه،** ج3، ص216.

(3) ابن عبد الرؤوف: أبو وهب، عبد الوهاب بن محمد، كان بصيراً بالعربية، فبرع في علومها، وكان كثير قرض الشعر، وقد تولى الوزارة، انظر: الزبيدي، ص(296-298).

(4) الزبيدي، ص(296-298).

(5) أحمد بن يوسف بن حجاج: كان أعلم الناس بالنحو، وبالعروض، كثير الشعر، وكان له حظ من علم الموسيقى، انظر: الزبيدي، ص299.

(6) الزبيدي، ص299.

(7) عصيدة، ص15.

(8) نفسه.

(9) ابن خلدون، **تاريخ،** ج1، ص763.

في تعريف الأندلسيين إلى كتب الأدب المشرقية، حيث أدخل كتب الجاحظ(ت. 255هـ/868م)[1] مثل البيان والتبيين وغيره إلى الأندلس[2]، وكان فرح قد درس على يد العلامة المشرقي المذكور، واخذ عنه العلم، وهو بذلك قد فتح لإخوانه من الأندلسيين باب البحث والدراسة في الأدب وفنونه المختلفة، ولا شك أن مثل هذه الكتب كان لها تأثير في النشاط الأدبي لدى الأندلسيين[3].

وكانت الدراسات اللغوية في الأندلس قد بدأت منذ العهود المبكرة، وقام علماؤها بالرحلة إلى المشرق لدراسة وإحضار الكتب الرئيسية من هناك، ومنهم عبد الرحمن بن موسى الهواري الذي كان حافظاً للفقه والتفسير والقراءات، وأسهم في نشر كثير من العلوم في الأندلس[4]، وكذلك محمد بن عبد الله بن الغازي، فقد ادخل إلى الأندلس علماً كثيراً من الشعر واللغة، وأخذ عنه أهل الأندلس الأشعار المشروحة[5].

كما أسهم الأديب عثمان الكناني (ت. 320هـ/932م) المعروف بحرقوص، في حركة الدراسات الأدبية بما قدَّمه من جهود علمية كتصنيفه كتاباً في شعراء الأندلس، إلى جانب تفننه في الأدب والبراعة فيه وحرصه على جمع الكتب في هذا الميدان[6].

ومن علماء الأدب أيضاً؛ ثابت السرقسطي وابنه قاسم اللذين أدخلا إلى الأندلس كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي(ت. 170هـ/786م)[7]، الذي حصر فيه حروف المعجم كلها من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي، وهو غاية ما ينتهي إليه التركيب في اللسان

---

(1) الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي، المعروف بالجاحظ البصري، له العديد من التصنيفات المفيدة في كل فن، وإليه تنسب الفرقة الجاحظية من المعتزلة، انظر: ابن خلكان، ج3، ص(470-471).

(2) ابن الفرضي، ج1، ص451.

(3) البشري، ص51.

(4) ابن الفرضي، ج1، ص345.

(5) نفسه، ج2، ص33.

(6) الزبيدي، ص288.

(7) الخليل بن أحمد الفراهيدي: كان إماماً في علم النحو، وهو الذي استنبط علم العروض وأخرجه إلى الوجود، وحصر أقسامه في خمس دوائر يستخرج منها خمسة عشر بحراً، ثم زاد الأخفش فيه بحراً أخر، وله العديد من المؤلفات المشهورة، انظر: ابن خلكان، ج2، ص(244،246).

العربي[1]، وكذلك دخول الكثير من كتب اللغة ودواوين شعر الجاهلية على يد محمد عبد السلام بن ثعلبة الخشني، فقد دخل البصرة ولقي أبا حاتم السجستاني، فأخذ عنه رواية عن الأصمعي(ت. 216هـ/831م)[2] وغيره، ودخل بغداد وسمع من أئمتها ثمعاد إلى قرطبة[3]. وممن عاش طرفاً من عمره في عصر الإمارة الأديب المشهور أحمد بن عبد ربه، والذي اشتهر بكتابه القيِّم العقد الفريد[4].

وأما **الشعر** فيعد من أهم فنون اللغة العربية، ومن المعروف أن العرب أمَّة الشعر منذ زمن الجاهلية، فإذا كان العرب عبر عصورهم الأولى في صدر الإسلام والعصر الأموي والعباسي قد تفننوا بالشعر وأعطوه الأهمية القصوى، فإن الأندلسيين لم ينسلخوا من عرقهم أو ماضيهم وعن تركيبتهم لقرض الشعر وقوله.

ومن العوامل التي أسهمت في ازدهار الشعر الأندلسي، الطبيعة الأندلسية الساحرة التي عملت على اثارة قدراتهم الفكرية، فاستغلوا أحاسيسهم العميقة وخيالهم الواسعة في وصف جمال الطبيعة والتغني بمفاتنها[5].

وفي تلك الفترة تمسك شعراء الأندلس بالموضوعات التقليدية، وذلك بسبب انتقال الأسلوب الشعري المشرقي إلى الأندلس، وهذا الطابع التقليدي في الشعر كان موجوداً في مرحلة الفتح للأندلس، وذلك بسبب انتقالهم للعيش في الأندلس والتأقلم ببيئة جديدة غريبة عليهم، وشعورهم بالغربة والحنين إلى بلادهم الأصلية[6].

ومع مرور الزمن، ونتيجة للمتغيرات التي رافقت مسيرة التاريخ الاجتماعي في بلاد الأندلس، فقد بدأت تظهر ملامح الشخصية الأندلسية المستقلة، تلك الشخصية التي حافظت على

---

(1) القفطي، إنباه، ج1، ص297.

(2) الأصمعي: أبو سعيد، عبد الملك بن قريب الباهلي، كان صاحب لغة ونحو وإماماً في الأخبار والنوادر والغرائب، سمع عن شعبة بن الحجاج (ت. 160هـ/777م) وروى عنه كثيرون، وله العديد من المصنفات المهمة، كما كان شديد الانتباه في تفسير الكتاب والسنة، انظر: ابن خلكان، ج3، ص(170-172).

(3) ابن الفرضي، ج2، ص(23-24)؛ انظر أيضاً: الرافعي، ج2، ص238.

(4) الحميدي، ص151؛ انظر أيضاً: كاكيا، بيير، **الأدب الأندلسي**؛ انظر: الجيوسي، سلمى، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، ج1، ص465.

(5) القاسمي، ص130.

(6) الدقاق، عمر، **ملامح الشعر الأندلسي**، ص43.

مقومات الأصالة، واستجابت في الوقت نفسه إلى دواعي التجديد، مما أدى إلى ظهور فنون أدبية اتسمت بالطرافة والابتكار، كفن الموشحات، ومع ذلك ظل تيار التقليد وتيار التجديد، يتعايشان معاً لأنهما كانا يلبيان حاجات أغلبية العرب في الأندلس[1].

ونستدل مما ذكرته المصادر على أن الشعر في الأندلس كان يجري على كل لسان، ولعل من ينظر إلى ترجمات الشعراء وأسمائهم يتبين له أن كل الأندلسيين كانوا شعراء، فما من كاتب أو عالم أو لغوي إلا وقد كان له إسهام في الشعر، وعلى الرغم من أن كتب التراجم للشعراء قد ذكرت أسماء كثير من شعراء الأندلس في هذه الفترة؛ إلا أن ما وصلنا من أشعارهم قليل إلى درجة تلفت الأنظار، ومع ذلك فإن هذا الشعر، قد أعطى صورة واضحة عن حياة الأندلسيين وما تميزوا به من خصال عن غيرهم[2].

إلا أن بعض المؤرخين لم يعتنوا بالشاعر إلا بمقدار سلطته ومركزه، فمن كان أميراً أو وزيراً كثرت أخبار شعره، في حين قلَّت أو انعدمت أخبار الآخرين لكونهم لم يكونوا يتمتعون بسلطة أو جاه، وإنما من عامة الناس، وهذا ما يؤخذ على بعض المؤرخين لأن مقياسهم هذا قد أهمل شعراء ربما كانوا أحق من غيرهم بالذكر، وأغلب الظن أن شعراء هذه الفترة كانوا من الكثرة بمكان، بحيث أمكن لأديب من أدباء القرن الثالث الهجري، وهو عثمان بن ربيعة(ت. 310هـ/922م) أن يقسِّمهم إلى طبقات متميزة في كتابه "طبقات شعراء الأندلس" وكذلك كتاب "طبقات الشعراء بالأندلس" لأبي سعيد عثمان بن سعيد الكناني[3].

ومن هؤلاء الشعراء؛ الأمير عبد الرحمن الداخل الذي أشادت به المصادر وذكرت: "إنه كان من أهل العلم وعلى سيرة جميلة من العدل وله أدب وشعر"[4]، ولذلك ليس بمستغرب ذلك الاهتمام الذي أبداه الداخل بمجالس الشعر الكثيرة التي كان يعقدها الشعراء بحضوره، ولم يبخل عليهم في تقديم الجوائز والمرتبات، وقد تبعه بهذا الاهتمام من جاء بعده من أمراء بني أمية، وذلك تشجيعاً منهم للأدب والأدباء[5].

---

(1) الدقاق، عمر، **ملامح الشعر الأندلسي**، ص45.

(2) محمود، نافع، **اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري**، ص39.

(3) ابن الفرضي، ج1، ص394؛ الحميدي، ص445.

(4) الحميدي، ص29؛ الضبي، ج1، ص32؛ عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ص11.

(5) الساير، محمد؛ الجراخ، عباس؛ جاسم، علي: ***عبد الرحمن الداخل أديباً(المناحي الأدبية في شخصيته)***، **مجلة سرى من رأى، جامعة سامراء**، مج7، ع37، ص61.

ولم يصل إلينا من شعر الأمير الداخل إلا أبيات قليلة، وكانت على شكل مقطوعات قصيرة ومتفرقة، ولم يتعد شعره الذي تداولته المصادر عن سبع مقطوعات بلغ عدد أبياتها حوالي أربعين بيتاً[1]، في أغراضٍ مختلفة، وظهر ذلك من خلال القصيدة التي نظمها في الفخر الفخر رداً على طلب رفاقه منه اصطياد الغرانيق[2] خلال إحدى غزاوته[3].

وإما في المديح فلم يؤثر عنه سوى بيتين(البحر الطويل):

فلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا ولَـا فِـي نَعِيمهَـا … إذا غاب عنها حَيْـوةُ بـنُ مُلامِـسِ

أخو السيف قارى الضيف حقّاً يراِهمَا … عليه ونَافِي الضيمِ عن كـلِّ بـائسِ[4]

قالهما في حيوة بن ملامس الحضرمي، وكان من أعز أصحابه وأقربهم إليه، إلا أنه ثار عليه وتغلب على إشبيلية وإستجة، ولكن الداخل استطاع القضاء عليه سنة156هـ/772 م[5].

وأما شعر الحنين فكان له طابع خاص مميز في الشعر العربي، وقد انتشر ونجح في الأندلس لأنه يمس شغاف قلب المغترب عن وطنه وأرضه، ويبث فيه لوعةً تذكِّره بأيامه وصباه وما هو فيه الآن من تغير الظروف وتوالي المحن والأحداث المتتابعة عليه، وكان شعره المليء بالحنين يذكِّره بموضع مسقط رأسه[6].

وهكذا كان الداخل يحن إلى موطنه في الشام، فيكتب مقطوعات شعرية جزلة الأسلوب، تظهر قلباً صادقاً وإحساساً عميقاً متدفقاً، ومن ذلك ما بعث به إلى أخته أم الأصبغ في الشام يصف فيه شوقه وحنينه إلى وطنه بعد فراره من العباسيين، فأصبح جسمه في مكان وقلبه في مكان آخر[7](البحر الخفيف):

---

(1) السابر، ص56.

(2) الغرانيق: الواحد منها: غرنوق وهو طائر مائي أبيض، طويل العنق والساقين، انظر: ابن منظور، مادة غرنق، ج10، ص287.

(3) للاطلاع على نص القصيدة؛ انظر: ابن الأبار، **الحلة**، ج1، ص(49-50)؛ مجهول، **أخبار**، ص107.

(4) ابن الأبار، **الحلة**، ج1، ص37.

(5) ابن الأثير، ج5، ص209؛ مجهول، **أخبار**، ص98.

(6) السابر، ص59.

(7) الحميدي، ص29؛ الضبي، ج1، ص32؛ ابن الأبار، **الحلة**، ج1، ص36.

أَيُّهـــا الرَّاكِـــبُ المُـــيَمِّمُ أرْضِـــي أقْرِ مـــنْ بعضِـــي السَّـــلامَ لبَعْضِـــي
إنَّ جسْـــمِي كمَـــا علِمْـــتَ بِـــأَرْضٍ وَفُـــؤادِي وَمالِكِيـــهِ بِـــأرْضِ[1]

ومن شعر الداخل أيضاً أبيات كان يرددها وهو جالس تحت ظل نخلـة، زرعـت فـي حدائقه بمنية الرصافة وقد أحضرت له من البادية في الشام، ومنها توالدت كل نخلة في الأندلس، فما أن نظر إليها الأمير حتى تحركت عواطفه وشجونه إلى المشرق، ومما قـال فيهـا(البحـر الطويل):

تَبَـدَّتْ لَنَـا وَسْـطَ الرُّصَـافَةِ نخلـةٌ تناءتْ بأرضِ الغربِ عن بلـدِ النخـلِ
فقلتُ شَبيهتي فـي التغـرُّبِ والنَّـوَى وطُولِ التنائي عن بَنِيَّ وعـن أهلِـي
نشَـأتِ بِـأرضٍ أنـتِ فيهـا غَريبـةٌ فمثْلُكِ في الإقصاءِ والمُنتَـأ مثلِـي[2]

وكثيراً ما كان الأمير يقتبس معاني هذا الشاعر أو ذاك، وذلك لتشابه موقف الأمير من الموقف الذي عاشه ذاك الشاعر، كما كان يتمثل قول المجيدين من الشعراء، فمن ذلـك تمثلـه بقول أحد الشعراء لدى غزوته لمدينة سرقسطة للقضاء على حركة سليمان بن يقظان الأعرابي الثائر، وكما استخدم الأمير بيتين من شعر امرئ القيس لمعرفة أي من ابنيه هشام أو سـليمان أحق بالحكم من بعده، فرأى أن هشاماً هو أولى بذلك، وتم له الأمر[3].

ومن الأمراء الشعراء في الأندلس الأمير الحكم الربضي الذي كان أديباً مجيداً، شـاعراً وناثراً، وقد سجل شعره في ما كان يعرض له من أحداث، وشعره يتردد بين الغزل والحماسة، اذ يظهر بصورة الفارس في شجاعته، و الليِّن الرقيق في غزله، شأنه فـي ذلـك شـأن كـل الفرسان[4].

ويبدو من خلال شعره الغزلي مدى تذلُّـله للمحبـوب، هـو تـذلل اسـتهوى نفـوس الأندلسيين، ولذلك رددوه كثيراً في أشعارهم، وغالباً ما تأتي النهاية بظفـر الفـارس العاشـق بأعجاب حبيبته كما يصور لنا الحكم ذلك في قوله (البحر الخفيف):

---

(1) الحميدي، ص29؛ ابن عذارى، ج2، ص60؛ المقري، ج3، ص38؛ انظر أيضاً: سالم، السيد، **تاريخ**، ص(208-209)؛ عبد العزيز، عيسى، **الأدب العربي في الأندلس**، ص108.
(2) ابن الأثير، ج5، ص(280-281)؛ ابن الأبار، **الحلة**، ج1، ص37؛ ابن عذارى، ج2، ص60؛ انظر أيضاً: العناني، ص54.
(3) مجهول، **أخبار**، ص(102-103)؛ المقري، ج3، ص39.
(4) ابن عذارى، ج2، ص79؛ انظر أيضاً: الصوفي، ص165.

نِلْـــتُ كُـــلّ الوِصَـــالِ بعـــد البِعَـــادِ فكـــأنيّ مَلَكْـــتُ كُـــلّ العِبَـــادِ
وَتنـــاهىَ السُّـــرورُ إذْ نِلْـــتُ مَـــا لَـــمْ يُغْـــنِ فيـــه تَكَـــاتُفُ الأجْنَـــادِ[1]

ويبدو أن انجذاب الربضي للفن واهتمامه بالفنانين من الشعراء والمغنين قد اثار حفيظة الفقهاء عليه، فاجتمعوا في ربض قرطبة فثأروا به، إلا أنه استطاع بذكائه وحيلتـــه أن يســـحق ثورة أهل الربض، وصور الحكم هذه الثورة ووضَّح ما قام به تجاه الثائرين في أبيات يبدو فيها متفاخراً، متغنياً بقوته وشجاعته على طريقة افتخار المشارقة[2]، ومن قوله فـــي ذلـــك (البحـــر الطويل):

رأيتُ صُدُوع الأرْضِ بالســيْفِ راقِعــاً وقِدْماً لأمتُ الشّعْثَ مُذْ كُنْــتُ يافِعًــا
فَسَائلْ ثُغورِي هَــلْ بهــا الآنَ ثُغْــرةٌ أبادرها مستنْضِي الســيف دارِعًــا[3]

كما صوَّر بعض الأحداث العسكرية التي كانت أحاطت به، وأثرت في وجدانه، فاستلهم منها المشاعر والخواطر ووجد فيها العبارات الملائمة لنظمه، لذلك مدح سلطانه وتغنى بقوته[4].

بقوته[4].

وأما الأمير عبد الرحمن الأوسط فكان شاعراً عظيماً مجيداً للنظم، حشد حوله كثيراً من الشعراء الذين كان يشجعهم ويجزل لهم العطاء، وقد نظم الكثير من الشعر مثـــل قولـــه(البحـــر الكامل):

ولقـــدْ تعـــارضُ أوجـــهُ الأوامـــر فيقودُهـــا التوفيـــقُ نحـــو صّـــوابها
والشـــيخُ إن يحـــوِ النُهـــى بتجـــارِب فشبابُ رأي القـــوم عنـــد شّـــبابها[5]

ومثل قوله وقد خرج غازياً إلى جليقية(البحر المتقارب):

فكـــمْ قـــد تخطّيْـــتُ مـــن سَبْسَـــبٍ ولاقَيْـــتُ بعـــدّ دُروبٍ درُوُبـــا

---

[1] ابن عذارى، ج2، ص79.
[2] أبو زيدون، وديع، **تاريخ الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة في قرطبة**، ص208.
[3] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج5، ص233؛ ابن الأبار، **الحلة**، ج1، ص47؛ مجهول، **أخبار**، ص120؛ انظر أيضاً: الدقاق، ص55.
[4] للاطلاع على نص القصيدة؛ انظر: ابن الأبار، **الحلة**، ج1، ص49.
[5] المقري، ج1، ص348.

ألاقـــي بـــوَجْهي سُـــمومُ الهَجيـــرِ	إذ كـــاد منْـــهُ الحصّـــى أن يـــذُوبا
تَـــداركَ بـــي الله ديـــنّ الهُـــدى	فأحْيِيَتُـــــهُ وأمَـــــتُّ الصـــــليبا[1]

وكان للأمير عبد الله بن محمد اهتمامٌ كبيرٌ في الشعر والأدب، فله شعر بديع في الغزل (البحر المنسرح).

وَيْحَـــي عَلَـــى شـــادِنٍ كَحِيـــلِ	فـــي مِثْلِـــه يُخْلَـــعُ العِـــذَارُ
كأنَّـــمـــــا وَجْـــنتَـــــاهُ وَرْدٌ	خالَطَـــــهُ النّـــــوْرُ والبَهَـــــارُ[2]

وله في الزهد(البحر الكامل):

يَـــا مَـــنْ يُراوِغُـــه الأجَـــلْ	حتّـــى مَ يُلْهِيـــكَ الأمَـــلْ
حَتَّـــى مَ لا تَخْشَـــى الـــرَّدَى	وكَأنَّـــه بِـــكَ قَـــد نَـــزَلْ
أغْفَلْـــتَ عَـــن طَلَـــبِ النَّجَـــاةِ	ولا نَجَـــاةَ لِمَـــنْ غَفَـــلْ[3]

ومن شعراء عصر الإمارة عاصم بن زيد الملقب بأبي المخشي، وهو عاصم بن زيد العبادي، يتصل نسبه بنصارى الحيرة، ونزل من جند الشام الذين وفدوا على الأندلس في فترة عهد الولاة، ونزل مع جند دمشق بمنطقة إليبرة، فنشأ أبو المخشي ببلدة شوش، واتجه إلى كتابة الشعر حتى برع فيه وأصبح من ألمع شعراء عصره[4].

ويبدو أن أبا المخشي كان مكثراً من الهجاء في شعره، شديد السخط على الناس، فكثر أعداؤه، وزادت الخصومة بينه وبين الشعراء، وقيل إنهم كانوا يطعنون في نسبه بالنصرانية، وكثيراً ما كان يرد عليهم بألفاظ نابية وأسلوب مستهجن[5].

وقد امتد عمره حتى أدرك الدولة الأموية، فتوجه إلى أمرائها يجّرب حظه معهم، فمدح بعضهم، ثم مدح سليمان أكبر أبناء عبد الرحمن الداخل، وبالغ في مدحه مما أثار حفيظة هشام ثاني أولاد الداخل، وكان مما قاله وأغاظ عليه هشاماً قوله (البحر الوافر):

---

(1) المقري، ج1، ص349.

(2) ابن الأبار، **الحلة**، ج1، ص121؛ مجهول، **أخبار**، ص135.

(3) ابن الأبار، **الحلة**، ج1، ص122.

(4) هيكل، ص98.

(5) الدقاق، ص51.

ولـيسَ كمثـل مـن أن سـيم عُرْفـاً يقلِّـب مُقْلـةً فيهـا اعْـوِرَارُ[1]

ويبدو أن هشاماً كان أحول فظن أنه يقصده في هذا البيت، فسمل عينيه، وقطع لسانه، فقال في العمى شعراً حزيناً، وقصد به الداخل فأنشده أياه، فأعطاه الأمير ألف دينار، وضاعف له ديَّة العينين، وقيل: إن الداخل عنف ابنه هشاماً على فعلته، ثم أن هشاماً نفسه عطف على أبي المخشي بعد أن استشعر بفعلته القاسية تجاهه، فدفع له ديَّةً أخرى مضاعفة[2]، وعمرَّ أبو المخشي بعد محنته حتى لحق دولة عبد الرحمن الأوسط، وتوفي قريباً من هذا العهد، كما ذكر أنه مات في عهد الحكم الربضي[3].

وعلى الرغم مما عرف عنه من كثرة أشعاره، فإنه لم يصلنا منها إلا القليل، الذي منه تلك الأبيات التي يتحدث فيها عن محنة العمى، والتي جعلها مقدمة لقصيدة له في مدح عبد الرحمن الداخل، ومن القليل الذي بقى من شعره أيضاً، تلك الأبيات التي يمجد فيها انتصاراته في بعض المعارك، ويمدحه[4].

ومن أروع شعره الذي وصلنا هذان البيتان اللذان يصوران الهمَّ تصويراً دقيقاً(البحر الوافر):

وهـمٌّ ضـافني فـي جَـوْفِ يَـمٍّ كِـلاَ مَوْجَيْهِمـا عنـدي كبيـرُ
فبتنـا والقلـوبُ مُعَلّقـاتٌ وأجنحـةُ الرِّيـاحِ بنـا تَطيـرُ[5]

من شعر أبي المخشي أيضاً، هذان البيتان اللذان قالهما في آخر حياته، وفيهما يصور عجزه بعد مأساته وشيخوخته، وكيف أصبحت حياته عالة على زوجته الحزينة على ما حل بزوجها(البحر الطويل):

وأمَّ بنيَّـاتي الضـعيفُ حويلُهـا تعُول أمـرءاً مثلـي وكـان يعولهُـا
إذا ذكـرتْ مـا حـال بيْنـي وبيْنهـا بكتْ تَستقيل الدهْرَ مـا لا يقيلُهـا[6]

---

[1] ابن سعيد المغربي، ج2، ص124.

[2] فواز، لؤي، **البدايات الأولى لنشوء الشعر الأندلسي**، كلية التربية الرياضية، جامعة ديالى، مج58، ص62.

[3] محمود، ص49.

[4] هيكل، ص99.

[5] ابن سعيد المغربي، ج2، ص124.

[6] ابن القوطية، ص57.

ونستطيع القول: إن أبا المخشي كان يمثل الشعر الأندلسي في بعض مواضيعه وأغراضه فترة تأسيس الإمارة أصدق تمثيل، فهو يمثل الاتجاه المحافظ ذا الملامح البدوية، ويمثله في ظهور السمات الأندلسية الخاصة من تجديد في بعض الموضوعات، ومن تغلب عنصر العاطفة[1].

كما اشتهر في هذه الفترة أبو العلاء عباس بن ناصح الجزيري من أهل الجزيرة الخضراء، وهو ثقفي بالولاء، إذ كان أبوه عبداً لمزاحمة بنت مزاحم الثقفي الجزيري، وقد رحل مع أبيه إلى مصر، وتردد على الحجاز والعراق، ولقي أئمة العلم في تلك البلاد، فكان على حظ كبير من العلم بالفقه والرواية للشعر، ولما عاد إلى الأندلس ولاه الحكم قضاء الجزيرة الخضراء مع شذونة[2].

وكان عباس بن ناصح يتردد على قرطبة فيأخذ عنه أدباؤها، وتدور بينه وبينهم أحياناً محاورات أدبية طريفة[3]، وقد اشتهر ابن ناصح بالشعر شهرة غلبت على شهرته كعالم ومؤدب، ومؤدب، وخلَّف ديوان شعر كان موضع عناية الأندلسيين ودراستهم، ولكن هذا الديوان قد ضاع ولم يبق من شعره إلا القليل، وكان شعره يأخذ عدة جوانب منها، المدح والحماسة والفخر، كما كان –أحياناً– يتناول الزهد، فمن أمثلة مدحه قوله في الحكم الربضي، وكان قد أغاث الناس في عام مجاعة(البحر الكامل):

نكِد الزّمان فآمنّتْ أيّامُه ... مِنْ أن يكون بِعَصْرِهِ عُسْرُ
ظلع الزّمانُ بأزمة فجّلا لَهُ ... تلك الكريهةّ جودُهُ الغَمْرُ[4]

ومن أمثلة شعره في الزهد قوله:

ما خيرُ مدّة عيش المرءِ لو جُعِلَتْ ... كمدّة الدهر والأيام تفنيها
فارغبْ بنفسك أن ترضى بغير رضىّ ... وابتغْ نجاتك بالدنيا وما فيها[5]

---

[1] الدقاق، ص(52–53).

[2] ابن عياض، **ترتيب**، ج4، ص268.

[3] هيكل، ص105.

[4] المقري، ج1، ص341.

[5] الصفدي، ج16، ص369؛ السيوطي، **بغية**، ج2، ص28.

ومن أمثلة شعره الحماسي، قوله طالباً من الأمير الحكم الربضي إغاثـة منطقـة وادي الحجارة، وكان الشاعر قد نزل بها فسمع امرأة تشكو إهمال الحكم وقسوة الأعداء[1].

كذلك يَدلُّ القليل الباقي من شعر ابن ناصح، بالإضافة إلى ما روى عنه من أخبار على أن شعره كان ذا سمات بدوية واضحة، ويتمثل ذلك في سذاجة بعض الأفكار، وعـدم وضـوح بعض الصور الشعرية، وضعف بعض الألفاظ، ومما يرجح هذا التصور من بداوة شـعر ابـن ناصح الواضحة[2]، قصيدة له، فقد قيل: إنه وفد مرة على قرطبة وأسمع الشعراء قصـيدة لـه مطلعها(البحر الطويل):

لعمرك مَا الْبلـوى بِعـارٍ ولَـا العَـدَمْ إذا المَرْءُ لم يَعْدمْ تُقَى الله والكَـرَمُ[3]

ولعل المتأمل في شعر ابن ناصح يلحظ تغلب صفه الجد والاتزان، ولكنه فـي الحقيقـة بعيد عن التكلف في الألفاظ، وهو اتزان لا يشوبه وقار مصطنع، فالشاعر لم يكن –كمـا قيـل عنه– ماجناً، نابي اللفظ مستهجن الأسلوب، ولكن ليس معنى هذا أنَّهُ كـان صـوفي المـذهب والطريقة، بل كان شاعراً يعيش في عهد حضاري، وجوٍّ مليء بما يغري الشعراء إلـى قـول الشعر [4].

وأما يحيى بن الحكم البكري الجياني(ت. 250هـ/864م) الملقب بالغزال؛ فكان كثيـر الشعر في الجد والهزل، ومع ذلك كان جليلاً في نفسه وعلمه، وقيل عنه: "كان الغـزال حكـيم الأندلس وشاعرها وعرافها، عمَّر أربعاً وتسعين سنة ولحق عصـور خمسـة مـن الأمـراء الأمويين، أولهم عبد الرحمن بن الداخل، وأخرهم محمد بن عبد الرحمن بن الحكم[5]، وقد أشار أشار الغزال نفسه إلى ذلك بقوله(بحر الرجز):

---

[1] للاطلاع على نص القصيدة؛ انظر: المقري، ج1، ص341؛ انظر أيضاً: محمد، محمد، **دراسات في الأدب الأندلسي**، ص56.

[2] هيكل، ص106.

[3] ابن سعيد المغربي، ج1، ص324.

[4] محمود، ص62.

[5] المقري، ج2، ص254.

أدركـــتُ بالمصـــرِ مُلُوكـــاً أربَعِـــةْ وخامِساً هـــذا الّـــذي نحـــنُ معـــهْ[1]

وكان يحيى بطبعه متحرراً إلى درجة الاستهتار، فجرَّ عليه ذلك كثيراً من الشر، وحال دون وصوله إلى أسمى المناصب التي كان جديراً بها، وكان قد ولاه الأمير عبد الرحمن الأوسط قبض الأعشار، إلا أنه لم يقم بها على أكمل وجه، فغضب منه الأمير الأوسط وقام بسجنه، وقد كتب من محبسه في قرطبة قصيدة يبرر فيها موقفه[2].

وقد أرسله عبد الرحمن الأوسط في سفارة إلى الامبراطور البيزنطي ثيوفيلوس Theophilos(829-842م) ومعه رسالة من الأمير، فأسهم ذلك في خلق علاقات ودية بين البلدين[3]. واستطاع الغزال بشخصيته أن يستميل قلوب رجالات البلاط البيزنطي، وينتزع بوسامته ولباقته إعجاب زوجة الإمبراطور التي كانت في غاية الجمال[4].

وقد تمخضت تلك الصلة بين الشاعر القرطبي وزوجة الامبراطور عن لقاءات كثيرة لم تخلُ من الإعجاب وأشعار الغزل[5]، ويقال أن زوجة الامبراطور قد أتت في إحدى الأمسيات لزيارة الغزال برفقة ابنها، وأحضرت إلى الغزال معها نبيذاً، فنظم الغزال في مناسبة هذه الزيارة قصيدة تمثلت فيها بعض الصور الشعرية الجميلة [6].

كما أرسله الأمير عبد الرحمن الأوسط أيضاً سنة 232هـ/846م إلى بلاد النورمان في عهد هوريك الأول Horic I(827-854م)[7] وقد صادفته في رحلته هذه مخاطر كثيرة بسبب هياج البحر وعصف الريح، وقد وصف الغزال هذه العاصفة البحرية[8].

---

[1] المقري، ج2، ص255.

[2] للاطلاع على نص القصيدة؛ انظر: ابن دحية الكلبي، ج1، ص(133-135)؛ انظر أيضاً: البنداق، محمد، **يحيى بن الحكم الغزال**، ص176.

[3] يحيى الغزال، **ديوان يحيى بن حكم بن الغزال**، ص555؛ انظر أيضاً: البنداق، ص84.

[4] محسن، عيسى، **أمراء الشعر الأندلسي**، ص175.

[5] للاطلاع على نص القصيدة؛ انظر: يحيى الغزال، ص29؛ المقري، ج3، ص261.

[6] للاطلاع على نص القصيدة؛ انظر: ابن سعيد المغربي، ج2، ص58؛ انظر أيضاً: البنداق، ص(202-203).

[7] ابن دحية الكلبي، ص(138-139).

[8] للاطلاع على نص القصيدة؛ انظر: يحيى الغزال، ص11؛ الحميدي، ص555.

ويبدو أن الغزال بعد عودته رأى زرياباً يتمتع بنفوذ هائل عند الأمير عبد الرحمن الأوسط في قرطبة والأندلس، فهجاه، وفي ذلك يقول ابن دحيه: "إن الغزال هجا أبا الحسن علي بن نافع الملقب بزرياب بهجو مقذع"، ووصل ذلك الهجاء إلى مسامع الأمير، فأمر بنفي الغزال عن الأندلس، ثم شفع له أكابر دولته[1].

ولم يطب للغزال المقام بعد هذا في الأندلس، فرحل كما ذكر المقري إلى العراق بعد موت أبي نواس(ت. 198هـ/814م) بمدة قصيرة، فوجدهم يكثرون من ذكره، ولا يساوون شعر أحد بشعره، فجلس يوماً مع جماعة منهم استخفوا بأشعار أهل الأندلس، فتركهم حتى وقعوا في ذكر أبي نواس، فقال لهم: من يحفظ منكم قوله(البحر الطويل):

ولمّا رأيتُ الشَّرب أكدتْ سماؤهُم … تأبّطتُ زقّي واحتبستُ عنائِي
فلمّا أتيتْ الحَان ناديتُ ربَّه … فثاب خفيف الرّوح نحْو ندائِي[2]

فاعجبوا بالشعر وذهبوا في مدحهم له، فلما افرطوا قال لهم:

خففوا عليكم فإنه لي، فأنكروا ذلك، فأنشدهم قصيدته التي كان مطلعها(البحر الطويل):

تداركتُ في شُرب النبّيذ خَطائي … وفارقت فيه شِيمتي وحَيائِي

فلما أتم القصيدة بالإنشاد خجلوا وتفرقوا[3].

ولم يدم بقاء الغزال في المشرق طويلاً، وعاد إلى وطنه الأندلس وقد ترك الشراب ومال إلى الزهد، وظل كذلك حتى وافاه الأجل في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط[4].وكان شعر الغزال يسير في الاتجاه الحديث الذي نقله عباس بن ناصح إلى الأندلس، حيث إنه كان من المترددين على مجالس ابن ناصح التي كانت تعقد في قرطبة ويتناشد فيها الشعراء ويتناقدون، كما أنه كان بصيراً بالشعر حتى إنه انتقد ابن ناصح في مواجهته[5].

---

[1] ابن دحية الكلبي، ج1، ص148؛ انظر أيضاً: البنداق، ص56.
[2] المقري، ج2، ص261.
[3] ابن دحية الكلبي، ج1، ص(148-149)؛ المقري، ج2، ص261.
[4] محمود، ص71.
[5] هيكل، ص160.

ويمكن تقسيم حياة الغزال الشعرية، إلى ثلاث مراحل: الأولى، مرحلة الشباب وتغلب على شعره في تلك المرحلة موضوعات الخمر والغزل والمجون والفكاهة، والمرحلة الثانية، مرحلة الكبر والتعقل، وتغلب على شعره في تلك المرحلة موضوعات النقد الاجتماعي والأخلاقي الذي ينبئ عن عمق وعي وقوة إدراك لعيوب الناس ونقائص الحياة[1]، ولعل مما يمثل هذه المرحلة الشعرية من حياته، قوله في علاقات الناس القائمة –في نظره– على العداوة وانتهاز الفرص ونيل القوي من الضعيف[2]، وهذه الانتقادات الاجتماعية والأخلاقية تعتبر من التجديد الموضوعي الذي تطرق إليه الغزال، في وقت لم يتجه فيه الشعراء قبله إلى هذه الموضوعات إلا بشكل لمحات عابرة[3].

أما المرحلة الثالثة، فهي مرحلة الضعف والزهد، وفي هذه المرحلة غلب على شعر الغزال موضوعات الشكوى من تقدم السن، والحديث عن البلاء الذي أخذ يدب في كل شيء له، ثم ذكر الزهد في الدنيا ومتاعها الفاني، والموت والقبر والنهاية المحتومة[4].

وقد كان شعر الغزال يسير في الاتجاه المحدث، وبتعدد موضوعات شعره، وكان شعره فيه الكثير من الخصائص الفنية الواضحة، التي تميزه عن شعر غيره ممن ساروا في هذا الاتجاه من مشارقة وأندلسيين. وأهم تلك الخصائص: الاتجاه إلى القصّ والحوار، ومن ذلك أبيات له يعالج فيها بأسلوبه القصصي مشكلة زواج الفتاة من شيخ غني أو شاب فقير[5]، ومن تلك الخصائص أيضاً ميله إلى التحليل والتعليل، والتشبع بروح السخرية والنقد، وإيراد الفكرة المبتكرة والصورة الجديدة من حين إلى حين، واتضاح النظرة الحكيمة واللمحة الفلسفية، مما لا يُعرف كثيراً في شعر الأندلسيين[6].

---

[1] هيكل، ص(160–161).

[2] للاطلاع على نص القصيدة؛ انظر: المقري، ج2، ص257.

[3] هيكل، ص162.

[4] للاطلاع على نص القصيدة؛ انظر: المقري، ج2، ص256.

[5] للاطلاع على نص القصيدة؛ انظر: الحميدي، ص48؛ انظر أيضاً: الجيوسي، سلمى، **الشعر الأندلسي: العصر الذهبي، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، ج1، ص489.

[6] هيكل، ص163.

وأخيرا فقد ترك الغزال شعراً كثيراً جمعه ديواناً ورتبه في الفترة التالية شاعرٌ يسمى حبيب بن أحمد الشطجيري(ت. 430هـ/1038م)[1]، ولكن هذا الديوان قد ضاع فيما ضاع من من تراث الأندلس، ولم يبق من شعر هذا الشاعر الأندلسي الكبير إلا بعض القصائد، ومقطوعات متناثرة في الكتب التي ترجمت له[2].

ومن شعراء تلك الفترة سعيد بن سليمان بن جودى السعدي، ويتصل نسبه بأسرة تعرف بالرئاسة وتنحدر من قبيلة هوازن، وقد شبَّ على الفروسية والميل إلى الأدب، ولاه الأمير عبدالله بن محمد على كورة إلبيرة، وذلك أثناء الخلافات التي حصلت بين العرب والمولَّدين أيام الأمير عبدالله بن محمد، وقد كان سعيد من أعوان سوار بن حمدون الذي كان على رأس العرب في غرناطة، وخاض ابن جودى بعض المعارك ضد ابن حفصون حتى وقع مرة في الأسر وسجن حيناً[3]، ولكنه تمكن من الخلاص، وواصل الكفاح ضد مناوئيه، فلما قتل سوار، اختار العرب سعيداً زعيماً لهم، وخاطبوا الأمير عبد الله يسألونه الموافقة على رئاسة سعيد لهم فوافق، وكان سعيد شجاعاً متحمساً، فأعلى كلمة الغرناطيين من ذوي الأصول العربية، وناصرهم على أعدائهم المولدين، وحارب ابن حفصون وأحرز عليه انتصارات، حتى هابه هذا المتمرد الذي لم يَهَب حكومة قرطبة[4].

وقد مدحه أعوانُه، حتى عدوا له خصالاً قالوا إنها لا تجتمع إلا له، وتلك الخصال، هي: الجود والشجاعة والفروسية والشعر والخطابة، غير أنهم كانوا يأخذون عليه ولعه بالنساء، ولعل ذلك يكمل صورته كفارس[5].

وقد خلَّف سعيد بن جودى شعراً يصوره محارباً قوياً شديد البأس في الحرب، ويمثله في نفس الوقت فارساً تقليدياً ومحباً ليناً في الحب، أما شعره الذي يصور ضعفه في حبه ولينه في

---

(1) حبيب بن أحمد الشطجيري: شاعر من أعيان أهل الأدب مشهور، من أهل قرطبة، أدرك أيام المستنصر، انظر: الحميدي، ص287.

(2) الحميدي، ص555.

(3) ابن الأبار، الحلة، ج1، ص(154–155).

(4) نفسه، ص156.

(5) هيكل، ص167.

معارك الغرام؛ فمنه قوله في مطربة اسمها جيحان، كان قد سمعها فهام بها دون أن يراها(البحر البسيط):

سَمعي أَبى أَن يَكونَ الرّوحُ في بدني   فَاِعتاضَ قَلبي مِنهُ لَوعَـةَ الحـزَنِ[1]

وموضوعات شعر ابن جودى تكاد تنحصر في الفخر والحماسة والغزل، وهذا يعني أن أسلوبه كان يميل إلى الأسلوب التقليدي في الشكل والمضمون، وذلك بسبب ميله في نشأته إلى التعصب والعروبة، الأمر الذي كان يربطه بالمحافظة على القديم ويشده إلى ماضي العرب في كل شيء، ومن هنا جاء ميله إلى الاتجاه الشعري المحافظ، وكان شعره يميل إلى الغناء المرهف، فيختار الألفاظ، ويصقل التراكيب، فيمتلئ شعره بالعاطفة، حتى أنه من السهولة بمكان أن يُوقَّع شعرُه ويلَّحن ويُغنّى ويُترَنَّم به[2].

وقد انتهت حياة سعيد بن جودى نهاية محزنة، حيث قتله بعض حاسديه غدراً سنة 284هـ/897 م ولكي لا يؤخذوا بجريمة قتله، ادعوا أنه تحدى أمير قرطبة عبد الله بن محمد، وأنه قال فيه أبياتاً[3].

ومن الشعراء أيضاً أبو مروان، مؤمن بن سعيد بن إبراهيم بن قيس(ت. 276هـ/ 889م)، كان جده إبراهيم من موالي الأمير عبد الرحمن الداخل، ولد في قرطبة وفيها نشأ وترعرع، وذاع صيته في الشعر، وقد علا نجمه في أيام الأمير محمد، وكان قد رحل إلى المشرق فلقي أبا تمام الطائي(ت. 231هـ/845م)[4]، وروى عنه شعره ودَرَّسَه بالأندلس[5].

بالأندلس[5].

---

[1] ابن الأبار، **الحلة**، ج1، ص157.

[2] هيكل، ص169.

[3] ابن الأبار، **الحلة**، ج1، ص157.

[4] أبو تمام الطائي: حبيب بن أوس بن قيس، كان والده نصرانياً ثم أسلم، وكان يمدح الأمراء والملوك، وقد كان ابنه حبيب يعمل في سقي الماء في الجامع بمصر، أخذ عن العديد من علماء عصره، وكان يحب الشعر فبرع فيه، وشاع أمره في بغداد حتى رحل إليها، وكان الناس يجتمعون كل جمعة بجامع بغداد ليسمعوا شعره، انظر: الذهبي، **تاريخ**، ج17، ص(125-126).

[5] ابن سعيد المغربي، ج1، ص132.

ويبدو أن مؤمناً كان سيء الطبع كثير السخرية بالناس، شديد التهكم، وهذه الطباع جرَّت عليه خصومات كثيرة[1]، ومن تهكمه ما روي عنه أنه سخر من قاضي إستجة عمرو بن عبد الله، وكان لهذا القاضي ابن يكنى بأبي عمرو اتهم بسرقة مال كان قد استودع عند ابيه، فهجاه مؤمن بقوله:

لعَمْرِي لقد أزْرى -بعَمْرو- أبو عمْروِ ومثْلُ أبي عمرٍو بوالده يُزري
وقد كان عَمْرٌو يستضاء بنُوره فاضحى ابو عمرو كسُوفًا على البَدْر[2]

وهذه الشماتة من الشاعر، قد يكون لها دوافعها النفسية، اذ لم يتمكن من الانسجام في بعض الحالات مع بيئته وناسه[3]، وله أيضاً نظرات نقدية على بعض أشعار زملائه، ولكن غالباً غالباً ما تأتي نظراته النقدية ساخرة متهكمة، ومنها سخريته من عباس بن فرناس الذي أنشد أبياتاً في مدح الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط، التي قال فيها عباس بن فرناس:

رأيتُ أمير المؤمنين محمّداً وفي وجهه بذُر المحبّة يُثْمرُ[4]

فعلقَّ مؤمن على هذا البيت واستهجنه قائلاً لعباس بن فرناس: قبحاً لما ارتكبته، جعلت وجه الخليفة يثمر فيه البذر؟! [5].

ولم ينقطع مؤمن عن شماتته بالناس، حتى إنه شمت بهاشم بن عبد العزيز (ت. 273هـ/886م)[6] وزير الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط، عندما وقع في أسر الأعداء، ثم

---

(1) ابن سعيد المغربي، ج1، ص132.

(2) ابن القوطية، ص87.

(3) محمود، ص78.

(4) المقري، ج3، ص375.

(5) نفسه.

(6) هاشم بن عبد العزيز: الوزير ابو خالد، اخو القاضي أسلم بن عبد العزيز، تولى منصب الوزارة أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط، نكبه الأمير المنذر بن محمد لأشهر من خلافته، بعد أن ولى هاشم الحجابة، ويرجع سبب ذلك إلى حقده عليه لأنه والده الأمير محمد كان يصطحب هاشماً قائداً للجيش بدلاً منه، انظر: ابن الأبار، **الحلة**، ج1، ص137.

ثم كتب قصيدة أخرى على وزنها يمدح بها هاشماً لكي يظهر بمظهر البريء من الشماتة به[1].

فلما عاد هاشم بن عبد العزيز إلى وزارته وخلص من الأسر أخذ يكيد لمؤمن عند الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط حتى بلغ ما اراد وزجه في السجن، وأخذ مؤمن يرسل القصائد والرسائل من حبسه إلى هاشم لعله يعطف عليه، واكثَرَ التشفعَّ في جد هاشم محمد بن جهور، فلم يفده ذلك شيئاً وتسرب اليأس إلى نفسه، فزاد في هجائه[2].

وعندما انتشرت المجاعة في السجن وكثرت فيه السرقات، كسر أهل السجن بابه وفروا منه، وأبى مؤمن أن يفر، وظن أن ذلك يخلصه ويرقّق قلب هاشم عليه، فلما وقف هاشم بباب السجن لمعاينة الأمر، خرج إليه مؤمن متوسلاً مستعطفاً، فلم يلتفت إليه وأوصى السجان بإيصاده، فظل في السجن حتى قتله اليأس والكمد ومات سنة 276هـ/ 889م[3].

ولم يصلنا الكثير من شعر مؤمن إلا بعض ما حفظته بعض الكتب من مقطوعات وأبيات متفرقة يدور أغلبها في الهجاء وبعض الأغراض المعروفة كالمدح والرثاء وذم الزمان وغيرها، ويبقى الهجاء أهم أغراض شعره[4]، وكان الرثاء عنده عما يدور في النفس وانفعالاتها إزاء موقف معين، فلا يمكن كتمها أو السيطرة عليها في النفوس[5].

وقد بالغ الشاعر في رثاء أمراء الأندلس وأبنائهم، وجاءت أكثر مراثيه فيهم تقليدية باردة العاطفة، لأنها لم تأتِ عن عاطفة شعورية صادقة، وإنما جاءت كما تقتضيه الظروف، ونهج في ذلك على ما اعتاده الشعراء من المشاركة في التأبين عند موت أمير أو وزير[6].

ومن شعراء عصر الإمارة عباس بن فرناس، وهو مولى بني أمية ويعود أصله إلى برابر تاكرنا، وقد اشتهر في نظم الشعر إلى الدرجة التي جعلته شاعر بلاط متميزٍ لدى ثلاثة من

---

(1) للاطلاع على نص القصيدة؛ انظر: ابن سعيد المغربي، ج1، ص133.

(2) محمود، ص78.

(3) ابن سعيد المغربي، ج1، ص133.

(4) محمود، ص78.

(5) للاطلاع على نص القصيدة؛ انظر: الثعالبي، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، ج2، ص23.

(6) محمود، ص81.

أمراء بني أمية في الأندلس، هم على التوالي: الحكم الربضي وابنه عبدالرحمن الاوسط ومحمد بن عبد الرحمن[1].

وتعطينا القصائد والمقطوعات التي وصلتنا صورة عن موضوعات شعر ابن فرنـــاس، ومعظمها يتحدث عن اهتماماته، كالعمل في بلاط الأمراء والانشغال بالموسيقى والغناء، واعتنائه بالفلك والتنجيم، وميله إلى الابتكار والتجريب، فضلاًعن شعره في خصـــوماته مـــع الشـــعراء والفقهاء والعلماء من معاصريه، إلى ىجانب قوله في الغزل والوصف[2].

وكان له قصائد طويلة، تصف انتصارات الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط وتهنئه بها؛ فعندما انتصر هذا الأمير على أهل طليطلة والنصـــارى معـــاً فـــي وقعـــة وادي ســـليط سنة240هـــ/854م هنأه الخطباء وامتدحه الشعراء[3]، وكان من ذلك قصيدة قالها ابن فرنـــاس مطلعها(البحر الطويل):

ومختلفِ الأصواتِ مؤتلــفِ الزحْــفِ   لهــومِ الفلا عبلِ القنابــلِ ملتــفِّ[4]

وقد وصف ابن فرناس، في هذه القصيدة، الجيش الإسلامي والمعركة التي خاضها، وما تحقق على أيدي المسلمين بها، مما يجعل من هذه القصيدة "وثيقة تاريخية"[5].

وعندما هاجم الأمير محمد طليطلة سنة244هـــ/858م وحارب أهلها وهدم قنطرتها، قال ابن فرناس قصيدة مدحه فيها:

يـــا ابـــن الخلائـــف يامحمّـــد يـــا   مـــن ســـيفُهُ فـــي راحـــة النصْـــرِ
ما إن تقوم بحـــرّ بأســـك فـــي الـــ   دنيـــا محصّـــنةٌ مـــن الـــدهْرِ[6]

---

[1] ابن سعيد المغربي، ج1، ص333.
[2] جرار، صلاح، **عباس بن فرناس شاعراً**، الجامعة الأردنية، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ص108.
[3] ابن عذارى، ج2، ص111.
[4] نفسه.
[5] جرار، عباس، ص109
[6] ابن حيان، ص306.

وفي سنة 259هـ/872م حقق الأمير محمد سلسلة انتصارات في طليطلة وينبلونة، وكانت عودته من هذه الانتصارات عند حلول عيد الفطر، فقال عباس بن فرناس يهنئه بالانتصارات وبحلول العيد ويمدحه في قصيدة[1].

ومثلما ارتبط المدح عند عباس بن فرناس بوصف الانتصارات والتهنئة بها وبالمناسبات المختلفة، فكذلك ارتبط بوصف القصور والمباني التي بناها الأمراء؛ فعندما بنى الأمير محمد قصراً في رصافة قرطبة وزرعما حوله، استدعى الشعراء في وصفه وتهنئته، وكان من بينهم ابن فرناس الذي أنشده قصيدةً، ذكرت المصادر أنها افضل ما قيل في تلك المناسبة، في الوصف والمديح [2].

وعلى الرغم من خدمة عباس بن فرناس في بلاط ثلاثة أمراء متعاقبين من أمراء بني أمية في الأندلس إلا أنما وصلنا من شعره في المدح يكاد يكون مقتصراً على ثالث هؤلاء الأمراء وهو الأمير محمد بن عبدالرحمن بن الأوسط[3].

أما الهجاء في شعره فمصدره العلاقات غير الودية بينه وبين بعض أقرانه من الشعراء والحاسدين، ومع أن المصادر الأدبية تحدثت عن مهاجاته مع مؤمن بن سعيد؛ إلا أن ما وصلنا من شعر ابن فرناس في غرض الهجاء قليل، ومن أمثلته ماردَّ به على مؤمن بن سعيد عندما سخر الأخير من قُبتَّه الفلكية[4].

فيأتي بعد ذلك الشاعر محمد بن يحيى بن زكريا، من أهل قرطبة، وكنيته أبو عبد الله، وتلقب بالقلفاط، ارتحل عن قرطبة في فترة الفوضى التي سادت أيام فترة الأمير عبد الله بن محمد، وكان قد هجا الأمير عبد الله ببيت يقول فيه(البحر السريع):

مَا يرتجي الْعَاقِل في مُدّة الرِّجل فيها موضع الرأس[5]

---

[1] للاطلاع على نص القصيدة؛ انظر: ابن حيان، ص239.

[2] للاطلاع على نص القصيدة؛ انظر: نفسه، ص(227-228).

[3] جرار، عباس، ص114.

[4] المقري، ج3، ص375.

[5] ابن سعيد المغربي، ج1، ص111.

ولما وفد على إبراهيم بن الحجاج بإشبيلية، قصده القلفاط، فأنشد قصيدة ذم فيها أهل بلده، فعاد إلى قرطبة وابتدأ بهجاء ابن حجاج، فقال فيه(البحر البسيط):

أبْغِي نوالَ الأكرمين مَعاً ولا أبْغى نوالَ البُومةِ البكْماءِ[1]

وعندما علم إبراهيم بن الحجاج، أرسل إليه من يَكُفَّه ويهدده بالقتل[2].

وبلغت القصيدة مسامع إبراهيم، فغضب وحلف إن عاد القلفاط إلى الهجاء، أنه سيرسل إليه من يأخذ رأسه في قرطبة وهو نائم على فراشه، وبعث إليه من يعلمه ذلك، فخاف القلفاط على نفسه وسكت، مما أبهج الناس بقرطبة على تهديد إبراهيم بن الحجاج للقلفاط، وذلك لشدة ما كان يلحقهم من هجائه[3].

ولم يكن حال القلفاط مع الشعراء جيداً، لأنه كان شديد التعرض، كثير المهاجاة لهم، حتى إن أصدقاءه منهم لم يسلموا من لسانه، وكان بينه وبين ابن عبد ربه صداقة إلا أن هذه الصداقة لم تدم، فأصبحا أعداء يهجو كل واحدٍ منهما الآخر[4].

وكان من أصدقائه أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الملقب بالحكيم، بات عند القلفاط ذات ليلة، حتى طلع الصباح، وكادت الشمس تطلع عليهما، فانتبه القلفاط، فقال للحكيم(البحر البسيط):

يا ديكُ مالك لم تصرخ لتنبه لقد أسأت بنا ديك الدجاجات

يا آكلاً للقذى يا سالحاً عبثاً على الحصير بهيميّ البهيمات

فأجابه الحكيم(البحر البسيط):

لقد صرختُ مراراً جمّة عددا قبل الصباح وبعد الصبح تارات

لكن علمتك نوّاماً وذا كسلٍ قليل ذكرٍ لجبار السموات[5]

---

[1] نفسه.

[2] ابن سعيد المغربي، ج1، ص111.

[3] عباس، ص162.

[4] الصفدي، ج8، ص11.

[5] الفيروز ابادي، **البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة**، ص(256-257).

يتبين لنا من هذه المساجلة الشعرية ان القلفاط لم يراعِ مشاعر صديقه، فأخذ يهجوه لأنه لم يوقظه باكراً، حيث شبهه بالديك الذي لا يحسن سوى الصياح ولا يعرف إلا أكل الأوساخ، حيث رد عليه الحكيم أنه أيقظ القلفاط أكثر من مرة من نومه، إلا أنه لم يستيقظ، وأنه كان لا ينهض للصلاة وقليل الذكر لله.

كان القلفاط شاعراً مجيداً، إلا أنه كان يغلب الهجاء على شعره، ولكننا في الوقت نفسه لا نعدم أن نرى له موضوعات شعرية أخرى في غير الهجاء، وهي الغزل، وكان غزله رقيقاً سهل الانسياب[1].

وأما المرأة في المجتمع الأندلسي فقد تمتعت بحرية واسعة لم تتمتع بها النساء في المجتمعات الإسلامية الأخرى، فتعلمت الأدب وتفقهت بالدين، وهذا ما جعلها تبدع في الحياة الثقافية، ولعل كثرة عدد الشاعرات الأندلسيات يعطي نبذة عن المرأة في المجتمع الأندلسي[2].

وقد برز شعر المرأة الأندلسية في تلك الفترة بشكل ملحوظ، وكان الظن في المرأة ألا تكون صاحبة موهبة إبداعية إلى هذا الحد اللافت للنظر والمستدعي للتأمل، ولعل الطبيعة الأندلسية الساحرة التي الهمت الرجل الأندلسي وجذبته إليها، وجعلته يكتب الشعر، هي ذاتها التي جعلت المرأة الأندلسية تشاركه الإحساس وتقاسمه الشعور، فأمدَّتها الطبيعة كما أمدت الرجل بهذه الاحاسيس، لتبدع بها حيث قوة الوجدان ومدركات الحس[3].

ويبدو أن تاريخ الأندلس قد حفل بأسماء عدد كبير من الشاعرات، وقد خصص المقري صفحات من سفره نفح الطيب للحديث عن الشاعرات اللواتي ظهرن في الأندلس وترعرعن فيها[4]، ومن أشهرهن حسانة بنت أبي الحسين الشاعر، وهي من أولى الشاعرات اللواتي اشتهرن بالأندلس، تأدبت على يد أبيها وأخذت منه الشعر والأدب، وكانت على شاكلة أبيها بقوة المعارضة، كما كانت جريئة لا تقبل الظلم، فاستغلت قدرتها الشعرية في الدفاع عن حقوقها[5].

---

(1) للاطلاع على أشعاره في الغزل؛ انظر: الزبيدي، ص278؛ المقري، ج4، ص126.

(2) الباجلاني، آزاد، **المجالس الشعرية في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة**، ص19.

(3) محمود، ص64.

(4) نفسه.

(5) المقري، ج4، ص167.

وقد ذكرت المصادر أنها عاشت أيام الأمير الحكم الربضي، حتى عهد ابنه عبد الرحمن الأوسط، وبعد ذلك انقطعت أخبارها، ولم يرد تاريخ وفاتها في أي مصدر من المصادر، وهذا يعني إنها ولدت في أواخر القرن الثاني وتوفيت في الربع الأول من القرن الثالث[1].

تحدثنا المصادر أنها لجأت بعد موت أبيها إلى الأمير الحكم الربضي ومدحته بقصيدة استطاعت من خلالها أن تنتزع عطفه[2]، وقد أعجب الأمير بشعرها، وأمر لها باجراء راتب، وكتب إلى عامله على إلبيرة يوصيه بها خيراً، ولكن أصابها بعد موت الحكم بعض الأذى من حاكم بلدها جابر بن لبيد الذي تنكر لها، ولم ينفذ ما أوصى به الحكم، فوفدت على الأمير عبد الرحمن بن الأوسط، فاطلعته على وصية والده بها فأعاد إليها راتبها[3].

ومن شعرها في المديح قولها(البحر البسيط):

ابن الهشامين خيرُ الناسِ مأثرةً	**وخيرُ مُنْتَجَعٍ يوماً لروّادِ**
إن هَزّ يومَ الوغى أثناءَ صعدته	**روّى أنابيبها من صرفِ فِرْصادِ[4]**

وكانت الجارية العجفاء من الجواري الوافدات من المشرق، ولم يعرف اسمها، وإنما عرفت بصفتها التي اشتهرت بها وذاع صيتها، وأصبحت تعرف بالجارية العجفاء، وقيل إنها سُميِّت بذلك لأنها هزيلة نحيلة، وربما يكون سبب ذلك لأن سيدها مسلم بن يحيى مولى بني زهرة كان فقيراً[5].

وقد كانت تتقن الشعر والغناء، وكان شعرها يخاطب العاطفة[6]، ومن قولها في الغزل(البحر الكامل):

بَرِحَ الخفاء فأيما بكَ تكتمُ	**ولسوف يظهر ما تُسر فَيُعْلَمُ**
ممّا تضمّنَ من غريرة قلبه	**يا قلب إنك بالحسان لُمغْرَمُ[7]**

---

[1] محسن، ص314.

[2] للاطلاع على نص القصيدة؛ انظر: المقري، ج4، ص167؛ انظر أيضاً: الشكعة، ص(122-123)؛ فواز، ص63.

[3] للاطلاع على نص القصيدة؛ انظر: المقري، ج4، ص(167-168).

[4] المقري، ج4، ص168.

[5] نفسه، ج3، ص141.

[6] الشكعة، ص(119-120).

لُمغـــْــــــــــــــــــــرَم[1]

ويقال: إن الأمير عبد الرحمن الداخل عندما سمع غناها وفنها، بعـث إلـى صـاحبها فاشتراها، وحملت إليه[2].

ومن شاعرات المشرق قمر البغدادية، وهي بغدادية الأصل، وقد جلبت إلى إبراهيم بـن حجاج اللخمي[3]، وعاشت في القرن الثالث الهجري/ العاشر الميلادي، وكانت من أهل الفصاحة الفصاحة والبيان والمعرفة بصياغة الألحان، وجمعت الكثير من الأدب وحفظته، وكانت تقـول الشعر بفضل أدبها، ولها قصيدة تصف تشوقها إلى بغداد[4].

ولكن المعاملة الطيبة التي حظيت بها قمر من مولاها، خففت عنها شعورها بالغربـة، وقد مدحته بقولها(البحر الكامل):

مَا في المغاربِ مِـنْ كـريمٍ يُرتَجَـى — إلاّ حليـــفُ الجـــودِ إبْـــراهيمُ
إنّــي حلَلْــتُ لديْــهِ منــزِلَ نعْمــةٍ — كــلُّ المنــازل مــا عــداه ذمــيم[5]

ولها أيضاً قطعة إنسانية تصور فيها معاناتها في حياتها الجديدة وغَيْرةِ بعـض النسـاء الحرائر منها، وتعريضهن بها، وسخريتهن منها[6].

ويتضح من ذلك أن المرأة الأندلسية كانت في تلك الفترة قد لعبت دوراً مهماً في الحياة العلمية في الأندلس وكان لها دورٌ مؤثر لا سيمّا في الحياة الأدبية، فكان لها اسهاماتها في الشعر الأندلسي وموضوعاته، مما يدل على المكانة التي حظيت بها في المجتمع الأندلسي.

فنون الموشحات والغناء والموسيقى

---

(1) المقري، ج3، ص142.
(2) نفسه.
(3) العبادي، ص158.
(4) للاطلاع على نص القصيدة؛ انظر: المقري، ج3، ص(140–141).
(5) المقري، ج3، ص141.
(6) صقر، عبد البديع، **شاعرات العرب**، ص326.

الموشح: أو الموشحة منظومة غنائية لا تسير في موسيقاها على المنهج التقليدي، الملتزم لوحدة الوزن ورتابة القافية، وإنما تعتمد على منهج تجديدي متحرر نوعاً، بحيث يتغير الوزن وتتعدد القافية، ولكن مع التزام التقابل في الأجزاء المتماثلة[1].

فالموشح يتألف غالباً من خمسة أبيات، ومصطلح البيت في الموشح يختلف عن البيت في القصيدة العمودية، فالبيت في القصيدة العمودية يتألف من شطرين، الشطر الأول ويطلق عليه اسم "صدر البيت" والشطر الثاني فيطلق عليه اسم "عجز البيت"، أما البيت في الموشح فيتألف من أشطار "الدور" وأشطار "القفل" الذي يليه، وكل شطر من أشطار الدور يطلق عليه اسم "السمط"، وكل شطر من أشطار القفل فيطلق عليه اسم الغصن، وأغصان القفل واسماط الدور يجب أن تتحد في الوزن وتختلف في القافية، والموشح عادة يبدأ بقفل ويطلق عليه اسم "المطلع أوالمذهب" وينتهي أيضاً بقفل ويطلق عليه اسم "الخرجة" [2].

ويلاحظ مما سبق أن الموشح فيه حرية وتنويعاً من جانب، والتزاماً وتماثلاً من جانب آخر، أما الحرية والتنويع؛ ففي الأسماط والأغصان، حيث تتغير قافية كل غصن عن قافية باقي الأغصان الموازية والأسماط، وأما الالتزام والتماثل ففي الأقفال حيث يجب أن تتحد قوافيها في الموشحة كلها[3].

وكانت بدايات هذا الاتجاه في فترة حكم الأمير عبد الله بن محمد، وفي هذه الفترة ازدهرت الموسيقى وشاع الغناء من جانب، وقوي احتكاك العنصر العربي بالعنصر القوطي من جانب آخر. فكانت نشأة الموشحات استجابة لحاجة فنية أولاً، إذ أنهم كانوا قد أولعوا بالموسيقى وكلفوا بالغناء، منذ أن قدم عليها زرياب وأشاع فيهم فنه، ونتيجة لظاهرة اجتماعية ثانياً، وذلك لأن العرب امتزجوا بالقوط، وكان من مظاهر هذا الامتزاج أن عرف الشعب الأندلسي العامية اللاتينية كما عرف العامية العربية، أي أنه كان هناك ازدواج لغوي نتيجة للاحتكاك الحضاري[4].

---

[1] عيسى، عبد العزيز، ص164.

[2] هيكل، ص139.

[3] نفسه.

[4] نفسه، ص143.

ومما لا شك فيه أن الموشح فن أندلسي خالص ولد وترعرع في البيئة الأندلسية لظروف خاصة، ثم انتقل بعد ذلك إلى المغرب والمشرق، وإن كان لم يبلغ ما بلغه في الأندلس من نضوج وازدهار، ولعل من أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور الموشحات في الأندلس بالإضافة إلى ما ذكر؛ حالة التخمة التي أصيب بها الشعر العربي هناك لكثرته وغزارة ألفاظه، فاستعاضوا عنه بالموشحات، لبساطة ألفاظها، ومن الأسباب الأخرى؛ تسرب الألفاظ العامية إلى الكلام اليومي، أضف إلى هذا الطبيعة الأندلسية المترفة الأمر الذي أدى إلى ظهور هذا النمط من الشعر[1]، وقد ذكر ابن خلدون: "وأما أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهم، وتهذبت مناحيه وفنونه، وبلغ التنميق في الغاية استحدث المتأخرون منهم فناً سموه بالموشح"[2].

ويرى ابن خلدون أن مخترع الموشحات في الأندلس شاعر من شعراء الأمير عبد الله بن محمد اسمه مقدم بن معافي القبري(ت. 299هـ/912م)، ومما يؤثر عنه رثاؤه لسعيد بن جودى أحد رجالات الأمير سنة 284هـ/897م[3]، ومن الجدير بالذكر أن المؤرخين قد اختلفوا في تحديد مخترع الموشح؛ فقيل: إن أول من صنع أوزانه هو محمد بن محمود القبري الضرير، وقيل أحمد بن عبد ربه صاحب العقد الفريد[4].

وأما فنّا الغناء والموسيقى؛ فقد اشتهرا في الأندلس بسبب طبيعتها التي تدعو إلى البهجة واللهو والطرب، وقد كان الأمراء يهتمون بالمغنين ويجزلون العطاء لهم، كما أن قدوم كثير من مشاهير المغنين والمغنيات من المشرق إلى الأندلس وبخاصة من الحجاز والعراق سبباً في الاهتمام بالموسيقى والغناء[5]، ومن الأسباب أيضاً اختراع الموشحات واستجابة الأندلسيين لها وذلك لسهولتها في الغناء، أضف إلى هذا قيام بعض الأندلسيين بالتأليف في الموسيقى والغناء

---

[1] ابن خلدون، **تاريخ**، ج1، ص817؛ انظر أيضاً: عيسى، فوزي، دراسات في أدب المغرب والأندلس، ص222.

[2] ابن خلدون، تاريخ، ج1، ص817.

[3] للاطلاع على نماذج من أشعار القبري؛ انظر: المقري، ج3، ص538؛ انظر أيضاً: ضيف، أحمد، **بلاغة العرب في الأندلس**، ص252.

[4] بالنثيا، ص153.

[5] دويدار، ص(266–267).

كما فعل عباس بن فرناس الذي برع في الموسيقى، والذي كان له دور كبير في فك معاني العروض للفراهيدي ووضح مدى ارتباط علم الموسيقى بعلم العروض[1].

ويرى ابن خلدون ان صناعة الغناء "أخر ما يحصل في العمران من الصنائع لأنها كمالية في غير وظيفة من الوظائف، إلا وظيفة الفراغ والفرح"[2]، ويدل كلامُه أن الأندلسيين بعد بعد أن استقر بهم الأمر وبدأت الحضارة في الظهور خاصة في عهد الدولة الأموية، فإن هذا الاستقرار شكل دافعاً قوياً لظهور العلوم والفنون وتطورها سريعاً.

وقد بلغت الأندلس قمة الترف وبرع الأندلسيون في الموسيقى والغناء، اللذين كان انتشارهما استجابة لحاجة عامة لدى المجتمع الاندلسي على الرغم من تشدد بعض الفقهاء، وكان رجال الدين لا ينظرون إلى الموسيقى بعين الرضا[3]، وكانوا يعتبرون الاشتغال بها أمراً لا يليق يليق إلا بالموالي والإماء وذوي السمعة السيئة، ولم يكونوا يقبلون شهادة المغني أو المغنية، ولم يسمحوا بأن تُباع كتب الموسيقى والأناشيد علناً، بل كان القضاة المتشددون يأمرون بكسر الآلات الموسيقية التي توجد مع المغنين في الطرقات، إلا أن هناك صعوبة في إثبات أن رجال الدين عادةً في الأندلس كانوا يكرهون الغناء، بل هناك من يروي أن القاضي أبا عبدالله محمد الليثي[4]، كان خارجاً إلى حضور جنازة بمقابر قريش، فعزم عليه رجل في الليل يؤاخيه من بني جابر، فأحضر له طعاماً وأمر جارية له بالغناء[5]، فغنت قائلة:

طَابَتْ بطيبِ لِثَاتِكَ الأقْدّاحُ ... وَزَهَا بِحُمْرةِ خَدك التُّفَّاحُ
واذا الربيعُ تَنَسَّمَتْ أرْواحه ... طابت بطيب نسيمك الأرواحُ[6]

[1] الزبيدي، ص269.
[2] ابن خلدون، **تاريخ**، ج1، ص540.
[3] بالنثيا، ص55.
[4] الليثي محمد بن عيسى بن يحيى: ولي قضاء الجماعة بقرطبة، وكانت له رحلة إلى المشرق، وكان فقيهاً جليلاً، ومن أهل الشعر والأدب، انظر: الحميدي، ص(114-115).
[5] ابن خاقان، **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**، ص261.
[6] نفسه، ص(261-262).

ويتبيَّن من ذلك أنه على الرغم من تشدُّد الفقهاء إزاء الموسيقى والغناء؛ فإن بعضهم لم يجد غضاضةً في ذلك، ولم يجد في هذين الفنَّين حراماً، خاصة أن الأجواء والتعددية الثقافية في الأندلس كانت تتسع لكثير من الآراء المتناقضة.

وتشير المصادر التاريخية أن أمراء بني أمية في الأندلس قد اهتموا بالغناء والموسيقى، فقد أرسل الأمير عبد الرحمن الداخل بعضاً من أتباعه إلى المدينة المنورة لشراء المغنيات ممن ذاعت شهرتهن في فن الغناء والموسيقى، فأغدق عليهن الأموال وبالغ في إكرامهن مشجعاً بذلك على اجتذاب المزيد منهن، فأخذن يتوافدن على قرطبة، وأولى المغنيات اللواتي استقدمهن الأمير الداخل المغنية فضل المدنية، وكانت حاذقة في الغناء كاملة الصفات، وأصلها لإحدى بنات الخليفة العباسي هارون الرشيد، ونشأت وتعلمت ببغداد، فأتقنت هذا الفن، واشتريت للأمير الداخل مع مغنية أخرى يقال لها عَلَم، وخصص لهن داراً بقصره سميت دار المدنيات، وكُنَّ يؤثرن لجودة غنائهن ورقة أدبهن، ثم أضيفت إليهن مغنية ثالثة، وهي الجارية قَلَم، الأندلسية الأصل من سبي البشكنس، وفي رأي آخر قيل: إنها حملت صبية إلى المشرق وكانت قد تعلمت فن الغناء في المدينة فبرعت فيه وأجادته[1].

وذكر المقري أن الأمير الداخل اشترى أيضاً جارية مدنية أخرى وهي العجفاء، جارية مسلم بن يحيى الزهري، وكانت تجيد العزف على الآلات الموسيقية، وكانت ذات مهارة فائقة وإحسان للغناء، ولها صوت يسحر القلوب، فذاع صيتها في أماكن الغناء[2]، وذكر أنه عندما سمعها الأرقمي" ألقى عليها طيلسانة[3] وأخذ شادكونة[4] فوضعها على رأسه وصاح إعجاباً "[5]،

---

[1] المقري، ج3، ص140؛ انظر أيضاً: سالم، سحر، **بحوث مشرقية ومغربية في التاريخ والحضارة الإسلامية**، ص(66–67)؛ سالم، السيد، **محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية**، ص283؛ سالم، **قرطبة**، ص(85–86).

[2] ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة في الألفة والألاف، ص56؛ المقري، ج3، ص141؛ انظر أيضاً: سالم، **قرطبة**، ص86؛ كحالة، عمر، **أعلام النساء(في عالمي العرب والإسلام)**، ج3، ص255.

[3] الطليسان: وشاح يوضع على الكتف مصنوع من القماش الغليظ، انظر: زوين، علي، **ألفاظ الحضارة في الشعر العربي في القرن الثاني الهجري**، ج1، ص553.

[4] الشادكونة: هي جبة أو قباء قطني، انظر: الدسوقي، إبراهيم، **المعجم الفارسي** الكبير، ج2، ص1677؛ التونجي، محمد: **المعجم الذهبي**، ص361.

"[1]، كما كان لعبد الرحمن الداخل قينة مدنية تسمى غفرة، كانت تغني على العود[2]، زد علـــى على هذا ما ذكره ابن حزم من أن الأمير قد أحب جارية اسمها دعجاء[3].

وفي عهد الأمير الحكم الربضي بدأ فن الغناء والموسيقى يشغل مكانة سامية في البلاط الأميري، وكان له خمس جوارٍ، وذكر منهن: عزيزة ومهجة وفاتن[4]، وكان الحكم يقترح لشعر لشعر الذي تغني فيه الواحدة منهن لأنه هو نفسه كان شاعراً، فضلاً عن قيامه بتشجيع جواريـــه على نظم الشعر[5]، وقد خلق الحكم الربضي بذلك جواً صالحاً للإقبال على الغناء يســـعى إليـــه المغنون، فهاجر إليه اثنان من مغني المشرق هما:علون وزرقون، فنالا من الشهرة ما رفع مـــن قدرهما، وانضما إلى طائفة من الموسيقيين بالبلاط الأميري وعلى رأسهم العباس بن النســـائي ومنصور اليهودي[6]، وقد شارك الحكمَ الربضيَّ في الشغف بالغناء ابنُه المغيرة، وكان لديه من من الجواري واحدة تدعى رغد، كانت تحظى بمكانة رفيعة عنده[7].

ويرجع الفضل الكبير في ازدهار فن الغناء والموسيقى بقرطبة إلى الأمير عبد الرحمن الأوسط، الذي يُعد عصره من العصور الذهبية لهذا الفن الأندلسي، فمن أهم ما امتاز به الأميـــر أنه كان فناناً رقيق المشاعر، شديد التأثر بالفنون، وعلى الاخص فن الغناء، ولذلك شغف بسماع الألحان والأنغام، فرفع منزلة المغنين والموسيقيين، وأحسن إليهم وأكرم وفادتهم، وأغدق عليهم العطايا والخلع والأموال، وفتح أبواب قرطبة لكل فنان وافد، ورحب بهم في بلاطه، فأصـــبحت قرطبة في عصره محط الرحلة ومقصد أهل الفن[8].

وأشهر من قدم إلى قرطبة ليستظل برعايته المغني البغدادي المشهور علي بـــن نـــافع المعروف بزرياب[9] الذي كان مولى للخليفة العباسي المهـــدي(158-169هـــ/775-785م)،

(1) المقري، ج3، ص142؛ انظر أيضاً: سالم، قرطبة، ص86؛ كحالة، ج3، ص256.

(2) سالم، سحر، ص66.

(3) ابن حزم الأندلسي، طوق، ص5؛ انظر أيضاً: سالم، **محاضرات**، ص283.

(4) الحميدي، ص240؛ ابن الأبار، **الحلة**، ج1، ص50؛ ابن عذارى، ج2، ص79.

(5) ابن عذارى، ج2، ص79.

(6) المقري، ج3، ص130؛ انظر أيضاً: سالم، **قرطبة**، ص86.

(7) الحميدي، ص241.

(8) سالم، **محاضرات**، ص284.

(9) نفسه.

وكان تلميذاً لإبراهيم الموصلي(ت. 188هـ/804م)[1]، ولكنه امتاز بمواهب عالية، وبفكر خلاق خلاق فتقدم في الغناء والموسيقى تقدماً محسوساً[2]، وحدث أن قدَّمه إبراهيمُ للخليفة هارون الرشيد وصار الأخير يستفسره ويمتحنه، فوجد فيه فصاحة المنطق وسرعة الإجابة في غير تردد، فأعجب ببراعة وصفه، وأمره بالغناء، فاندفع يغني:

يا أيُها الملِكُ الميمُونُ طائرُه   هَارونُ راحَ إليْكَ الناسُ وابْتكروا [3]

فقال الرشيد لإبراهيم الموصلي بعد أن استولى عليه الطرب وأعجب به: "لولا أنني أعلم من صدقك على كتمانه إياك لما عنده وتصديقي لك من أنك لم تسمعه قبل؛ لأنزلت بك العقوبة لتركك اعلامي بشأنه، فخذه إليك واعتن به حتى أفرغ له، فإن لي فيه نظراً" [4].

فأوقدت عبارة هارون الرشيد هذه نيران الغيرة في نفس إبراهيم، لأنه خاف أن يحتل زرياب مكانته في البلاط، فخيره إبراهيم بين أمرين وهما؛ إما الهجرة في أرض الله الواسعة بمواهبه وفنه، وإما أن يبقى مرغماً على غضب إبراهيم وسخطه، والعيش قانعاً باليسر في الرزق[5]، ولم يقو زرياب على تحمل غضب أستاذه، فعزم على الرحيل بالخفاء إلى بلاد المغرب حتى وصل القيروان حيث الدولة الأغلبية[6].

---

[1] إبراهيم الموصلي: ابن ميسون بن منسك التميمي بالولاء، أصله من فارس، هرب والده مع جماعة من جور عمال بعض بني أمية ونزلوا بالكوفة، فولد إبراهيم فيها سنة 125هـ/742م، وقيل ان سبب تسميته بالموصلي هو انه عندما اشتهر بالغناء تعرض لإنتقاد من أخواله، فهرب إلى الموصل واقام بها، وبرع فيها بالغناء، انظر: البستاني، **دائرة المعارف**، ج1، ص260.

[2] ابن دحية الكلبي، ص147؛ ابن خلدون، تاريخ، ج1، ص540؛ المقري، ج3، ص122؛ انظر أيضاً: الحنفي، محمود: زرياب، موسيقار الأندلس، ص(31-32)؛ الشطشاط، ص130؛ هيكل، ص120.

[3] المقري، ج3، ص(122-123)؛ انظر أيضاً: الصوفي، ص(222-223)؛ النجمي، كمال، **تراث الغناء العربي**، ص(21-22)؛ أبو الرب، هاني، ***زرياب وأثره في الحياة الاجتماعية والفنية في الاندلس***، **مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات**، ع15، ص(268-269)؛ البياتي، موفق، ***عود زرياب وأثره في الموسيقى العربية والأوروبية***، **مجلة ثقافتنا**، ع6، ص145.

[4] المقري، ج3، ص123؛ انظر أيضاً: الحنفي، ص46.

[5] المقري، ج3، ص124؛ انظر أيضاً: محسن، ص(246-247)؛ شبانة، محمد، **الأندلس(دراسة تاريخية حضارية)**، ص67؛ الشطشاط، ص130؛ شلبي، أحمد، **موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**، ج4، ص86؛ هونكة، زيغريد، **شمس العرب تسطع على الغرب**، ص366.

[6] المقري، ج3، ص124؛ انظر أيضاً: مؤنس، **معالم**، ص332.

وأثناء وجوده في القيروان، دخل على الأمير زيادة الله بن الأغلب(201-223هـ/817-838م)[1] فغناه بأبيات عنترة الفوارس[2]، فغضب زيادة الله من قوله وأمر بإخراجه من بلاده وأمهله مدة ثلاثة أيام، وإلاّ ضرب عنقه[3]، وأثناء تلك المهلة راسل زرياب الأمير الحكم الربضي، يستأذنه بالقدوم إلى الأندلس، فأذن له وعبر المضيق إلى قرطبة برفقة أولاده ولكن قبل وصوله إليها علم بموت الأمير الحكم، فتردد في مواصلة السير، ولحسن طالع زرياب أن الأمير الحكم كان قد أرسل قبل موته المغني منصور اليهودي لاستقباله، فأرسل منصور للأمير عبد الرحمن الأوسط يعلمه بأمر زرياب، فوافق على قدومه[4].

وعند وصوله استقبله الأمير عبد الرحمن الأوسط أحسن استقبال، وقدَّم له الكثير من الهدايا، وأمر أن يدفع له ولأولاده رواتب شهرية، وأن يأخذ في كل عيد ألف دينار[5]، كما خصص له الأمير الأوسط دوراً وبساتين في قرطبة تقدر قيمتها بأربعين ألف دينار، وكتب له الكاتب صكاً بذلك، فشكر زرياب الأمير على هذه الأعطيات[6].

ولما سمع الأمير الأوسط غناء زرياب أَعجب بمواهبه، وقدَّمه على جميع المغنين لديه، لدرجة أنه كان يجلسه بجانبه ليستمع إلى غنائه وإلى مايقصه من أحوالا الملوك وسير الخلفاء ونوادر العلماء، ولم يلبث أن ملك زرياب قلب الأمير، حتى إنه كان يأمر بأن يُفْتح له بابٌ خاص يستدعيه منه متى أراد[7].

---

[1] زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب: أبو محمد، تولى الإمارة بعد وفاة أخيه عبدالله سنة 201هـ/816م، وفي عهده كثرت حركات الخروج عن الطاعة، حتى إنه لم يعد يسيطر في بعض السنوات إلا على حاضرته وما يحيط بها، وترجع أسباب الاضطراب إلى استمرار زيادة الله على سياسة أخيه الجائرة مع الناس واستخفافه بالجند، انظر: ابن عذارى، ج1، ص(96-97).

[2] للاطلاع على نص القصيدة؛ انظر: المقري، ج3، ص(124-125).

[3] ابن عبد ربه، ج7، ص37؛ انظر أيضاً: الحنفي، ص92؛ الشطشاط، ص129؛ أبو الرب، ص269؛ البياتي، ص145؛ سلمان، حمود، ***زرياب في المصادر العربية القديمة***، جامعة مؤتة، **حوليات آداب عين شمس**، مج38، ص164.

[4] المقري، ج3، ص (124-125)؛ انظر أيضاً: نعنعي، ص247؛ أبو الرب، ص271.

[5] المقري، ج3، ص125.

[6] نفسه.

[7] نفسه، ص125؛ انظر أيضاً: سلمان، ص165.

وذُكِر أنه غنى للأمير صوتاً استحسنه فأمر خازن بيت المال أن يدفع له ثلاثين ألف دينار، فامتنع الخازن عن دفع هذا المبلغ الكبير، وأرسل إلى الأمير يطلب منه أن يدفعه من ماله الخاص، ففعل[1].

وعلى الرغم من استبعاد الباحثة لإمكانية حدوث مثل ذلك، فإن هذه الرواية تدُلُّ على مدى الحظوة التي تمتع بها زرياب في بلاط الأمير عبد الرحمن الأوسط.

وذُكِر أن زرياب ادعى أن الجن تزوره كل ليلة لتعلمه الموسيقى، فكان يهب من نومه سريعاً فيدعو بجاريتيه غزلان وهنيدة، فتأخذان عودهما ويأخذ هو عوده، ويعزف معهما طول الليل ثم يكتب شيئاً من الشعر، ويعود إلى نومه[2].

وأدخل زرياب في الأندلس بعض التحسينات على العود فزاد عدد أوتاره من أربعة إلى خمسة، كما أنه جعل مضرب العود من قوادم النسر بدلاً من الخشب المدقق، فأصاب في ذلك، بسبب لين قشر الريشة ونقائه وخفته على الأصابع[3].

ودرَّب الأندلسيين على أساليب جديدة في وضع المقدمات والخواتم الموسيقية، كما اتخذ رُسوماً في مجالس الغناء استمرت في الأندلس من بعده، فكان يفتتح الغناء بالنشيد بأي نقر، ثم يأتي أثره بالبسيط، ويختم بالحركات والأهزاج[4]، وهو أيضاً من وضع حجر الأساس للمدرسة الموسيقية الأندلسية التي تعتبر من أرقى مدارس الموسيقى الشرقية، والتي عنيت بتعليم الغناء ومعالجة الأصوات تبعا لاختلاف طبائعها واكتشاف الموهوبين، وبفضل هذه الجهود تألق عدد كبير من تلاميذه وتلميذاته ونجحوا في إتمام رسالته فنشروا الوعي الموسيقي عند العامة والخاصة، كما هذبوا أذواق أهل الأندلس فنياً، وهيئوا المجال لظهور ألوان جديدة من الشعر

(1) ابن القوطية، ص(83-84)؛ انظر أيضاً: زيتون، ص(301-302)؛ سالم، قرطبة، ص89.

(2) المقري،ج3، ص(125-126)؛ انظر أيضاً: سالم، **سحر**، ص68؛ سالم، **محاضرات**، ص285.

(3) ابن دحية الكلبي، ص147؛ المقري، ج3، ص126؛ انظر أيضاً: فروخ، عمر، **تاريخ العلوم عند العرب**، ص189؛ مرحبا، محمد: **الموجز في تاريخ العلوم عند العرب**، ص120؛ رايت، أوين، **الموسيقى في الأندلس**؛ انظر: الجيوسي، سلمى، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، ج1، ص242.

(4) المقري، ج3، ص128؛ انظر أيضاً: رايت، ص809؛ ضيف، شوقي، ص51.

الغنائي الأندلسي كالموشحات والأزجال، والتي ما زالت تأثيراتها حاضرة حتى يومنا هذا في موسيقى وغناء بلدان شمال إفريقيا[1].

وكان زرياب يحفظ ألف مقطوعة من الأغاني[2]، وكان يلم بمجموعات الكواكب والنجوم وحركاتها واختلاف طبائع الأقاليم وسكانها، وأسقط المفاهيم الخاطئة تجاه موسيقى الكواكب وتناسق الأجرام السماوية، وحدد القواعد الضرورية لتركيب الآلات الموسيقية[3].

وكان لزرياب الفضل في تعليم فرقة من الجواري المشرقيات اللواتي رحلن إلى الأندلس، وهن قلم وعلم وفضل، وقد أخذن الغناء عن إبراهيم الموصلي واتخذن زرياباً الذي سبقهن إلى الأندلس أستاذاً، فكونَّ أساس مجالس الغناء في الأندلس وعلَّمْنَ الفتيات الأندلسيات الغناء والموسيقى والرقص[4].

ولا شك أن التلاحين الغنائية لزرياب التي ابهرت الأمير عبد الرحمن الأوسط وقدمها على غيرها من الطرق الغنائية المتواجدة في الأندلس وتغلغلت بعمق في المجتمع الأندلسي في القرنين الرابع والخامس للهجرة؛ أخذت تتباعد تدريجياً عن التقاليد الشرقية البغدادية لا سيَّما بعد أن ابتكر أهل الأندلس الموشحات والأزجال[5].

ويبدو أن نجاح زرياب وبراعته قد جلبا له عدداً من الحاسدين ومنهم يحيى الغزال الذي هجا زرياب هجاءً مقذعاً تحرَّج ابن دحية من ذكره، وكان زرياب قد شكاه إلى الأمير عبد الرحمن الأوسط، فأمر بنفي الغزال من الأندلس، فرحل إلى العراق[6].

كما حسده الفقهاء على الأموال التي يأخذها من الأمير والتي تفوق ما يأخذونه بكثير، على الرغم من مكانتهم العلمية الرفيعة، وفي مقدمتهم عالم الأندلس وفقيهها في عصره، عبد

---

(1) سالم، **محاضرات**، ص(285-286)؛ نعنعي، ص247.

(2) المقري، ج3، ص127؛ انظر أيضاً: بالنثيا، ص54؛ الصوفي، ص226؛ سالم، **قرطبة**، ص90.

(3) المقري، ج3، ص127.

(4) نفسه، ص140؛ انظر أيضاً: الحنفي، ص(136-137)؛ الشكعة، ص87؛ ضيف، شوقي، ص51.

(5) رايت، ص810.

(6) ابن دحية الكلبي، ص(147-148)؛ انظر أيضاً: حسين، حمدي، **تاريخ وحضارة المغرب والأندلس**، ص245؛ سالم، قرطبة، ص(90-91).

الملك بن حبيب الذي قال في ذلك شعراً[1]، وفي المقابل مدحه بعض الشعراء والكتاب وأثنوا على علمه وخلقه وإتقانه لحرفة الغناء، ومنهم عبدالرحمن بن الشمر[2].

ونبغ من تلاميذ زرياب في الفترة التي عاشها في قرطبة أبناؤه الذكور الثمانية: عبدالرحمن، وعبيدالله، ويحيى، وجعفر، ومحمد، وقاسم، وأحمد، وحسن، وبنتاه علية وحمدونة، وكلهم تعلموا الغناء ومارسوه وإن اختلفت بهم الطبقة[3]، فكان أعلاهم شأناً ابنه عبيدالله ويليه في المكانة عبدالرحمن الابن الاكبر لزرياب وخليفته في صناعته، ولكنه كان شديد الغرور بنفسه حتى وصل به الأمر أن تجرأ بغنائه على الملوك واستخف بالكبراء، وأما قاسم فقد كان أحذقهم غناء[4].

وكانت حمدونة بنت زرياب تفوق أختها علية إجادةً للغناء[5]، ويبدو أنها حظيت بشهرة كبيرة في هذا الفن، ولعل ذلك كان من الأسباب التي دعت الوزير هاشم بن عبد العزيز إلى أن يتزوجها[6]، أما علية فكانت أقل حظاً من أختها في الشهرة، ولكنها عمرَّت طويلاً بعد أختها حمدونة وأخوتها، ولم يبق من أهل بيتها سواها[7].

ونبغ من تلميذاته من غير أبنائه جاريته متعة، فكانت تلميذته المفضلة لديه، أدَّبها وعلَّمها أَحسنَ أغانيه، وكانت بارعة الجمال، وكان إلى جانب جمالها حسنة الصوت، فحظيت بمكانة كبيرة عند الأمير عبد الرحمن الأوسط[8]، وكذلك مصابيح التي أخذت الغناء عن زرياب، وكانت وكانت على درجة كبيرة من الفطنة بحيث بلغت مبلغاً عظيماً من عذوبة الصوت وجمال الغناء،

---

(1) الضبي، ج2، ص492.
(2) للاطلاع على نص القصيدة؛ انظر: المقري، ج3، ص130.
(3) حسين، حمدي، ص245.
(4) المقري، ج3، ص129.
(5) نفسه، ص131.
(6) المقري، ج3، ص131؛ انظر أيضاً: سالم، سحر، ص68؛ أبو الرب، ص274؛ البياتي، ص148.
(7) المقري، ج3، ص131.
(8) المقري، ج3، ص131.

فأعجب بها الكاتب الأديب ابن عبد ربه فكتب إلى مولاها زرياب قصيدة، وما أن قرأ زرياب أبياتها حتى خرج حافياً، وأدخله إلى مجلسه فتمتع بسماعها[1].

ووضع زرياب أصولاً وطرائق لتلاميذه يسهل عليهم من خلالها تعلم الموسيقى، وكان يخضعهم للاختبار ليفحص قدراتهم، واستطاع أن يجعل للموسيقى الأندلسية طابعاً وشخصية وعشاقاً، وأن يخلصها من التقاليد المدنية التي دخلت إلى الأندلس مع المدنيات ومن جاء بعدهن من فناني وفنانات المشرق قبل زرياب[2].

وإلى جانب الغناء فقد أحدث زرياب انقلاباً في الحياة الاجتماعية الأندلسية استهدف كل جانب من جوانبها الكثيرة، وفي مجال الأطعمة والأشربة فقد علم زرياب الأندلسيين طريقة التسلسل المنظم في تقديم الأطعمة، فقد درب القرطبيين على إعداد مائدة أنيقة لا تقدم فيها الأطباق فوضى بلا نظام[3]، وقد ظل نظام التسلسل في تقديم الوجبات الغذائية متبعاً في قرطبة خلال القرون اللاحقة مما يدل على أن تعاليمه قد رسخت في نفوس القرطبيين[4].

أما في مظاهر الأناقة؛ فقد ابتكر طريقة خاصة لتصفيف الشعر للرجال وللنساء[5] وتفنن وتفنن في العطور، فابتعد عن العطور الثقيلة كالعنبر والأدهان ومال إلى عطور الزهور[6]، بالإضافة إلى التنويع في الألبسة تبعاً للفصول، مع مراعاة النوع واللون، فدعا إلى لبس الثياب البيضاء والملونة الخفيفة في الصيف، والفراء والأردية الثقيلة في الشتاء، وكانت ملابس الربيع ملونة من الخز والدراريع التي لا بطائن لها[7]، وأخرى للخريف قريبة الشبه بملابس الربيع إلا أنها مبطنة[8]، كما علمهم تبييض ملابسهم بالملح[9]، وكان أهل الأندلس من أكثر الناس عناية

---

[1] للاطلاع على نص القصيدة؛ انظر: ابن دحية الكلبي، ص(152-153).

[2] المقري، ج3، ص131؛ انظر أيضاً: الصوفي، ص 227؛ العكش، ص221.

[3] حسين، حمدي، ص244.

[4] نفسه.

[5] المقري، ج3، ص127؛ أنظر أيضاً: بيضون، إبراهيم: **الدولة العربية في اسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة(92-422هـ/711-1031م)**، ص262.

[6] المقري، ج3، ص127.

[7] ابن دحية الكلبي، ص147.

[8] المقري، ج3، ص128.

[9] نفسه، ص127.

بنظافة ملابسهم وأناقتها، كما اختلف لباسهم عن لباس المشارقة اختلافاً واضحاً لا سـيَّما فـي الحداد؛ فقد اتخذ الأندلسيون له اللون الأبيض شعاراً، بينما كانت سمة الحداد في الشرق اللبـاس الأزرق[1].

وهكذا لم يخل جانب ما في المجتمع الأندلسي إلا وكان له نصيب كبير من ذوق زرياب وابتكاراته، حتى غدا أحد الرموز الحضارية، بعد أن استطاع ادخـال تغييـر جـوهري علـى المجتمع الأندلسي كله.

ومن الوافدين إلى الأندلس من مصر من المغنين: عبد الواحد بن يزيـد الاسـكندراني، ولزم عيسى بن شهيد[2] حاجب الأمير عبد الرحمن الأوسط، ولكنه توقف عن الغناء بعد فتـرة قصيرة من اقامته امتثالاً لنصح الحاجب المذكور الذي أوصله إلى الأمير عبد الـرحمن فرَّفـع منزلته ونادمه وأنسبه، حتى قلده منصب الوزارة [3] وكان من بين الموسيقيين الذين برعوا فـي الغناء أيضاً على نغمات الآلات الموسيقية المختلفة كالعود والمزمار شرحبيل الزامـر، وكـان مفضلاً لدى الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط[4].

وقد أسهم عدد من أبناء الأندلس في هذا التوجه الموسيقي ومنهم عباس بن فرناس، الذي لم يقف عند حد العلم بالعروض والموسيقى، ونظم الأشعار بل تعدى ذلك إلى المشـاركة فـي العزف والتلحين والغناء، فقد قيل عنه: "إنه كان يحسن علم الموسيقى ويضرب العـود ويغنـي عليه"[5]، وذكر ابن حيان أن ابن فرناس "حذق الموسـيقى وعـانى ضـرب العـود وصـوغ الألحان"[6].

وقد كان الأمير محمد بن عبد الرحمن يجمع من حوله الندماء ويأمر بمراتـب الغنـاء وآلات الصهباء على نغمات البوق والدف والمزمار، وكان في خدمته عدد مـن المهـرة فـي

---

(1) حتاملة، ص1082.

(2) عيسى بن شهيد: مولى بني أمية، قدَّمه الأمير عبد الرحمن على خاصته، وصرف له أعلى مرتب، وولاه خطة الخيل، ومن ثم استوزره، كما ولاه النظر في المظالم، واشتهر بالحلم والوقار، أنظر: ابن حيان، ص26.

(3) ابن حيان، ص30.

(4) نفسه، ص291.

(5) الزبيدي، ص269.

(6) ابن حيان، ص279.

استخدام البوق[1]، ويذكر أن الأمير محمد نفسه كان يجيد استخدام البوق، وكان له بـوق مـن الأبنوس المرصع بالذهب والأحجار الكريمة[2].

ولم يعد الاهتمام بالغناء مقصوراً على الأمراء، بل أخذ أبناؤهم بضم أعداد من المغنين والمغنيات إلى مجالسهم الخاصة، واتخذ الأمير عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط جواري يغنين له في القصر، وكان يحضر جلساته شعراء الأندلس ومنهم سعيد بن جودي الـذي كـان مهتماً بالسماع للشعر المغنى[3]، وكان للأمير المنذر جارية بارعة الحسن اسمها طرب عرفـت بحسن غنائها[4]، وكان لعثمان بن الأمير محمد مجلس يضم شعراء قرطبة وأدباءها، ويجتمع إليه إليه أخوته في تلك الجلسات مع ابرز الشعراء الذين كانوا يتصلون بهم، وكانت لعثمان جاريـة اسمها بزيعة، وكانت في عداد المغنيات البارعات -في زمانها- للأشعار العربية[5]. كما اشتهر في عهد الأمير عبدالله بن محمد جارية حسنة الصوت تسمى جيحان، هام بها الأمير المـذكور قبل توليه الإمارة[6].

ومن الشهيرات في فن الغناء من الجواري -أمهات ولد لأمراء الأنـدلس- غـزلان أم المطرف بن الأمير محمد، وكانت مغنية بديعة[7]، كما كان لمحمد بن الأمير المنذر جارية مغنية مغنية تسمى الأراكة[8].

وممن برع في فن الغناء من أبناء الأمراء الأمويين -ممن كانوا يجيدون الغناء ويحذقون الضرب بالعود أو النفخ بالمزمار-، سعيد الخير بن الحكم الربضي، وكان يميل إلى عقد مجالس الأنس والطرب في قصره، حيث كانت له ستارة شهيرة بقرطبة[9]، بالإضافة إلى عبـدالله بـن الأمير عبد الرحمن الأوسط، وكان يعقد مجالس الطرب في داره المطلة على باب القنطرة مـن

---

(1) سالم، سحر، ص78.

(2) نفسه.

(3) ابن الأبار، **الحلة**، ج1، ص120.

(4) المقري، ج3، ص577؛ انظر أيضاً: سالم، سحر، ص69.

(5) ابن الأبار، **الحلة**، ج1، ص127؛ المقري، ج3، ص577.

(6) سالم، **محاضرات**، ص(286-287).

(7) ابن حزم الأندلسي، **طوق**، ص5.

(8) سالم، **سحر**، ص70.

(9) مصطفى، كمال السيد، **دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة**، ص78.

مدينة قرطبة، حيث كان لا يسمع سوى الغناء والمزمار[1]، وكان الأمير المطرف بـــن الأميـــر محمد مشغوفاً بالسماع، حتى بلغ مبلغاً حسناً من العلم بالموسيقى والضرب بالعود، وكان يتمتع بصوت جميل[2]، وكذلك عُرِفَ عثمان وإبراهيم ولدا محمد بن المطـــرف بـــن الأميـــر محمـــد بمعرفتهما في الغناء والموسيقى[3]، كما برع بالغناء من أبناء القضاة أسلمُ بن أحمد بن ســـعيد، وكان ينتسب إلى بيت جليل، ومع ذلك فقد ألف كتاباً خصصه لأغاني زرياب[4].

---

[1] سالم، سحر، ص70.

[2] ابن الأبار، **الحلة**، ج1، ص128.

[3] نفسه، ص130.

[4] الحميدي، ص245؛ انظر أيضاً: سالم، **قرطبة**، ص82.

الفصل الرابع

العلوم العقلية في الأندلس

- الطب والصيدلة
- الفلك والكيمياء
- التاريخ والجغرافيا
- الفلسفة والمنطق

الفصل الرابع

العلوم العقلية في الأندلس

تعرف العلوم العقلية بالمعارف الحكمية الفلسفية، التي يهتدي الإنسان إلى موضـــوعاتها ومسائلها وبراهينها ووجوه تعليمها بفكره ومداركه البشرية[1]، ولم تشهد الأندلس حتـــى فتـــرات متأخرة من عصر الإمارة الأموية اقبالاً كبيراً على العلوم الطبيعية، فقد ظهرت بوادر الاشتغال فيها في منتصف القرن الثالث الهجري، وذلك في عهد الأمير الخامس من امراء بني أمية وهو محمد بن عبد الرحمن، فقد بدأ في عهده ثلة من العلماء المرموقين في طلب هذه العلـــوم، إلا أن مؤلفاتهم لم يكن لها ظهور واضح إلا في قريب وسط المائة الرابعة من القرن الهجري[2].

الطب والصيدلة

تعتبر صناعة الطب من أشرف الصنائع لأنها تهتم بالإنسان، فهي كما يرى ابن خلدون صناعة من الصناعات التي لا تستدعيها إلا الحضـــارة والتـــرف[3]، ونظـــراً لأن الحضـــارة الإسلامية في الأندلس قد بلغت أوجها، فقد تقدمت فيها هذه الصناعة تقدماً مشهوداً.

وكان الأندلسيون في عصر الإمارة أقل دراية ومعرفة بميدان الطـــب، حيـــث كـــانوا يرجعون في دراستهم لمسائل الطب إلى كتب مترجمة من الكتب القديمة، وفي مقـــدمتها كتـــاب يقال له: الأبريشم، ومعناه المجموع أو الجامع، ويرجح أنه كتاب الفصول[4] لابقراط[5].

وتمتع الأطباء آنذاك بمكانة كبيرة داخل قصور الأمراء لأن مهمتهم كانت خطيرة تتعلق بحياة الأمراء وسلامتهم، ولهذا فقد كانت المهارة والأمانة أهم الصفات التي يراها الحكـــام فـــي أطبائهم[6].

---

[1] ابن خلدون، تاريخ، ج1، ص549.

[2] صاعد الطليطلي، ص64.

[3] ابن خلدون، **تاريخ**، ج1، ص651.

[4] ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، مقدمة المحقق، ص(ي)؛ صاعد الطليطلي، ص78؛ انظر أيضاً: البشري، ص59؛ حتاملة، ص1057؛ أبو الفضل، محمد، **دراسات في تاريخ وحضارة الأندلس**، ص360.

[5] ابن جلجل، مقدمة المحقق، ص(ي).

[6] البشري، ص60.

ومن كتب الصيدلة التي دخلت الأندلس من المشرق في هذا العصر واستفاد العلماء منها؛ كتاب الحشائش لديسقوريدس Dioscorides(ت. 90م)[1] بترجمة اصطفن بن باسيل وإصلاح حنين بن اسحاق[2](ت. 260هـ/873م)[3]، ويذكر ابن جلجل في كتابه: تفسير أسماء الأدوية المفردة أن الحشائش في أصله اليوناني دخل الأندلس وكان معروفاً، وذلك أن هذا الكتاب تُرجم إلى العربية في بغداد في عهد الخليفة العباسي المتوكل(232-247هـ/847-861م)، غير أن المترجم اصطفن لم يترجم إلى العربية سوى جزء من أسماء الأدوية، ولهذا ظلت أسماء باقي النباتات على صورتها اليونانية بحروف عربية لأنه لم يعرف ما يقابلها في العربية، إلا أن الأندلسيين لم يتوقفوا عند حدود ما أخذوه عن اليونان من العلوم الطبية، بل نظموه ودرسوه دراسة منهجية وأضافوا إليه ملاحظاتهم، كما وصفوا الكثير من الأمراض التي لم يعرفها اليونانيون[4].

ووصف صاعد الطليطلي(ت. 462هـ/1070م)[5] بداية اشتغال الأندلسيين بالطب بأنه لم يكن في الأندلس من استوعبها ولا لحق بالمتقدمين فيها، وإنما كانت غاية اكثرهم دراسة بعض فروعه وشيء من وجوه الطب والتداوي، وذلك رغبة منهم باللحاق بخدمة الحكام من اجل الجاه والمنزلة، وبالتالي فإن هؤلاء الأطباء بمنهجهم هذا قد تخلوا عن دراسة الطب دراسة العلم والمعرفة إلى دراسته من أجل المصلحة والمنفعة المادية، وهذا بلا شك كفيل بأن يحد من تعمقهم في دراسة الطب دراسة صحيحة، ليكون علمهم يقتصر على بعض أساليب التداوي التي يرونها ضرورية في علاج من يقومون على خدمتهم من الامراء والحكام ووصف الأغذية المفيدة لهم[6].

---

[1] ديسقوريدس: طبيب ونباتي مشهور، ولد في عين زربة، وكان قد درس الطب في الإسكندرية، وصنف أربعة وعشرين كتاباً في تاريخ النبات، انظر: البستاني، ج8، ص211.

[2] حنين بن إسحاق: طبيب، مؤرخ، رحل إلى بغداد فأخذ الطب عن يوحنا بن ماسويه(ت. 243هـ/857م) وغيره، واتقن عدة لغات لينتهي به الأمر إلى رياسة العلم بين المترجمين في بغداد، انظر: الزركلي، ج2، ص287.

[3] أبو الفضل، **دراسات**، ص360؛ فروخ، ص294.

[4] ابن جلجل، ص22؛ انظر أيضاً: أبو الفضل، **دراسات**، ص361؛ ذياب، ص46.

[5] صاعد الطليطلي: هو صاعد بن عبد الرحمن الأندلسي، مؤرخ، يعود أصله إلى قرطبة، ولي القضاء في طليطلة، له العديد من المؤلفات في مختلف الميادين العلمية، انظر: الزركلي، ج3، ص186.

[6] صاعد الطليطلي، ص78؛ انظر أيضاً: البشري، ص60.

ومن أقدم الأطباء الذين دخلوا إلى بلاد الأندلس، الطبيب أبو إبراهيم المذحجي الذي دخل الأندلس مع بداية من دخلوا مع طارق بن زياد وموسى بن نصير، فكان أول من نشـــر العلـــوم الطبية في الأندلس، ومن المحتمل أنه مارس الطب بأفكار وأساليب جديدة لـــم تكـــن معروفـــة آنذاك[1].

وفي عهد الأمير عبد الرحمن الاوسط برع الطبيب عبد الملك بن حبيب السلمي، فكـــان من اوائل الأطباء الذين ظهروا في إمارة قرطبة، وكان له كتاب مختصر في الطب، مما يـــدل على أن العلم قد تجاوز مرحلة المعرفة إلى مرحلة التدوين الطبي، حتى يتمكن الناس من الإفادة من هذه المعرفة [2]، وكذلك ظهر الطبيب أحمد بن إياس القرطبي الذي اشتهر في الطب في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط، وكان قد برع في علم الأدوية حتى ضبط منها مـــا لـــم يضبطه أحد في عصره، وألف فيها كتاباً لم يكن له نظير جمع فيه ما تضمنه كتاب ديسقوريس وكتاب جالينوس Galenus(ت. 200م) [3] ورتبه أحسن ترتيب[4].

ودخلت الأندلس في منتصف القرن الثالث الهجري/التاسع المـــيلادي أولـــى التـــأثيرات التقنية والعلمية من المشرق عن طريق الطبيب يونس الحراني الذي وفد إلى الأندلس في عهـــد الأمير عبد الرحمن الأوسط واستقر فيها[5].

وقد أشار ابن جلجل إلى أن الحراني أدخل معه إلى الأندلس دواءً كان يبيع السقية منـــه بخمسين ديناراً لعلاج الأوجاع الباطنية وما يتعلق بذلك، وكان ذلك سبباً في تهافت الناس عليه، ونتيجة لذلك تحسنت أحواله مما عاد عليه الكثير من الأرباح بسبب عمله، وقد اجتمع عليه عدد

---

(1) حتاملة، ص1057.

(2) عبد الملك السلمي: **كتاب طب العرب**، مقدمة المحقق، ص16؛ انظر أيضاً: جرار، صلاح، **دراسات في التفاعل الحضاري والثقافي في الأندلس**، ص157؛ حتاملة، ص1064.

(3) جالينوس: طبيب وفيلسوف يوناني، ويعتبر من أعظم الاطباء في العصور القديمة، أتم دراسته في بلاد اليونان، وعمل جراحاً، وينسب إليه خمسمائة مؤلف أغلبها في الطب والفلسفة، انظر: البستاني، ج4، ص597.

(4) صاعد الطليطلي، ص78؛ انظر أيضاً: دويدار، ص443؛ سالم، السيد، **في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس**، ص284؛ شلبي، موسوعة، ج4، ص85.

(5) ابن جلجل، ص94؛ صاعد الطليطلي، ص78؛ القفطي، **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، ص258؛ ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**،ج2، ص42؛ انظر أيضاً: بالنثيا، ص461؛ حتاملة، ص1058؛ سالم، السيد، **بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار**، ص454.

من الأطباء، واشتروا شيئاً من هذا الدواء، وفحص كل منهم جزءاً منه فوقفوا على أهميته ونفاسته، وسألوا الحراني عن تركيبته وإعداده فاعلمهم بسر ذلك، مما كان له أثر في انتشاره وتفشي طريقة تركيبته وإعداده بين أطباء ذلك العصر[1].

كما يُذكر أن خادم الأمير عبد الرحمن الأوسط نصر الخصي[2] استعان بالطبيب الحراني من أجل قتل الأمير بإيعاز من زوجته طروب وذلك بسبب رفضه تولية ابنها عبدالله ولاية العهد بدلاً من محمد، فأرسلت نصراً إلى الطبيب الحراني وطلب منه أن يصنع سماً بهدف قتل الأمير، فصنع له الحراني الشراب فجاء به إلى الأمير وقدمه له إلا أن الأمير رفض شربه وأشار على نصر أن يشربه أولاً فتردد ثم أكرهه على شربه فشربه، ونتيجة لذلك ذهب نصر إلى الحراني ليسأله عن دواء يمنع مفعول السم، فأشار عليه بلبن الماعز، ولكن السم كان أسرع مفعولاً، فمات نصر قبل أن يحصل على اللبن[3].

ومن الأطباء الذين برعوا في هذه الصنعة، حمدين بن أبان، في أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط[4]، وقد عرف عنه بمهارته في تركيب الأدوية وبراعته بالعلاج[5].

ولقد شارك في هذه المهنة كثير من الأطباء النصارى، مثل الطبيب جواد النصراني الذي برع في تركيب الأدوية وصنع العقاقير والوصفات الطبية النباتية[6].

وممن برع في الطب أيضاً الطبيب خالد بن يزيد النصراني، الذي كانت داره معروفة بدار ابن الشطجيرى الشاعر، وقد صنع بيديه العديد من الأدوية، ونفع الكثير بأدويته، وكسب مبالغ طائلة مقابل هذه الأدوية[7]، وكانت تربطه بالطبيب المصري النصراني نسطاس بن

---

(1) ابن جلجل، ص94.

(2) نصر الخصي: هو خادم الأمير عبد الرحمن الأوسط المقدم على جميع خاصته، وكان المشارك الأكبر في تصريفه ملكه، وعمل في خدمة طروب زوجة الأمير وأم ولده عبد الله، انظر: ابن حيان، ص8.

(3) ابن حيان، ص(9–11).

(4) ابن جلجل، ص93؛ انظر أيضاً: بالنثيا، ص461.

(5) ابن جلجل، ص93.

(6) نفسه؛ انظر أيضاً: بالنثيا، ص462.

(7) ابن أبي اصيبعة، ج2، ص41.

جريج[1] علاقة صداقة وود، ومراسلات علمية أيضاً، حيث أرسل الأخير إلى خالد رسالة طبية في البول وتشخيصه تبعاً لحالة المريض[2]، وكذلك الطبيب ابن ملوكة النصراني الذي عاش في أواخر دولة الأمير عبد الله بن محمد وأول دولة الأمير عبد الرحمن الناصـــر، وكـــان يصـــنع الأدوية ويقوم بتفصيد العروق، وكان على باب داره ثلاثون كرسياً لجلوس المرضى وانتظـــار أدوارهم لتلقي العلاج[3].

بالإضافة إلى الطبيب إسحاق النصراني الذي عمل لدى الأمير عبد الله بن محمد ولحق عهد الأمير عبد الرحمن الناصر الذي عرف عهده بتتابع الخيرات ودخول الكتب الطبيـــة مـــن المشرق وظهر في عهده أطباء مشهورين[4]، وعرفت الأندلس ابناً لإسحاق النصـــراني يـــدعى يحيى، وكان أحد وزراء الأمير عبد الرحمن الناصر قبل إعلانه الخلافة[5]، وعمل على تـــأليف كتاب في الطب يشتمل على عدد من الأسفار وسماه الأبريشم[6].

ومن هؤلاء الأطباء أيضاً عمران بن أبي عمر(ت. 320هــ/932م) الذي كان مســـكنه بشَبْلارِ، وقد عمل في خدمة الأمير عبد الرحمن الناصر، وله تأليف أسماه حـــب الأنيســـون[7]، بالإضافة إلى مؤلفات ورسائل طبية أخرى[8].

وهذا بلا شك يدل على مدى التأثير المشرقي في الأندلس في تلك الفتـــرة، وكيـــف أن الأندلسيين كانوا كثيري الاهتمام بكل ما يصلهم من تأثيرات علمية فيدرسونها ويضيفون إليهـــا،

---

(1) نسطاس بن جريج: طبيب نصراني، كان يعيش في الدولة الأخشيدية، ولنسطاس من الكتبٌ "كناش"، ورسالة إلى خالد بن يزيد بن رومان النصراني الأندلسي في البول، انظر: ابن أبي أصيبعة، ج2، ص85.

(2) ابن جلجل، ص 96؛ انظر أيضاً: حتاملة، ص1066.

(3) ابن أبي أصيبعة، ج2، ص41؛ انظر أيضاً: عيسى، محمد، ص328.

(4) ابن جلجل، ص97.

(5) صاعد الطليطلي، ص78؛ القفطي، **إخبار**، ص235؛ انظر أيضاً: دويدار، ص443؛ سالم، **في تاريخ**، ص284.

(6) ابن أبي أصيبعة، ج2، ص43.

(7) حب الأنيسون: آنسُون أو يانسون، نبات حولي من فصيلة الخيميات، وهي زهره صغيرة بيضاء، وثمره حبٌّ جاف طيب الرائحة، يحتوي على زيت عطري طيار، ويستعمل في أغراض طبية، انظر: عمر، أحمد، **معجم اللغة العربية المعاصر**، ص134؛ مسعود، ص148.

(8) ابن جلجل، ص98؛ الصفدي، ج23، ص57.

ولم يلبثوا حتى ابتكروا اساليب جديدة للعلاج أسهموا بها في نمو الدراسات الطبية، وبذلك كانوا أهل عطاء وبذل في ميدان الحضارة الإنسانية.

علم الكيمياء والفلك

اهتم العرب بعلم الفلك أو ما كان يسمى بعلم الهيئة أو علم النجوم، لأنهم وجدوا فيه معنى دينياً عميقاً يوصل إلى برهان الله وإلى معرفة عظمته القادرة وحكمته السامية وقوته الكبرى وكمال خلقه، بالإضافة إلى ضرورات الدين التي تتطلب الرصد الدائم للسماء، ومراقبة الأهلة لتحديد شهر الصيام والأعياد ومواعيد الشروق والغروب، وتحديد اتجاه القبلة، ولم يبدأ العرب في هذا العلم من الصفر بل اطلعوا على تراث الهند واليونان، ونقلوا عنهم مؤلفاتهم في هذا المجال، ولم يقفوا عند حد الأخذ من تراث غيرهم من العلوم بل أضافوا ملاحظاتهم، وكان لهم أرصادهم الفلكية الخاصة التي صححت الكثير من أخطاء تلك الأمم[(1)].

والواقع أن علوم الفلك والهندسة والرياضيات هي علوم متصلة بعضها ببعض ويخدم أحدها الأخر، وما أظهره العرب المسلمون من اهتمام بعلم النجوم أدى بالضرورة إلى دراستهم للعلوم الرياضية، وهذا يفسر نبوغ الكثيرين من الذين اهتموا بعلم الفلك وبالرياضيات أيضاً، أضف إلى هذا أن كثيراً من علماء الأندلس كانوا ينبغون في عدة علوم ولا يقتصرون على علم واحد، حيث لم يكن في ذلك الوقت تخصص واحد لكل عالم، بل إن كثيراً منهم اشتغلوا في النجوم والفلك وبرعوا في الرياضيات أو العكس[(2)].

ويبدو أن الأندلس كانت على اطلاع مباشر لما يحصل في المشرق من تطورات في دراسة علم الفلك، فقد أشار صاعد إلى رواج هذا العلم والاهتمام به في الأندلس؛ بقوله: "وأما صناعة أحكام النجوم فلم تزل نافقة بالأندلس قديماً وحديثاً واشتهر بتقليدها جماعة في كل عصر إلى عصرنا هذا"[(3)] ويبدو أن هذا الاهتمام بهذه العلوم كان في وقت مبكر، ويتضح ذلك أيضاً

---

(1) أبو الفضل، محمد، **أضواء على النشاط العلمي في الأندلس**، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، بحوث الأندلس (الدرس والتاريخ)، ص(434–435)؛ ذنون طه، عبد الواحد، **دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها**، ص(43–44)؛ ذياب، ص45.

(2) ذنون طه، **دراسات في حضارة**، ص(44–45).

(3) صاعد الطيطلي، ص64.

من خلال قيام الأمير عبد الرحمن الأوسط بإرسال عباس بن ناصح إلى العراق من أجل الحصول على الكتب القديمة، وبالتالي فهو أول من أدخلها إلى الأندلس وعرَّف أهلها بها، وقد استمرت هذه الحركة العلمية وادخال الكتب القيمة إلى الأندلس إلى عهد خامس أمراء بني أمية الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط[1].

وقد أدى وصول مثل هذه المؤلفات من المشرق إلى توفير المناخ الملائم للعلماء الأندلسيين للدراسة والاستزادة في مجال علوم الفلك، مما أدى إلى ظهور مدارس فلكية مشهورة كان لها الفضل في تأليف كتب قيمة في هذا المجال لا تقل أهمية عن أثار العرب والمسلمين في المشرق، إلا أن الكثير من هذه المؤلفات ضاعت نتيجة لإبادة جميع المخطوطات من قبل النصارى الإسبان بعد انتهاء الوجود السياسي للعرب في الأندلس إثر سقوط غرناطة عام 897هـ/1492م، ولم يسلم منها إلا الشيء القليل الذي ترجم إلى العبرية واللاتينية، فأمكن الاستدلال منه على ما احتوته من معلومات وما توصل إليه الأندلسيون في هذا المجال[2].

ومن علماء الأندلس في هذا المجال عباس بن فرناس، إذ كان من أعلام الأمير الحكم الربضي، وقد نشأ في قرطبة ودرس فيها، وقد عرف أولاً ببراعته في الحكمة والشعر والأدب ومن ثم برع في ميدان العلوم البحتة، حيث أظهر فيها براعته المدهشة بعد أن انكب على معالجة البحوث الطبيعية والكيمائية والفلكية[3]، وأكبر مخترعاته محاولته الطيران، إذ قضى أوقاتاً طويلة وهو يدرس تركيب جسم الطير وكيفية طيرانه في الهواء، ثم قام بكساء نفسه بالريش وصنع لنفسه جناحين ليطير بهما، وقفز بذلك الرداء من أعلى تلة قرب مدينة بلنسية[4] وقيل أنه طار في ناحية "الرصافة" في قرطبة بالقرب من جبل العروس[5]، وطار بضعة أمتار ثم اختل

---

(1) ابن سعيد المغربي، ج1، ص45؛ انظر أيضاً: ذنون طه، **دراسات في حضارة**، ص(47-48).

(2) ذنون طه، **دراسات في حضارة**، ص48؛ لوبون، غوستاف، **حضارة العرب**، ص(461-462).

(3) الحجي، ص286؛ حسين، حمدي، ص251؛ جمال الدين، محسن، ***عباس بن فرناس أول رائد أندلسي للطيران (274هـ/887م)***، جامعة بغداد، كلية الآداب، **مجلة المورد**، مج6، ع4، ص94.

(4) رمضان، عبد المحسن، **تاريخ المغرب والاندلس، من الفتح حتى سقوط غرناطة**، ص24؛ مؤنس، معالم، ص(334-335).

(5) ابن سعيد المغربي، ج1، ص333؛ المقري، ج3، ص374؛ انظر أيضاً: العامري، محمد، **دراسات حضارية في التاريخ الأندلسي**، ص63.

توازنه وسقط، ويرجع سبب سقوطه إلى أنه لم يفطن لأهمية الذيل في طيران الطائر، وكان من أثار سقوطه أن انكسرت إحدى فقرات ظهره السفلى فلازم الفراش شهوراً طويلة[1]

وقد ظلت محاولة عباس الطيران عالقة بأذهان أهل بلنسية زمناً طويلاً، فتحولت محاولته إلى أسطورة، بل إن شخصيته لا تزال إلى يومنا هذا رمزاً للفن والابتكار في نــواحي بلنســية، وباسم التلة التي حاول الإقلاع منها يُصدر أدباء بلنسية اليوم مجلة للشعر[2].

أضف إلى هذا أَنْ صنع عباس في إحدى حجرات داره هيكلاً للأجرام السماوية، وكــان الناظر إليه يستطيع أن يرى النجوم والغيوم والبروق والرعود[3]

كما برع عباس في ميدان الكيمياء، وانتهت تجاربه في هذا الميدان إلى تطوير صــناعة الزجاج من الرمال والحجارة الذي يدعى(quarts) الذي عرفه الساسانيون والروم[4]، كما عمل عمل على تحويل المعادن إلى ذهب عن طريق الصهر فترات طويلة[5]، واخترع شيئاً شبيهاً بقلم بقلم الحبر لتوفير الجهد الكبير من حمل الأقلام والمحابر[6]، زد على هذا صناعته آلــة تعــرف بالميقاته لمعرفة الوقت، وهي تعتمد على الظل لقياس الزمن[7].

والميقاتة تدل أيضاً على الجهات وتحديد أوقات الصلاة، إذ تروى كتب الأدب أن عباس قدمها هدية إلى الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط منقوشاً عليها هذه الأبيات(البحر الطويل):

إلا أننـــــي لـــــدين خيـــــرُ أداة ... إذا غاب عـنكم وقــتُ كــلّ صــلاة
ولم تُرَ شــمسٌ بالنهــار ولــم تُنِــرْ ... كواكـــبُ ليـــلٍ حالـــك الظلمـــات

---

[1] المقري، ج3، ص374؛ انظر أيضاً: شبانة، ص67؛ عنان، ج1، ص252.

[2] رمضان، ص248.

[3] المقري، ج3، ص374؛ انظر أيضاً: شبانة، ص67؛ الديوه جي، سعيد، ***الفكر العلمي في شخص العباس بن فرناس(حكيم الأندلس)***، **مجلة اللسان العربي**، ص284؛ هجوان، أحمد، ***حكيم الأندلس رائد الفضاء الأول المخترع (عباس بن فرناس)***، **مجلة الإعجاز العلمي**، ع23، ص31؛ جرار، عباس، ص85.

[4] ابن سعيد المغربي، ج1، ص333؛ المقري، ج3، ص374؛ انظر أيضاً: الحجي، ص286؛ الفلاحي، حامد، **التاريخ الأندلسي الميسر من الفتح إلى سقوط غرناطة**، ج1، ص89.

[5] مؤنس، **معالم**، ص334.

[6] نفسه.

[7] المقري، ج3، ص374؛ انظر أيضاً: الفلاحي، ج1، ص89.

بيُمْن أمــير المسلمـــــين محمــــدٍ تجلّت عن الأوقــات كــلُّ صـــلاة[1]

ثم غدت هذه الميقاتة في بعض المصادر العربية نموذجاً للساعات المائية التي صنعت في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي[2].

كما راقب ابن فرناس النجوم والكواكب في أفلاكها ومداراتها، و صنع الآلة المعروفة بذات الحلق لتساعد على الرصد[3]، وكان قد رفعها إلى الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط مرفقة بهذه الأبيات حول وظيفتها وفائدتها:

قــد تــمّ مــا حمّلتنـــي مـــن آلـــةٍ	**أعيـــا الفلاســـفة الجهابـــذَ دونـــي**
لــو كــان بطلميــوس ألهــم صــنعةً	**لـــم يتَّقِـــلْ بجـــداول القـــانون**
فـــإذا رأتـــه الشـــمسُ فـــي آفاقهـــا	**بعثـــت إليـــه بنورهـــا المـــوزون**
ومنازل القمــر التــي حجبــت معــاً	**دون العيـــون بكـــلّ طـــالع حـــينِ**
يبـــدون فيهـــا بالنهـــار كمـــا بـــدت	**بالليـــل فـــي ظلمـــاتهن الجنـــون[4]**

وعلى الرغم من استحسان المؤسسة الرسمية في الأندلس لاختراعات وأعمال ابن فرناس؛ فإن المؤسسة الدينية لم تتقبّل ذلك، وكانت الفكرة السائدة في ذلك الوقت أن الذين يشتغلون بهذه العلوم هم في الحقيقة سحرة أو كهان فكان نصيبهم القتل أو الإحراق جزاء سحرهم وكهانتهم، فاتهم عباس بن فرناس بالزندقة والكفر بسبب بحوثه واختراعاته العلمية الفريدة، كما أدت محاولته الطيران إلى اعتقاد الناس أن هذا الرجل يتمتع بقوى شيطانية خارقة[5]، حتى إنه اعتقل وقدم للمحاكمة أمام قاضي الجماعة بقرطبة سليمان بن أسود الغافقي[6] الغافقي[6] وعقدت المحاكمة في المسجد الجامع بقرطبة، وكان هناك حشد من العامة للشهود

---

(1) ابن حيان، ص(282–283)؛ انظر أيضاً: الرفاعي، أنور، **الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والفنية**، ص670؛ الجبوري، إسراء، ***عباس بن فرناس، مبدع الأندلس***، جامعة الأنبار، كلية الآداب، **مجلة جامعة الأنبار للعلوم الأنسانية**، مج3، ص224؛ الديوه جي، ص284.

(2) هجوان، ص30.

(3) الديوه جي، ص(283–284)؛ الجبوري، ص224.

(4) الرفاعي، ص670.

(5) حسين، حمدي، ص(253–254)؛ شبانة، ص(66–67).

(6) سليمان بن أسود الغافقي: كان رجلاً متقشفاً صالحاً، قلده الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط القضاء في قرطبة، انظر: النباهي، ص56.

عليه، وسمع القاضي شهادة الناس ولكن القاضي كان واسع التفكير فلم يجد ما يؤخذ على الرجل وبرأه من هذه التهمة[1].

وعاش في هذه الفترة العالم مسلم بن أحمد بن أبي عبيدة الليثي(ت. 304هـ/916م) الذي عرف باهتمامه بحركات الكواكب وأحكامها ودراساته في تعيين القبلة[2]، ونادى ببعض المفاهيم الفلكية الصحيحة مثل كروية الأرض ودورانها في فلك، واختلاف الموقع من الكرة الأرضية، واختلاف الفصول حسب المناخ[3]، وكان لشيوع مثل هذه المفاهيم أثر في معارضة بعض المعاصرين له وعدم الاعتقاد بها ومنهم أحمد بن محمد بن عبدربه الذي قال عدداً من الأبيات الشعرية في أبي عبيدة مستنكراً آراءه الفلكية، ومن هذه الأبيات:

أبا عُبَيْدَةَ ما المَسؤولُ عن خَبَرٍ تَحكيهِ إلاَّ سَواءٌ للذي سَأَلا
أبَيْتَ إلاَّ شُذُوذاً عن جماعتِنا ولم تُصبْ رأيَ مَن أرْجَى ولا اعتَزَلا
كذلكَ القِبلَةُ الأُولى مُبدَّلَةٌ وقد أبَيْتَ فما تَبْغي بِها بَدَلا[4]

ومن هؤلاء أيضاً يحيى بن يحيى المعروف بابن سمينة من أهل قرطبة، إذ كان بصيراً بحساب النجوم والطب وغير ذلك من العلوم[5].

وقد فرق علماء المسلمين بين التنجيم والفلك، فنادى معظمهم بعدم تأثير الكواكب والنجوم على مستقبل الإنسان، ونفوا ان يكون لها دخل في النحس أو السعد، وكان لهذه العلوم أثر متفاوت لدى الناس، فمنهم من رأى أن عمل النجوم طلاسم وسحر لا يجوز، ومنهم من شجع على هذا العلم.

وقيل ان الأمير هشام بن عبد الرحمن قام باستدعاء المنجم عبد الواحد بن اسحاق الضبي من أهل الجزيرة الخضراء، الذي برع في علم النجوم والفلك، وعلى الرغم من عدم اعتقاد

---

(1) حسين، حمدي، ص(253-254).
(2) ابن الفرضي،ج2، ص161؛ المقري، ج3، ص375؛ انظر أيضاً: حتاملة، ص1085؛ سالم، في تاريخ، ص288؛ علي، محمد كرد، **غابر الأندلس وحاضرها**، ص52.
(3) صاعد الطليطلي، ص64؛ انظر أيضاً: دويدار، ص449؛ ذنون طه، **دراسات في حضارة**، ص56.
(4) ابن الفرضي، ج2، ص(161-162).
(5) المقري، ج3، ص375؛ انظر أيضاً: العكش، ص209.

الأمير بالتنجيم، فإنه كان يحب أن يسمع ما يقوله الضبي في هذه العلوم، ويذكر أن الأمير هشام الرضا طلب من الضبي أن ينظر في أمره من خلال علم التنجيم، فأخبره أنه سيحكم ثمانية أعوام، فقيل أن الأمير هشام الرضا مال إلى الزهد بعد أن سمع بذلك[1]، ويذكر أنه أول منجم يضع عملاً مكتوباً، إذ ألف أرجوزة تنجيمية لم يبق منها إلا تسعة وثلاثون بيتاً تستند فيها التنبؤات التنجيمية إلى نظام الصلب اللاتيني المتأخر[2].

ومن علماء هذا العصر عبد الله بن الشمر الذي درس علم الفلك والهيئة وكان شاعراً لدى الأمير عبد الرحمن الأوسط، وكان يتلقى راتباً على شعره وراتباً آخر على التنجيم لكونه رئيس المنجمين لعهده، وكان ابن الشمر نموذجاً ورمزاً لاهتمام الأندلسيين بعلم الفلك والتنجيم في القرن الثالث الهجري منذ بدايته، وما يتصل بهما من الرياضيات، كما اهتموا –أيضاً– بدراسة علم الكيمياء[3].

كما برع عدد من الأندلسيين في الحساب لحاجتهم له في أعمالهم التجارية، حيث ازدهرت التجارة في بلادهم، وكانت لهم صلات مع أنحاء العالم المعروف آنذاك، وعرف منهم الأمير محمد بن عبد الرحمن الذي برع في الرياضيات، وخاصة في ميدان الحساب، وكان لذكائه في ذلك أن قام بنفسه بمحاسبة أهل خدمته وتعقب أمورهم المالية، كما دلهم على مواضع الخطأ والزلل في أعمالهم من خلال معرفته وتفوقه في الحساب[4].

وممن تفوق بهذه العلوم في تلك الفترة أبو اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني(ت. 298هـ/910م) وهو من أهل بغداد، وفد إلى القيروان وسكن فيها وعرف بالرياضي، وقد أخذ العلم ببغداد عن جلة من العلماء والمحدثين والفقهاء والنحويين، وقد لقي الجاحظ والبحتري، وقيل: إنه أدخل إلى أفريقية رسائل المحدثين وأشعارهم وطرائف أخبارهم، وقد قدم على الأمير محمد بن عبد الرحمن الذي قام بدوره بإكرامه بمبلغ ألف دينار لتشجيعه على العلم[5].

---

[1] المقري، ج1، ص335.

[2] سامسو، خوليو، العلوم الدقيقة في الأندلس؛ انظر: الجيوسي، سلمى، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، ج2، ص1321.

[3] ابن الفرضي، ج1، ص319.

[4] مجهول، **أخبار**، ص126.

[5] المقري، ج3، ص134.

التاريخ والجغرافيا

لقد تأخر الاشتغال بهذين العلمين عما سواهما من العلوم الأخرى، ومع ذلك برز عدد من المشتغلين بهما، فأسهموا في دفع الحركة العلمية بما جادت به مواهبهم ومعارفهم، وفي هذا الميدان تصدر علماً التاريخ والجغرافيا تلك العلوم، وقد اتجه الأندلسيون إلى هذه الناحية، رغبة في تخليد تاريخ وطنهم والحفاظ على تراثه.

ولم يكن ظهور علم التاريخ في الأندلس منفصلاً عن جذوره التي نشأ فيها وتطور عنها في المشرق، مع أن هذا العلم قد نشأ مرتبطاً بالحديث، نتيجة لحرص العلماء على صحة الأحاديث ومعرفة صحيحها من سقيمها، فقد دفعهم هذا إلى الاهتمام بتراجم الرواة، ومعرفة سيرهم، وهذا بلا شك قادهم إلى ميدان التاريخ والتراجم.

وكان علما التاريخ والجغرافيا –في هذه الفترة– مرتبطين ببعضهما، فكل مؤرخ أندلسي كان جغرافياً، أو بدأ بمقدمة جغرافية، وذلك بسبب ولعهم الشديد بالرحلة والتنقل والأسفار، فسجلوا مشاهداتهم في وصفها من نواحٍ شتى.

وكانت الكتابة في التاريخ بالأندلس قد اخذت اتجاهين: أولهما كتابة تاريخ الأندلس في فترة معينة أو تاريخ ما، ثانيهما كتابات التاريخ العام عن شتى نواحي الأندلس وبلاده، أو تاريخ الأدب والأدباء والفقهاء، ومن الصعب الإلمام بكل المؤرخين الأندلسيين، أو من كتبوا كتباً تاريخية، كما أنه أكثر صعوبة الإحاطة بكل المؤلفات ذات الصبغة التاريخية[1].

وقد اعتمدت طريقة التأليف في كتب التاريخ على النقل الشفهي وروايته في الأندلس، كما اعتمدت طريقة التأليف في كتب التاريخ على نقل الكتب، وخاصة كتب رجال المشرق مثل كتاب تاريخ الخلفاء للمدائني(ت. 255هـ/869م)[2] وتاريخ الأمم والملوك للطبري(ت. 310هـ/923م)[3].

---

[1] عيسى، محمد، ص 338.

[2] المدائني: أبو الحسن علي بن محمد، ولد سنة 132هـ/749م وسمع من قرة بن خالد(ت. 154هـ/771م) وعوانه بن الحكم(ت. 147هـ764م)، وحدث عنه خليفة بن خياط(ت. 240هـ/854م) والكثير، وكان عالماً بالشعر، وله العديد من المصنفات منها "خطب النبيﷺ" و"كتاب أخبار قريش"، انظر: الذهبي، **سير**، ج10، ص(400–402).

[3] ذياب، ص40.

وفي عصر الإمارة نرى الفقيه عبد الملك بن حبيب على علم ومعرفة بكتابة التـــاريخ، وهو أول من كتب تاريخ بلاده[1]، وقد رحل إلى المشرق ودرس الحديث والفقه على مذهب مالك مما أكسبه معرفة في فهم التاريخ ودراسته[2]، حيث عمد إلى تصنيف كتاب في التاريخ مشـــابه لكتاب الطبري[3]، وقد تناول كتابه في البداية الحديث عن تاريخ العالم من بدء الخليقة ومن ثـــم تاريخ أدم، ومن بعده الأنبياء والرسل حتى النبي محمدﷺ، ثم الخلفاء حتى وصـــل إلـــى فـــتح الأندلس، فذكر ما فيها من الكنوز، ثم عرّج على الأساطير المختلفة عن الجان وأحوالهم وغيـــر ذلك[4]، وقيل: إن من أكمل هذا الكتاب من بعد عبـــد الملـــك تلميـــذه ابـــن أبـــي الرقـــاع(ت. 223هـ/837م)[5].

ومما يذكر أن عبد الملك استعان في تأليف كتابه هذا ببعض شيوخه المصريين[6]، مثل: الليث بن سعد وعبد الله بن وهب[7] ولذلك نجده يتبع منهج المحدثين من حيث ســـند الخبـــر أو الرواية[8]، وقد تطرق في كتابه أيضاً إلى شيء من الجغرافية[9]، إلا إن كتابه هذا تســـلل إليـــه الكثير من الحكايات الخيالية والأساطير[10].

ويرجع سبب كثرة الأساطير والحكايات الخيالية في كتابه إلى أن الأندلسيين الذين درسوا على يد المشارقة كانوا يأخذون بأقوال أساتذتهم، لأن شيوخ المشـــارقة كـــانوا ينظـــرون إلـــى الأندلسيين باحتقار عظيم، ويرون أنهم جهلاء[11]، علماً بأن المشارقة كانوا لا يعلمون شيئاً عن

---

(1) ابن الفرضي، ج1، ص360؛ المقري، ج2، ص6؛ انظر أيضاً: ذنون طه، **نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس**، ص11؛ فروخ، ص587.

(2) الحميدي، ص(407-408)؛ ابن عياض، **ترتيب**، ج4، ص123؛ انظر أيضاً: بني ياسين، يوسف، **علم التاريخ في الأندلس(حتى نهاية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي)**، ص(101-102).

(3) عيسى، محمد، ص338.

(4) عبد الملك السلمي، ص(20، 143)؛ انظر أيضاً: ذنون طه، **دراسات في التاريخ الأندلسي**، ص92.

(5) ذنون طه، **نشأة**، ص10.

(6) بني ياسين، ص128؛ ذنون طه، **نشأة**، ص14.

(7) عبد الله بن وهب: طلب العلم وعمره سبع عشرة سنة، ودرس الحديث على أيدي عدد من شيوخ عصره، وكان له العديد من المؤلفات منها؛ كتاب الجامع والبيعة، انظر: الذهبي، **سير**، ج9، ص(225،223).

(8) ذنون طه، نشأة، ص13.

(9) مؤنس، **معالم**، ص27.

(10) بني ياسين، ص137.

(11) بالنثيا، ص196.

افتتاح الأندلس، فكانوا حريصين مع ذلك على أن يظهروا بمظهر العارف عن كل شيء عليهم، ولهذا فقد كانوا يتعمدون أن يقصوا على طلبتهم- إذا سألوهم عن أمر الأندلس- أقاصيص مصرية، ويصفون الأندلس على أنه بلد وجد في بحر الظلمات تسكنه الجن وتقوم فيه القلاع المسحورة والأصنام التي تتحرك من تلقاء نفسها، وتعيش فيه الشياطين في قماقم حبسها سليمان عليه السلام[1]، حيث نجد هذه الأساطير فيما يقصه ابن عبد الحكم المصري(ت. 257هـ/871م)[2] من الروايات التي تحدث عنها في كتبه حول فتح مصر والمغرب والأندلس[3].

ومن المحاولات الرائدة في تدوين التاريخ في الأندلس، ما قام به أحد أحفاد موسى بن نصير، المدعو معارك بن مروان، ويشير الحميدي في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي إلى أن معارك ألف كتاباً في تاريخ الأندلس تناول فيه دور موسى بن نصير في فتحها، وهذا الكتاب مفقود في الوقت الحاضر[4]، وقيل إن القسم الطويل الذي يدور حول حياة موسى بن نصير من كتاب الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة الدينوري(ت. 276هـ/889م)[5]، إنّما هو مأخوذ من كتاب معارك بن مروان حفيد موسى بن نصير[6]، ويظهر من خلال كتاب معارك انه طغى عليه صفة الأسطورة والروايات الخرافية، وفي هذا الكتاب أيضاً كثير من الإشارات الجغرافية[7].

وكان لأسرة الرازي دورٌ كبيرٌ في كتابة التاريخ في تلك الفترة، وكان أولهم محمد بن موسى الرازي وهو تاجر مشرقي من أهل الري، وفد إلى الأندلس سنة 249هـ/864م وهو يحمل بضائع مختلفة نالت إعجاب الأمير محمد بن عبد الرحمن، فأجزل له المكافأة وقربه

---

(1) ذنون طه، **نشأة**، ص13.

(2) ابن عبد الحكم: أبو القاسم، عبد الرحمن، مؤرخ مصري، وهو من أهل العلم بالحديث، انظر: الزركلي، ج3، ص313.

(3) بالنثيا، ص196.

(4) الحميدي، ص499.

(5) ابن قتيبة الدينوري: عبد الله بن مسلم، كان كاتباً يعمل في بغداد، وكان عالماً في اللغة العربية، وله العديد من المصنفات منها: غريب القرآن و مشكل الحديث، ولي قضاء الدينور، انظر: الذهبي، **تاريخ**، ج20، ص(381-382).

(6) ذنون طه، **دراسات في التاريخ**، ص93.

(7) نفسه.

إليه[1]، فأدخله الأمير في خدمته وندبه للوساطة والصلح بين العرب والمولدين بناحية غرناطة في خصومة نشبت بينهم[2]، كما كلفه بسفارة إلى بني الأغلب في بلاد المغرب لإحكام الصلة بينه وبينهم[3].

وقد أشتغل محمد بن موسى الرازي بالتأليف في تاريخ الأندلس، إذ ألف كتاباً يسمى الرايات، ويقال: إنَّ الكاتب الأندلسي أبا بكر محمد بن عيسى بن مزين[4] قد عثر على هذا الكتاب في إحدى مكتبات إشبيلية سنة471هـ/1078م، وكان اسمه(كتاب الرايات) من تأليف محمد الرازي[5]، وفي هذا الكتاب معلومات قيمة عن فتح الأندلس من قبل القائد موسى بن نصير، وكيفية دخوله إلى البلاد وخططه في فتحها مع القبائل العربية التي رافقته، وفيه تحدث عن الكثير من القبائل وتجمعاتها وراياتها التي حاربت تحت ظلها، كما احتوى هذا الكتاب على معلومات مهمة عن الإجراءات التي قام بها موسى بن نصير في تقسيم أراضي الأندلس، وتعيين الأخماس، وكيفية معاملة السكان المحليين، وبخاصة أولئك الذين فضلوا دفع الجزية والبقاء على ديانتهم[6].

وجاء أحمد من بعد والده محمد الرازي، وكان أديباً وخطيباً وشاعراً [7]، وقد تتلمذ على على يد قاسم بن أصبغ وتأثر به تأثراً كبيراً[8] وأسهم الرازي إسهاماً كبيراً في تدوين تاريخ بلاده حتى لُقِّب بالتاريخي لكثرة مؤلفاته في هذا المجال، واشتغاله بكتابة التاريخ، وللمجلدات العديدة التي دونها في تاريخ الأندلس[9].

---

(1) ابن الأبار، **تكملة**، ج2، ص15؛ المقري، ج3، ص171.

(2) بالنثيا، ص196؛ بني ياسين، ص151.

(3) ذنون طه، **نشأة**، ص29.

(4) محمد بن عيسى بن مزين: الملقب بالناصر، صاحب مدينة شلب، من ملوك الطوائف بالأندلس، بويع بها بوصية من أبيه يوم مقتله، انظر: الزركلي، ج6، ص322.

(5) بني ياسين، ص154؛ القاسمي، ص102.

(6) محمد الغساني الأندلسي، **رحلة الوزير في إفتكاك الأسير**، ص(27-29).

(7) ابن الفرضي، ج1، ص87.

(8) الحميدي، ص155.

(9) المقري، ج3، ص111.

ويذكر ابن حزم أن أحمد الرازي ألف كتاباً في أخبار ملوك الأندلس[1] وآخر في صفة قرطبة تحدث فيه عن خطط المدينة ومنازل عظمائها[2]، كما أنه كتب أيضاً موسوعة ضخمة عن أنساب العرب في الأندلس بعنوان كتاب الاستيعاب في أنساب مشاهير أهل الأندلس والذي يحتوي على خمسة مجلدات كبيرة[3]، وللرازي أيضاً كتاب أعيان الموالي الذي تحدث فيه عن مشاهير الموالي في الأندلس[4].

كان تأثير قاسم بن أصبغ في تلميذه الرازي كبيراً، فقد أشتهر بمؤلفات عديدة تتناول شتى العلوم الدينية والدنيوية، وقد قام قاسم بالاشتراك مع قاضي النصارى وترجمانهم في قرطبة، بترجمة "كتاب التاريخ" لهروشيش(باولوس أورسيوس) Paulus Horosius للحكم المستنصر عندما كان ولياً للعهد، وهروشيش هو مؤرخ إسباني عاش في القرنين الرابع والخامس للميلاد[5].

وقيل: إن الرازي استفاد من هذه الترجمة في وضع مقدمة جغرافية لتاريخه، حيث استعان بالمادة البسيطة التي يقدمها هروشيش، بالإضافة إلى المادة المشرقية التي كانت تتوفر في الأندلس في ذلك الوقت نتيجة الرحلات والاتصالات ما بين المشرق والأندلس، وبنى الرازي من كل ذلك جغرافية متكاملة لشبه الجزيرة الإيبيرية وضعها مقدمة لتاريخه عن الأندلس كما فعل هروشيش، فصارت هذه قاعدة سار عليها كل مؤرخي الأندلس بعد ذلك، وهي التقديم للتاريخ بالجغرافية، أي وصف البلاد قبل ذكر الوقائع، فأصبحوا جغرافيين ومؤرخين في آن واحد[6].

وعلى الرغم من ضخامة كتابات الرازي؛ فإنه لم يتم العثور على هذه الكتب، فقد ضاعت جميعها، ولعل هذه الخسارة قد عوضت عن طريق المؤرخين المتأخرين لما قاموا به من اقتباسات لروايات ونصوص في مؤلفاتهم من مؤلفات الرازي، وبهذا تم حفظ معلومات جمة

---

(1) الحموي، **معجم الأدباء**، ج4، ص235.

(2) الحميدي، ص155؛ انظر أيضاً: بني ياسين، ص162؛ ذنون طه، **نشأة**، ص36.

(3) الحموي، **معجم الأدباء**، ج4، ص236؛ ابن الأبار، **الحلة**، ج1، ص245؛ المقري، ج3، ص174.

(4) بالنثيا، ص197.

(5) ابن خلدون، **تاريخ**، ج2، ص101.

(6) مؤنس، حسين، **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس**، ص54.

عن تاريخ المسلمين ومظاهر حضارتهم خلال هذه الفترة من تواجدهم على أرض شبه الجزيرة الإيبيرية[1].

أما ما تبقى من آثار أحمد الرازي فهو جزء من كتاب "مسالك الأندلس" الذي يدور حول جغرافية الأندلس[2]، وقد فقد النص العربي من هذا الكتاب، وكل ما بقي منه هو ترجمة إسبانية اعتمدت بالأصل على ترجمات برتغالية ولاتينية، عن النص المفقود، وقد نشر جاينجوس Gayangos P. قسما منها بالإسبانية سنة 1852م وأكمل نشرها آخرون، ويتألف هذا الكتاب من ثلاثة أقسام: الأول قسم جغرافي، وهو صفة الأندلس[3].

والقسم الثاني من هذا الجزء وهو باللغة اللاتينية، وعنوانه تاريخ اسبانيا منذ وصول أشبان بن ياخت إليها إلى دون رودريجو، وهو جزء تاريخي تحدث فيه عن الأندلس منذ أقدم العصور إلى عهد الملك لوذريق أخر ملوك القوط ونهاية دولته على يد طارق بن زياد، وقد رأى بعض المستشرقين أمثال؛ رينهارت دوزيR. Dozy وجاينجوس أنه من تأليف القسيس خل بيرث Gill Perez، وقد ترجمه المستشرق الاسباني سافيدرا Soavedraونشره عام 1892م ملحقاً لدارسته المفصلة عن فتح المسلمين للأندلس[4]، أما القسم الثالث فهو تاريخي أيضاً ويعد مكملاً للقسم الثاني، ويتحدث فيه عن تاريخ الأندلس منذ الفتح الإسلامي إلى عصر الخليفة الحكم المستنصر، وهو عصر الرازي[5].

ويمكن اعتبار هذا الكتاب ذا قيمة وثيقة من الناحية الجغرافية والاجتماعية والسياسة بالنسبة للأندلس، لما فيه من تحديد لموقع البلاد بالنسبة لباقي أجزاء العالم، وتفصيل لمناخها، كما فيه أيضاً وصف لكل إقليم من أقاليمها، وما تشتهر به من محاصيل ومعادن وثروات[6].

---

[1] فروخ، ص587.

[2] الحموي، **معجم الادباء**، ج4، ص235؛ ابن حزم الأندلسي، **رسائل**، ج2، ص(172–173)؛ انظر أيضاً: ذنون طه، **نشأة**، ص44.

[3] بني ياسين، ص163.

[4] ذنون طه، **نشأة**، ص45.

[5] نفسه، ص46.

[6] ذنون طه، **دراسات في التاريخ**، ص108.

ومما هو جدير بالذكر أن كتاب الرازي المسمى أخبار ملوك الأندلس كان مصدراً استمد منه المؤلفون المجهولون لكتب "فتح الأندلس"، و"أخبار مجموعة" كثيراً من مادتهم التاريخيـــة، يضاف إلى ذلك أن كتابه يعتبر من المراجع الرئيسة لمؤرخين وجغرافيين كبار من أمثال ابـــن حيان(ت. 469هـ/1076م) وابن الأبار(ت. 658هـ/1260م) والحميري(ت. 900هـ/1495م) والمقري(ت. 1041هـ/1632م) [1].

يتضح مما سبق أن الرازي اعتمد في بعض رواياته على مصادر مشرقية مثل روايات فتح الأندلس والحديث عن موسى بن نصير التي نقلها عن محمد بن عمر الواقدي(ت. 207هـ/823م)[2] الذي أخذها بدوره عن موسى بن علي بن رباح(ت. 163هـ/779م)[3] عـــن أبيـــه، وعلي بن رباح هو أحد التابعين الذين صحبهم موسى بن نصير في حملته إلى الأنـــدلس ســـنة 93هـ/712م، كما قام الرازي بالأخذ عن عبد الملك بن حبيب مثل روايات تخميس أراضـــي الأندلس بعد الفتح لإخراج حصة الخلافة[4].

ويلاحظ من هذا أن كتابة التاريخ في الأندلس لم تكن معزولة عن التأليف التاريخي في المشرق في هذه المرحلة، بل كانت هناك صلات قوية توثقت بالرحلات التي قام بها العلماء من الأندلس إلى المشرق وبالعكس.

كما اعتمد الرازي يعتمد أيضاً أخباراً أندلسية، أخذها من رجال أندلسيين، مثال ذلك مـــا يرويه عن الفقيه محمد بن عيسى(ربما هو الفقيه محمد بن عمر بن لبابـــة المتـــوفي ســـنة314 هـ/927م)عما قام به المسلمون الفاتحون بكنيسة قرطبة الرئيسة حيث شطروها إلى شـــطرين، فبنى المسلمون في الشطر الأول مسجداً، وبقي الشطر الآخر للمسيحيين، ولا بُدَّ أن معظم أخباره الأخرى عن التاريخ الأندلسي كانت مأخوذة من كتب ومصادر أندلسية سابقة أو معاصرة لعهده عن شيوخ لهم معرفة ودراية بالأحداث الماضية، أو أنهم عاصـــروها بنفســـهم، ومـــن جملـــة

---

[1] ذنون طه، **نشأة**، ص46.

[2] محمد بن عمر الواقدي: يكنى أبا عبد الله، كان مولى لبني سهم، وولي قضاء بغداد أيام المأمون أربع سنين، وكان له العديد من المصنفات أبرزها؛ كتاب المغازي، انظر: الذهبي، **سير**، ج9، ص (454، 457).

[3] موسى بن علي بن رباح: كان يعمل نائباً للديار المصرية لأبي جعفر المنصور، وكان رجلاً صالحاً، يتقن الحديث، ومن ثقات المصريين، انظر: الذهبي، **سير**، ج7، ص(412-413).

[4] ذنون طه، **دراسات في التاريخ**، ص101.

المصادر المعاصرة التي اعتمدها الرازي، كتاب قضاة قرطبة لمحمد بن حارث الخشني وكتاب الفقهاء والقضاة بقرطبة والأندلس لأحمد بن محمد بن عبد البر(ت. 338هـ/949م)[1] فقد أشار إلى هذين المصدرين حينما تحدث عن قضاة قرطبة في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط[2].

كما كان الرازي شديد الدقة في معلوماته إذ كان يبين تواريخ الأحداث المهمة التي يرويها باليوم والشهر والسنة، بالإضافة إلى دقته في رواياته الأخرى في الأنساب، حيث كان يعطي كل المعلومات المتعلقة بالجماعات، أو بالأفراد الذين يتحدث عنهم وتنقلاتهم من بلد إلى آخر[3].

ولا يكتفي الرازي بذكر الأخبار التاريخية، بل أكثر من إيراد المعلومات الخاصة بالعمران، كرواياته عن تطور جامع قرطبة الكبير، وزيادته من قبل الأمراء الأمويين، وكذلك حديثه عن منية الرصافة وبعض خطط قرطبة والعمران في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن[4].

كما اعتمد في كتابة التاريخ على ترتيب قائم على أساس توالي الأمراء، كما كان يشير أحياناً إلى الأحداث حسب السنوات؛ مثال ذلك ما نقله عن ابن حيان في أخبار سنة 245هـ/859م حيث يروي الرازي أن الأمير محمد عقد في هذه السنة أماناً لأهل طليطلة[5].

وكذلك عرفت عبدة بنت بشر بن حبيب الذي كان يعرف بدحون باهتمامها بالتاريخ حتى أصبحت من مصادر ابن حيان في بعض رواياته عن الأمويين[6]، وكذلك روى ابن حيان عن مالك بن محمد المرواني الذي تعود أهمية رواياته عن الدولة الأموية إلى مكانة هذه الأسرة في الحكم الأموي، فقد تولت المناصب الإدارية والقيادية في عصر الإمارة الأموية في الأندلس[7].

---

(1) أحمد بن محمد بن عبد البر: من أهل قرطبة، من موالي بني أمية، يكنى أبا عبد الملك، وكان عالم في الحديث، وله كتاب في الفقهاء بقرطبة، انظر: ابن الفرضي، ج1، ص(82– 83).

(2) ذنون طه، **دراسات في التاريخ**، ص102.

(3) نفسه، ص103.

(4) نفسه، ص(103–104).

(5) نفسه، ص104.

(6) ابن الأبار، **تكملة**، ج1، ص182.

(7) مصطفى، خزعل، ص134.

أضف إلى هؤلاء أحمد بن عبد الله بن مبارك بن حبيب الذي كان يعرف بالحبيبي، وقد كان من الرواة الذين أخذوا عن بقي بن مخلد ومحمد بن وضاح والخشني وغلب عليه التاريخ والأدب، وذكره الرازي واعتمد عليه في كتابه تاريخ الملوك[1].

وقد كان للأمويين من أبناء الأمراء وغيرهم بحكم صلتهم بالقصر اطلاع واسع على كثير من الأخبار والمعلومات التي قد لا يعرفها أحد غيرهم، لذلك اعتبر البعض منهم ان هذه الاخبار مصدر روايات مهمة للمؤرخين، وقد اعتمد ابن حيان في بعض رواياته الواردة في كتابه المقتبس عن هشام بن الأمير عبد الرحمن الأوسط ولا سيَّما أخبار الخلفاء من قومه في المشرق والأندلس، وقد عرف بأنه كان من العلماء الفضلاء في كتابة التاريخ وحفظه[2]، كما روى ابن حيان عن أحمد بن الأمير محمد بن عبد الرحمن رواية وفاة جده الأمير عبد الرحمن الأوسط[3]، وكذلك اشتهر عبد الله بن عبد الرحمن الناصر بأنه كان إخبارياً مشهوراً، ومن مؤلفاته كتاب "العليل والقتيل في أخبار ولد العباس"، وكان يتكون من عدة أسفار، انتهى به إلى خلافة الراضي بن المقتدر العباسي (295-320هـ/908-932م)[4].

وهناك أيضاً المؤرخ معاوية بن هشام بن محمد بن هشام بن الوليد بن الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل، وكان يعرف بالشبانسي، حيث اعتمد في مصادره على والده هشام الذي كان معاصراً لكثير من حوادث الأندلس، فروى عنه بعض أخبار الأمير عبد الرحمن الأوسط وغزواته[5]، وقد عرف عنه باهتمامه بالأدب والتاريخ، وله مؤلف عن بني مروان، والذي اعتبر اعتبر من المصادر الهامة التي اعتمد عليها ابن حيان في المقتبس، حيث نقل عنه معلومات قيمة تتعلق بزيادة الأمير عبد الرحمن الأوسط في جامع قرطبة، وكذلك من نبغ من أبناء الأمير في العلوم والآداب المختلفة، بالإضافة إلى من دخل الأندلس في عهد المروانيين[6]، كما له مؤلف آخر في نسب العلويين سماه "التاج السني في نسب آل علي"، وقد اعتمد عليه عدد من المؤرخين

---

[1] ابن الفرضي، ج1، ص77؛ انظر أيضاً: مصطفى، كمال السيد، **دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة**، ص78.

[2] ابن الأبار، **الحلة**، ج1، ص126.

[3] مصطفى، خزعل، ص134.

[4] الحميدي، ص376؛ ابن الأبار، **الحلة**، ج1، ص206.

[5] ابن الأبار، **الحلة**، ج1، ص40؛ انظر أيضاً: مصطفى، كمال السيد، **دراسات**، ص78.

[6] مصطفى، خزعل، ص135.

فنهلوا من رواياته التاريخيـــة، ومـــن هـــؤلاء المـــؤرخين لســـان الـــدين بـــن الخطيـــب(ت. 776هــ/1374م) حيث كان له نصيب في الاعتماد على رواياته التي تتعلق بتاريخ الأندلس[1].

الفلسفة والمنطق

وتعرف الفلسفة على أنها العلم والمعرفة والتأمل والتفكير، وتقوم علـــى البحـــث عـــن الحقائق وتحليلها وتفسيرها[2]، ومن الطبيعي أن علم الفلسفة يتضمن الكثير من الدراسات الفلسفية حول الأنسان والكون والوجود والعدم إلى غير ذلك من المسائل التـــي تســـتند فـــي تعريفهـــا وتوضيحها من قبل الاجتهادات العقلية لبعض الفلاسفة ممن لا يعطي جانب الايمـــان بـــالله أي نصيب في ذلك، وهو أمر يترتب عليه إقحام النفس الإنسانية في ميدان الضـــلال والانحـــراف العقائدي، وبالتالي يكون من سلك طريق الفلاسفة يتسم بالإلحاد والخروج على الدين[3].

وهذا بلا شك هو الدافع الحقيقي الذي جعـــل الفلســـفة مذمومـــة ممقوتـــة فـــي نظـــر الأندلسيين[4]، وقد قال ابن سعيد: "وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء إلا الفلسفة والتنجيم فـــإن لهما حظٌ عظيمٌ عند خواصهم ولا يتظاهر بها خوف العامة"[5]، فإنه كلما قيل: "فلان يقرأ الفلسفة الفلسفة أطلقت عليه العامة اسم زنديق، وقيدت عليه أنفاسه فإنّ زل في شبهة رجموه بالحجارة أو أحرقوه قبل أن يصل أمره للسلطان أو يقتله السلطان تقرباً لقلوب العامة، وكثيراً ما يأمر ملوكهم بأحراق كتب هذا الشأن إن وجدت"[6].

وقد خلت شبه الجزيرة الايبيرية من الاشتغال بالفلسفة فيما قبل الإسلام، فلم يعرف عن أهلها الاهتمام بهذا العلم والاشتغال به، ولم تزل عاطله عن الفلسفة حتى فتحها المسلمون ســـنة 92هــ/710م واستمرت على هذه الصورة إلى أن توطد الملك لبني أمية فانصرف الناس إلـــى كثير من العلوم ومن بينها الفلسفة[7].

---

[1] مصطفى، خزعل، ص135.
[2] محمود، عبد الحليم، **التفكير الفلسفي في الإسلام**، ص164.
[3] البشري، ص336.
[4] علي، محمد كرد، ص(53-54).
[5] المقري، ج1، ص221.
[6] نفسه، ص226.
[7] البشري، ص335.

وفي عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط شهدت الأندلس نشاطاً ملحوظاً في الفلسفة خاصة وأنه كان مهتماً بالعلم وجمع الكتب، وكان يميل إلى العلوم ما يختص منها بالفلسفة وعلوم الأوائل، وأنه كان يبعث في اقتنائها من خارج الأندلس، ولهذا ينسب إليه أنه أول من أدخل الفلسفة إلى الأندلس، إلا أن الاشتغال بالفلسفة في تلك الفترة لم يكن آنذاك ذا اهتمام كبير لدى الأندلسيين كالدراسات الدينية واللغوية، إذ كانت هذه العلوم أهم ما استحوذ على اهتمامهم وعنايتهم، ولذلك لم يكن أمامهم متسع لدراسة الفلسفة وعلوم الأوائل[1].

كما أن الأندلسيين آنذاك كانوا ينظرون إلى الفلسفة نظرة كراهية وعدم استحسان، بل كانوا ينقمون على من يشتغل بها، فقد اعتبرت علماً ممقوتاً بالأندلس، لا يستطيع صاحبه اظهاره، فلذلك كان يقوم بإخفاء تصانيفه[2].

وقد عرف عن فقهاء المالكية تمسكهم بأحكام الشريعة والالتزام بها، مما دفعهم إلى محاربة كل ما من شأنه الخروج على شرائع الدين وتعاليمه، فقد حاربوا علم الكلام بل هاجموا اصحاب المذاهب الأخرى التي تحاول فرض وجودها إلى جانب المذهب المالكي في الأندلس، وهذا يبين لنا عمق الكراهية والرفض الشديد لغير المألوف من المذاهب الدينية والأفكار الفلسفية، إلا أن هذه الاجراءات لم تمنع الفلسفة من الانتشار ولو على نطاق ضيق، لأن الاقبال عليها كان سراً، ولكنه كان أمراً شائعاً[3].

ولقد كان هناك ارتباط بين الفلسفة وعلم الكلام من حيث اعتماد العقل في الجدل والمناظرة، فقد وجد آنذاك علماء اقتحموا ميدان الكلام[4]، ومنهم يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينة، والذي رحل إلى المشرق، وتعرف إلى مدارس المتكلمين، وسار على مذاهبهم واطلع على تصانيفهم، ونتيجة لهذا فقد كانت له آراء في هذا الميدان تخالف كلام أهل السنة [5].

---

[1] البشري، ص(53- 54).

[2] سالم، **في تاريخ**، ص290.

[3] بالنثيا، ص324؛ عيسى، محمد، ص336.

[4] البشري، ص54.

[5] ابن الفرضي،ج2، ص235؛ صاعد الطليطلي، ص65؛ ابن أبي أصيبعة، ج2، ص39؛ انظر أيضاً: خفاجي، ص172.

وعلى الرغم من ذلك فقد وجدت الفلسفة في الأندلس اتباعاً ودارسين لها، وكان هــؤلاء يمارسون الطب ودراسة الفلك والرياضيات وعلم الكلام، وهم إنّما كانوا يدرسون تلــك العلــوم حتى يتستروا خلفها خوفاً من نقمة العامة والفقهاء عليهم[1].

وقد ساعد على ظهور الفلسفة ونموها بالأندلس عدة عوامل منها: رحيل بعض الأطباء من المشرق إلى الأندلس، واهتمام بعض الأمراء الأمويين بالكتب العلمية، بالإضافة إلى التبادل الثقافي بين المشرق والأندلس[2].

وقد عاش في عصر الإمارة الفيلسوف محمد بن عبد الله بن مسرة، حيث ولد في العــام 269هــ/883م[3]، ولم يكن من أصل عربي حيث يظهر على والده مظهر النورمانــديين مــن سكان جزيرة صقلية[4] بالرغم من أصله القرطبي[5]، ويذكر أن والده كان ينظــر فــي أمــور اللاهوت، نتيجة لاتصاله بعلماء المشرق في حلقات المعتزلة والباطنية التي كان يحضرها، حيث حرص على أن ينقل إلى ولده هذه الملامح الروحية التي تميزت بها شخصيته الخاصة[6].

توفي والد ابن مسرة وهو يؤدي فريضة الحج في مكة سنة 286هــ/899م، وكان ابــن مسرة يبلغ من العمر سبعة عشر عاماً، وفي ذلك الحين تعرف ابن مسرة إلى عدد من الأشخاص الذين اعتزل معهم في صومعة في جبال قرطبة وسرعان ما كثرت الشبهات حوله، وتم اتهامــه بالزندقة والإلحاد[7]، وذلك بسبب الحالة السياسية في إمارة قرطبة التي كانت في تلك الآونة في

---

(1) بالنثيا، ص(325-326).

(2) دويدار، ص438.

(3) القفطي، **إخبار**، ص13؛ ابن أبي أصيبعة، ج1، ص37؛ انظر أيضاً: عويضة، كامل، ابن مسرة (محمد بن عبد الله بن مسرة بن نجيح القرطبي) **الفيلسوف الزاهد**، ص36؛ الفيومي، محمد، **تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس**، ص277؛ الطراونة، مبارك؛ الجعافرة، بلال، ***حركة ابن مسرة ومذهبه الديني في الأندلس (269-318هـ/883-931م)***، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، كلية الآداب والعلوم، **مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية**، مج15، ع3، ص173.

(4) صقلية: جزيرة تقع في البحر الابيض المتوسط، بينها وبين مالطة ثمانون ميلاً، انظر: الحميري، ص366.

(5) كوربان، هنري، **تاريخ الفلسفة الإسلامية**، ص330.

(6) ابن الفرضي، ج2، ص55؛ انظر أيضاً: ألوزاد، محمد، ***الملامح العامة لشخصية ابن مسرة وآرائه***، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، **مجلة كلية الآداب والعلوم الأنسانية**، ع6، ص37.

(7) القفطي، إخبار، ص 13؛ انظر أيضا: العكش، ص214؛ الفيومي، ص274؛ كوربان، ص330.

غاية الحرج، وكان ذلك في عهد الأمير عبد الله بن محمد الذي لم يكن يعترف بسلطته أحد من العرب أو البربر، وكان كل رئيس منهم قد استقل بنفسه[1].

وقد زعم ابن مسرة خوفاً على نفسه سنة 299هـ/911م أنه ذاهب إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج[2]، وخرج برفقة اثنين من تلاميذه، وهما محمد بن حزم بن بكر التنوخي المعروف بابن المديني، وابن صيقل (محمد بن وهب القرطبي)، إلى القيروان ثم توجهوا ثلاثتهم إلى مكة، وهناك احتك بالمدارس الشرقية، ولم يعد إلى موطنه على أثر ما فعله الفقيه أحمد بن خالد(ت. 322هـ/934م) المعروف بالحباب، إذ كتب "صحيفة" اتهم فيها رأيه وعقيدته[3]، وقد عاد في عهد عبد الرحمن الناصر[4] وكان قد التزم جانباً من الحيطة والحذر فعاود الاعتزال في صومعته في جبال قرطبة حيث لم يفصح عن رأي مذهبه إلا لعدد ضئيل من تلاميذه، وذلك على شكل إشارات ورموز، وآمنوا بما كان يردده من آراء تتصل بالاعتزال والفلسفة والتصوف[5].

إلا أن ما قدمه المؤرخون عن ابن مسرة كان متضارباً تضارباً يصل إلى حد التناقض، فصاعد وابن أبي أصيبعة والقفطي(ت. 646هـ/1248م) يقدمون ابن مسرة على أنه "فيلسوف باطني"[6]، وقيل أن أصول المذهب الفلسفي لابن مسرة تدور حول المذهب الأمبيذقليسي(نسبة إلى أمبيذقلس) أقدم الفلاسفة الخمسة الكبار في اليونان، وهم: أمبيذقلس، فيثاغورس، سقراط، أفلاطون، أرسطو، وقد صور بعض المؤلفين أمبيذقلس بصورة الحَبر أو النبي الذي انقطع للهدى والحياة الروحية الزاهدة العاكفة[7].

---

(1) بالنثيا، ص327؛ ألوزاد، ص39.

(2) ضيف، شوقي، ص82؛ عويضة، ص22.

(3) ابن الفرضي، ج1، ص72؛ انظر أيضاً: بالنثيا، ص327؛ الطراونة، ص174.

(4) ابن الفرضي، ج1، ص72؛ انظر أيضاً: ألوزاد، ص42.

(5) ابن الفرضي، ج1، ص55؛ القفطي، إخبار، ص13؛ انظر أيضاً: ضيف، شوقي، ص82؛ عزب، محمد، **موقف العلماء من ظاهرة التصوف الفلسفي (ابن مسرة الجبلي نموذجاً)**، جامعة المدينة العالمية، قسم الدعوة وأصول الدين، ص259؛ الطراونة، ص174.

(6) صاعد الطليطلي، ص(21-22)؛ القفطي، إخبار، ص13؛ ابن أبي أصيبعة، ج1، ص37.

(7) كوربان، ص332.

في حين ينسب إليه الحميدي" إشارات صوفية "[1]، ومن المحتمل أن يكون ابن مسرة قد تعرف إلى تقاليد النسك المشرقي من خلال التصوف المشرقي بوساطة محمد بن وضاح أو بوساطة الخشني، وهذه جزئية لا يمكن تجاهلها وذلك بسبب طابع الزهد الذي غلب على طريقة عيشه وطريقة عيش تلاميذه من الجيل الأول[2]، كما يبدو أنه قابل أثناء وجوده بالمشرق مجموعة من المتصوفة المشارقة أمثال: ذي النون المصري(ت. 245هـ/859م)[3] وبشر الحافي(ت. 227هـ/841م)[4] أو مجموعة من مريديهم[5].

أما ابن الفرضي وابن حيان فيعزوان إليه أفكاراً معتزلية، ويذهبان إلى هذا الاعتقاد لأنهم يرون أن ابن مسرة كان يفضل حرية الإرادة ويؤمن بالثواب والعقاب وينكر الشفاعة[6]، وأنه يجزم مثلهم بأن العلم الألهي حادث ومخلوق وكان هذا رأي ابن حزم[7]، وقد تحدث تلميذ ابن مسرة إسماعيل الرعيني عن بعض الاعتقادات في أستاذه، ويعتبر إسماعيل نفسه خليفة ابن مسرة والشارح المؤتمن لتصانيفه، ويقال إنه كان يعتبر نفسه إماماً، وطالب مريديه بدفع الزكاة، وكان يلح على أن العرش هو الذي يسير العالم، لأن الله أسمى من أن يمارس الأفعال، وكان ينسب هذه النظرية إلى ابن مسرة مدللاً على ذلك بمقاطع من كتبه[8]، ويرى أن البعث بالأرواح لا بالأجساد، وبمجرد الموت تحاسب الروح، فإما إلى الجنة وإما إلى النار[9]، وكان الرعيني

---

[1] الحميدي، ص98.

[2] ابن الفرضي، ج2، ص55؛ القفطي، إخبار، ص13؛ انظر أيضاً: عداس، كلودا، **التصوف الأندلسي وبروز ابن عربي**؛ أنظر: الجيوسي، سلمى، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، ص1266؛ ألوزاد، ص37.

[3] ذو النون المصري: ثوبان بن إبراهيم، وقيل إنه فيض بن أحمد، ولد في أواخر أيام المنصور، كان صاحب حديث، شديد الزهد، وأول من تكلم بمقامات الأولياء، انظر: الذهبي، سير، ج11، ص(532، 534)؛ السلمي النيسابوري، **طبقات الصوفية**، ص12.

[4] بشر الحافي: الأمام المحدث بشر بن الحارث ولد سنة 179هـ/795م ارتحل لطلب العلم، وهو أحد أعلام التصوف في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، قيل: إن له كتباً قام بدفنها، انظر: الذهبي، **سير**، ج10، ص(469-470)؛ السلمي النيسابوري، ص17.

[5] عداس، ص1265.

[6] ابن الفرضي، ج2، ص55.

[7] ابن حزم الأندلسي، **رسائل**، ج4، ص53.

[8] عداس، ص1269.

[9] ابن حزم الأندلسي، **رسائل**، ج4، ص67.

يقول للذين ينكرون عليه هذا التاويل: "إنكم لم تفهموا ما أراد الشيخ من قوله"، أضف إلى ذلك أن الرعيني كان يؤمن بإمكانية اكتساب النبوة مستنداً في ذلك إلى أقوال ابن مسرة[1].

إلا أنه لم يعرف عدد مؤلفاته ولا أسماءها الحقيقة، وكل ما لديه في هذا الشأن أنه ذكر مؤلفين من مؤلفاته على وجه التأكيد، وهما: "كتاب التبصرة" الذي ذكره ابن الأبار والذي يحتوي على مفتاح مذهبه الباطني[2]، و"كتاب الحروف" الذي إشار إليه ابن العربي(ت. 638هـ/1240م) في العديد من المرات وهو يبحث في الجبر الصوفي[3].

وتناول كتاب الحروف -على وجه الدقة- خواص الحروف وحقائقها وأصولها، موضوع دلالة النورانيات وتأويلها، وهي الحروف الأربعة عشر المفردة التي تفتتح بها بعض آيات القرآن، وبالتالي فإن علم الحروف يُعدُّ جوهر العلوم العرفانية التي لا يقتدر عليها إلا الصفوة من الأولياء[4]. ويؤكد في كتابه أن الفلاسفة قد توصلوا دون حاجة إلى الأنبياء لإدراك التوحيد، ويرى ابن مسرة في ذلك أن التفكير المجرد عندهم يعتبر مؤدياً إلى التهلكة، وهذا الموقف يتطابق مع مواقف العديد من المتصوفة، ولا سيَّما موقف ابن العربي، ومن كتب ابن مسرة أيضاً كتاب "توصيد الموقنين"، تحدث فيه عن الصفات الإلهية وعلاقتها بالذات[5].

وانتقلت هذه الكتب من يد إلى يد وأثارت حفيظة الفقهاء، إلا أنها سلمت من معارضتهم وتسربت إلى المشرق، فتصدى لها اثنان من المتصوفة المشرقيين المحافظين لنقد ما جاء فيها، وهما أحمد بن محمد بن زياد الأعرابي(ت. 340هـ/951م)[6] ومحمد بن أحمد بن سالم(ت. 350هـ/961م)[7]، كما تصدى لها من الأندلسيين أحمد بن خالد المعروف بالحباب، حيث وضع

---

(1) عويضة، ص93.

(2) نفسه، ص26.

(3) كوربان، ص331.

(4) عداس، ص(1271-1272)؛ الطراونة، ص180.

(5) عويضة، ص23.

(6) أحمد بن محمد بن زياد الأعرابي: يكنى أبا سعيد، رحل لطلب العلم، وصنف العديد من المصنفات، وصحب المشايخ، وتعبد وألف في مناقب الصوفية، انظر: الذهبي، **سير**، ج15، ص(407-408)؛ السلمي النيسابوري، ص147.

(7) محمد بن أحمد بن سالم: يطلق عليه ابن سالم البصري، وهو صاحب سهل بن عبد الله التستري(ت. 283هـ/896م) وراوي كلامه، وهو من أهل الاجتهاد وطريقته طريقة أستاذه سهل، انظر: السلمي النيسابوري، ص142.

وضع في الرد عليه كتاباً كبيراً أكثر فيه من الحديث والشواهد[1]، وللزبيدي(ت. 379هـ/989م) أيضاً كتاب في الرد عليه، وللقاضي ابن زرب(ت. 381هـ/991م)[2] أيضاً كتاب في الرد على ابن مسرة قرئ عليه وأخذ عنه عدة مرات بقرطبة[3]، ولكن، يبدو أن القضية لم تصل إلى دواوين القضاء، ولم يصدر أي أمر بإحراق كتب ابن مسرة، على الأقل أثناء حياته[4]، وفي العام 319هـ/931م توفي ابن مسرة في صومعة محاطاً بتلاميذه، بعد أن أنهكته أعباء المهمة التي ندب نفسه لها، وكان له من العمر ما يقارب الخمسين عاماً [5].

ومن أشهر تلاميذه الذين صحبوه أو آمنوا بمذهبه دون صحبة: طريف الروطي وأضحى بن سعيد اللذان انحازا إلى مذهبه دون أن يلقوه، وكانا من أهل الزهد والخير[6]، وأيوب بن سليمان إسماعيل الطيطلي(ت. 343هـ/954م)، وكان كثير الملازمة لابن مسرة[7]، وإلياس بن يوسف الطيطلي(ت. 321هـ /933م) وأخوه عون[8]

أضف إلى هؤلاء خليل بن عبد الملك(ت. 323هـ/935م) حيث تفقه بكتب ابن مسرة واتقنها،وكان في غاية من الزهد والورع، وكان معلناً بالاستطاعة، مشهوراً بالقول بالقدر، وربما كانت تأويلاته تفسر لنا تأويلات ابن مسرة كقوله: إن الصراط هو الطريق أي الإسلام، والميزان: هو الطريق أي الإسلام والميزان هو عدل الله[9]، بالإضافة إلى محمد بن فضل بن سعيد، وحكم وسعيد ابني منذر بن سعيد البلوطي القاضي، وكلهم تفقهوا بكتب ابن مسرة، وكان ابن حزم يصفه بالصدق[10].

---

(1) ابن بشكوال، ج1، ص244.

(2) محمد بن يبقى بن زرب: فقيه مالكي، من كبار القضاة وخطباء المنابر في الأندلس، سمع من أبي محمد قاسم بن أصبغ البياني، روى عنه القاضي أبو الوليد يونس بن المغيث(ت. 429هـ/1038م)، وله كتاب في الفقه اسمه الخصال، انظر: الحميدي، ص149؛ النباهي، ص77.

(3) ابن عياض، **ترتيب**، ج7، ص115؛ ابن بشكوال، ج2، ص465؛ النباهي، ص78.

(4) كوربان، ص331.

(5) ابن الفرضي، ج2، ص56؛ انظر أيضاً: بالنثيا، ص329؛ كوربان، ص331.

(6) ابن الأبار، **تكملة**، ج1، ص(276-277)، ص173.

(7) نفسه، ص165.

(8) نفسه، ص173.

(9) ابن الفرضي، ج1، ص199؛ انظر أيضاً: الفيومي، ص275.

(10) ابن الأبار، **تكملة**، ج1، ص304.

وكذلك حي بن عبد الملك الذي احتال على ابن مسرة، وذلك عندما الأخير كتابه التبصرة ولم يكن يخرج كتاباً إلا بعد أن يتعقبه حولاً كاملاً حتى قام حي بإخراج الكتاب إلى حيز الوجود دون أذن من ابن مسرة، وقام بانتساخه ثم صرف الأصل وأتى بالنسخة إلى ابن مسـرة فـأراه إياها وقال:" أتعرف هذا الكتاب؟ " فلما تصفحه قال: "لا نفعك الله به" ولم يخرج كتاب التبصـرة بعد ذلك إلى أحد[1].

ويذكر أن تسعة من تلاميذه كانوا من قرطبة، بينما كان أربعه منهم مـن طليطلـة[2]، ويعتقد ان الجيل الثاني من تلاميذ ابن مسرة كانوا قد تعرضوا للمحاكمة، وأغلب الظن أن هذا قد حدث سنة 370هـ/980م أي وفاة الحكم المستنصر، عندما كان ابن زرب قاضياً، فقد اهتم هذا القاضي بالكشف عن اتباع مسرة، وقد تاب على يديه عدد منهم، ثم خـرج ابـن زرب جانـب الجامع الشرقي وأحرق ما وجده من كتبهم وهم ينظرون إليه[3].

وعلى الرغم من القمع الذي مارسه الفقهاء في محاولة منهم للحد من انتشار تيار ابـن مسرة وإرغام بعض تلاميذه على التوبة؛ فإن كتابات ابن مسرة ظلت تتداول ويدرسها الـبعض في العلانية والبعض الآخر في السر خلال العصور التي تلت وفاته.

ويتبين من ذلك أن تعاليم ابن مسرة ظلت حية في الأندلس لفتـرة طويلـة، إذ هيـأت لاعتناق بعض الأفراد مذهب الاعتزال، واهتمام أفراد كثيرين بالفلسفة، وإن كانوا لم يسـتمروا في نفس اتجاه مدرسته الفلسفية.

---

[1] ابن الأبار، **تكملة**، ج1، ص234.

[2] عداس، ص1268.

[3] النباهي، ص78.

الفصل الخامس

الصلات العلمية والثقافية بين الأندلس وبلاد المغرب والمشرق خلال عصر الإمارة

- سبل تبادل العلاقات العلمية بين الأندلس وبلاد المغرب والمشرق.
- التبادل العلمي بين الأندلس وبلاد المغرب.
- التبادل العلمي بين الأندلس والشام والحجاز.
- التبادل العلمي بين الأندلس ومصر والعراق.

الفصل الخامس

الصلات العلمية والثقافية بين الأندلس وبلاد المغرب والمشرق خلال عصر الإمارة

سبل تبادل العلاقات العلمية بين الأندلس وبلاد المشرق والمغرب

عُدَّت الرحلة في طلب العلم من أهم سبل تبادل العلاقات بين الأندلس وغيرها من البلاد، وأخذت الصلات بواعث ومسارات وأطر متعددة، ولكنها ذات صلة وطيدة بطابع الحضارة العربية الإسلامية التي وصل نفوذها إلى مشارق الدنيا ومغاربها، فقد قامت الحضارة العربية بشكل أساسي على طلب العلم والمعرفة، فكان دافعاً لعلمائها للاستفادة من العلوم والمعارف لدى الأمم الأخرى.

ومما هو جدير بالذكر انه كان لموقف الإسلام من العلم والحث على طلبه أثر في اهتمام المسلمين بالرحلات العلمية، فقد حث الإسلام على العلم والسعي في طلبه وتحصيله، فقد رُوى عن رسول اللهﷺ انه قال: "من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سهّل الله به طريقاً إلى الجنه"[1].

وفي هذا الصدد أشار ابن خلدون إلى أهمية الرحلة عندما ذكر أن من بين أسباب زيادة علمه بأخبار ملوك العجم ودول الترك، رحلته إلى المشرق، فقال:" ثم كانت الرحلة إلى المشرق لاجتناء أنواره وقضاء الفرض والسنة في مطافه ومزاره والوقوف على آثار في دواوينه وأسفاره[2].

وانطلاقاً من هذا الحرص على اكتساب المعارف والتزود بالعلم وتحمل ضروب المشقات والوان التعب في سبيل ذلك، حاول المسلمون في تاريخهم الطويل أن يسلكوا كل الوسائل التي تعينهم على بلوغ ذلك الهدف السامي، مما كان له أثر كبير في نجاحهم في بناء حضارتهم الإسلامية.

---

[1] الغزالي، احياء علوم الدين، ص15، اخرجه مسلم من حديث ابي هريرة.

[2] رستم، محمد، **الكتب المشرقية والأصول النادرة في الأندلس**، ص179.

وهكذا يتبين "أن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم"[1]، وكان علماء الإسلام يرتحلون بين مراكز العلم في الدولة الإسلامية من الصين شرقاً إلى الأندلس غرباً، وكانت بغداد ومكة المكرمة والمدينة المنورة والقيروان وقرطبة وأكثر مدن الإسلام اشتغالاً بالعلم، وكانت مقصد العلماء في ذلك الوقت[2].

وكان العالم الإسلامي آنذاك وحدة ثقافية له كيان فكري واحد، فالعقيدة الإسلامية اتسمت بكونها شكلت عامل وحدة على الرغم من تباعد المسافات بين أقطاره، ومهما قامت من حواجز سياسية نتيجة ظهور كيانات متعددة في مختلف العصور، كالعباسيين في المشرق والفاطميين في مصر، والأمويين في الأندلس، إلا أن الأندلسيين اتجهوا إلى المشرق الذي كان قد سبقهم في مجال الحضارة بميادينها المختلفة، ومنها ميدان العلم[3].

ويرجع تطور الحركة الثقافية في الأندلس إلى الاستقرار السياسي والأمني الذي ساد جنبات الإمارة الأموية منذ بدايات تأسيسها على يد الأمير عبد الرحمن الداخل، وإلى ظاهرة تأثر الأندلسيين بالحضارة المشرقية.

أضف إلى ذلك الشوق والحنين إلى المشرق العربي مركز البيت الأموي ومهد تاريخهم، ورغبة هؤلاء الأمراء الجامحة في بعث ماضي هذا البيت في دمشق وطبيعته السياسية وتاريخه الزاهر، وحضارته المجيدة التي أقامها الأمويون في دمشق سابقاً.

وقد لعبت الصلات الثقافية غير الرسمية بين الأندلس والمشرق دوراً في النهضة الفكرية في بغداد والشام، وعلى الرغم من التنافس الشديد الذي اشتد وقعه بين العباسيين في المشرق العربي والأمويين في الأندلس؛ فإن الأواصر الثقافية بين الجانبين المشرقي والمغربي لم تنفصل، ولا أدل على ذلك من قيام الأمير هشام الرضا بإرسال العلماء إلى المشرق للعودة ثانية إلى الأندلس حاملين معهم الكتب والمصنفات في مختلف المجالات[4].

---

[1] ابن خلدون، **تاريخ**، ج1، ص745.

[2] مصطفى، كمال السيد، **تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية في العصر الإسلامي**، ص289.

[3] يوسف، عواطف، **الرحلات المغربية والأندلسية**، ص71.

[4] الفيومي، ص100.

وكان علماء الأندلس يرون في الرحلة إلى المشرق وأخذهم عن شيوخه تشريفاً وفخراً بين علماء بلدهم، وعلى العكس من ذلك كان بقاء العالم في وطنه والاكتفاء بتلقي العلم على شيوخ بلده دليلاً على قصوره عن إدراك ما ناله الآخرون ممن كانت لهم رحلة خارج بلاد الأندلس، وأتيحت لهم الفرصة للقاء العلماء في كل قطر إسلامي والأخذ عنهم مشافهة[1].

بل أن العالم منهم اذا لم تكن له رحلة كان يعاب لديهم وكأنه بذلك قد لحقه نقص كبير في مكانته العلمية، والمقصود بذلك أن هناك فرقاً بين من كابدوا الصعاب وتحملوا المشاق في سبيل التزود بالعلم واتساع معارفهم وتنوع مصادر الثقافة والدراسة لديهم وبين أولئك الذين اكتفوا بالقليل ولم يبرحوا أوطانهم[2]، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات العلمية ورسوخها[3].

ومما يلحظ أن وجود الباعث الثقافي له ارتباط كبير بالباعث الديني، فالدين نفسه يدعو العالم إلى تحصيل العلم والمعرفة، لما فيه من تهذيب للنفس البشرية وتشريفها[4]، فموسم الحج – وإن كان موسماً دينياً– يعد الملتقى الثقافي الذي يجمع المسلمين القادمين من أجل أداء فريضة الحج على الرغم من اختلاف بلدانهم وعاداتهم وتقاليدهم ولغاتهم، ففي هذا الموسم كانت تعقد حلقات الوعظ والإرشاد وتقام مجالس العلم والأدب في رحاب المسجد الحرام والمسجد النبوي، وقد كثرت رحلات الأندلسيين إلى المشرق الإسلامي، وبخاصة في مواسم الحج، للتفقه في الدين، وأخذ العلم من مكانه، فقد كان العالم يشرف بين بني قومه حين يروي أو يسند إلى شيوخ الحجاز وبغداد ومصر وغيرها من بلدان المشرق الإسلامي، لذا لم تكن الرحلة أمراً متعلقاً بالحج فحسب، بل أصبحت ضرورة لازمة لطلب العلم[5].

---

(1) ذنون طه، **دراسات أندلسية**، ص191؛ رستم، ص9.

(2) البشري، ص94.

(3) ابن خلدون، **تاريخ**، ج1، ص745.

(4) العامري، محمد، **مظاهر الابداع الحضاري في التاريخ الاندلسي**، ص244؛ الهروط، بلال، **صور الآخر في أدب الرحلات الأندلسية**، ص30.

(5) الهروط، ص30؛ يوسف، ص71.

ويختلف كل فرد منهم عن الآخر في الفترة الزمنية التي يقضيها في اغترابه العلمي عن وطنه، فهي تتباين بحسب قدرة وطاقة كل منهم على مواصلة الارتحال بين مراكز العلم المنتشرة في العالم الإسلامي بمختلف أقطاره [1].

وقد ضرب الأندلسيون أروع الأمثلة في طول الغياب وتحمل الغربة عن بلادهم من أجل العلم، فكانوا يرحلون إلى المشرق بشكل جماعي مما كان يخفف عنهم عبء الرحلة ومشاقها، وكانت رحلاتهم تستغرق فترات طويلة من الزمن يقضونها في البحث والدرس، فمثلاً أقام محمد بن قاسم القرطبي(ت. 327هـ/938م) في رحلته أربعة أعوام وأربعة أشهر[2].

كما كان لبعضهم أكثر من رحلة إلى المشرق، وهذا يدل على مدى رغبة الأندلسيين بإثراء معرفتهم العلمية؛ فقاسم بن محمد بن سيار القرطبي رحل رحلتين في طلب العلم؛ الرحلة الأولى أقام فيها اثني عشر عاماً، والثانية ستة أعوام[3]، وكذلك بقيّ بن مخلد فقد أمضى في رحلته الأولى عشرة أعوام، وفي الأخرى خمسة وعشرين عاماً[4].

أما بالنسبة للشيوخ الذين تتلمذ على أيديهم طلاب الأندلس فلا يمكن حصرهم، إذ كان هؤلاء الطلبة يقصدون كل من يتوفر لديه قسط من العلم، وفي شتى بقاع العالم الإسلامي، حتى إن كتب التراجم لم تذكر اعدادهم لكثرتهم، فكانت بعض المصادر تشير بقولها: (وجماعة يكثر تعدادهم) بعد أن يعد عدداً كبيراً من الشيوخ، فمحمد بن وضاح القرطبي "سمع على جماعة كثيرة من البغداديين والمصريين والشاميين والقرويين، وعدد الرجال الذين سمع منهم في الأمصار مئة وخمسة وستون رجلاً "[5].

وبعد أن نهج الأندلسيون طريق الرحلات العلمية؛ فإنه من الطبيعي ان يكون لتلك الرحلات نتائج هامة وآثار كبيرة، فبعد تلقيهم العلم على شيوخ المشرق وعلمائه كانوا يشدون رحالهم إلى وطنهم ناقلين العلوم التي درسوها معهم إلى الأندلس[6].

---

[1] البشري، ص96.

[2] ابن الفرضي،ج2، ص64.

[3] الخشني، **أخبار الفقهاء والمحدثين**، ص301.

[4] نفسه، ص49.

[5] ابن الفرضي، ج2، ص26.

[6] البشري، ص96.

وأثمرت الرحلات العلمية للأندلسيين عن علم واسع ومعارف غزيرة عاد بها العلماء إلى بلادهم، بالإضافة إلى حملهم الكثير من التصانيف المختلفة والمؤلفات النفيسة التي تعود إلى علماء مشارقة، وفي مقدمة هؤلاء الفقيه بقيّ بن مخلد الذي عاد إلى الأندلس بكتب عديدة في علوم مختلفة؛ كالفقه والتاريخ والتراجم، والتي كان لها -بلا شك- تأثير عظيم في الاستفادة منها في الحركة العلمية الأندلسية، ففتحت تلك المصنفات آفاقاً واسعة للبحث العلمي للأندلسيين، فاقبلوا على دراسة تلك الكتب والنظر فيها والاستفادة من المناهج العلمية في البحث والتأليف، والتي سبقهم إليها المشارقة[1].

وكذلك محمد بن وضاح القرطبي حيث حدَّث بعد رحلته الثانية بعدد من الكتب التي سمعها بالمشرق، وقد حدث بالأندلس مدة طويلة وانتشر عنه علم جم، وروى عنه من أهلها جماعة مشهورون أمثال؛ قاسم بن أصبغ، وقد عرف عن ابن وضاح في جلوسه للناس وإسماع الكتب، أنه كان "صبوراً على نشر العلم، متعففا، نفع الله أهل الأندلس به "[2].

ونتيجة للرحلات التي قام بها الأندلسيون المرتحلون إلى المشرق أن حصل تأثير قوي ادى إلى ازدياد حركة نقل الكتب المشرقية إلى الأندلس، مما كان له الأثر الأكبر في نمو العلاقات الثقافية بين الطرفين وتقويتها[3]، وفي ميدان العلوم الدينية؛ وبخاصة في الفقه، فقد استطاع العلامة زياد اللخمي ومن بعده الفقيه يحيى بن يحيى الليثي نشر المذهب المالكي في الأندلس[4].

كما أثرى العائدون إلى الأندلس طلبتهم بالعلم، سواء الموجود في الكتب، أو الذي جنوه عبر سنوات رحلاتهم، ولم ينحصر علمهم في مجال واحد، بل اهتموا بالعديد من العلوم، فقد عنوا بكتب التاريخ المشرقية التي سجلت بها أحداث العالم الإسلامي، حيث تتلمذوا على أيدي مؤرخين كبار، فمحمد بن عبد الله بن الغازي بن قيس رحل فلقي جماعة من رواة الأخبار والأشعار، وأدخل إلى الأندلس الكثير منها، وعنه أخذ أهل الأندلس[5].

---

[1] ابن الفرضي، ج1، ص145؛ الحميدي، ص(251-252).

[2] الحميدي، ص141.

[3] ذنون طه، **دراسات أندلسية**، ص198.

[4] الحميدي، ص567؛ الضبي، ج1، ص372.

[5] ابن الفرضي، ج2، ص33.

وكان حفظ الكتب المشرقية -عند أهل الأندلس- سبيلاً إلى الشرف والزعامة، فقد نقل المقري عن بعضهم أن بخارج قرطبة أيام ازدهارها "ثلاثة آلاف قرية، وكان لا يجعل القالص[1] عندهم على رأسه، إلا من حفظ الموطأ، وقيل من حفظ عشرة آلاف حديث عن النبيﷺ وحفظ المدونة، وكان هؤلاء المقلصون المجاورون لقرطبة، يأتون يوم الجمعة للصلاة مع الخليفة بقرطبة ويسلمون عليه، ويطالعونه بأمور بلدهم"[2]، ولم يكن حفظ الأندلسيين لبعض الكتب المشرقية حفظاً عادياً، بل كان حفظاً متقناً كحفظ القرآن الكريم[3].

وأما السفارات السياسية، فعدت هي الأخرى من سبل التبادل العلمي، وتعد السفارة هي الشكل الرسمي للرحلات، حيث يوكل بها الرحالة من قبل الحكام، وهي الرسالة التي يكلف بأدائها من يرى الحاكم فيه الصفات التي تؤهله للقيام بالسفارة، إذ كانت تقترن في نفوسهم بفائدتها للدولة الإسلامية وعلو شأنها، فالسفير ممثل لدولته وعنوان لرقيها، وكانت السفارة لا تنقطع بين الدول الإسلامية وما جاورها من الدول لأغراض ومقاصد متنوعة منها: إما تصفية الأمور السياسية أو عقد صلح، وقد ينتج عن هذه السفارات علاقات سياسية متبادلة بين الاطراف[4].

وأسهمت السفارات بشكل واسع في توسيع نطاق المعلومات الجغرافية، وقد نشطت حركة السفراء بين الأندلس وبلاد أوروبا، حيث أرسل الأندلسيون عدداً من السفراء إليها، وقد كان يتم اختيار السفراء بناء على مستوى عال من الثقافة والذكاء، وعلى درجة عالية من القدرة على التعبير والحوار والخبرة لإنجاز المتطلبات الموكلة إليهم بإتقان[5].

ومن أسباب التبادل العلمي والانتقال الثقافي من الأندلس إلى المغرب الأزمات السياسية التي عاشتها الأندلس، وبخاصة خلال وبُعيْد موقعة الربض في البلاد حيث دفعت هذه الواقعة

---

(1) القالص: الفقيه المقلص، وهو الذي يضع على رأسه القالص، (وهو القالس)، ويقصد به عند أهل المشرق القلنسوة أي غطاء للرأس، اما أهل الأندلس فيسمونها القالص بالصاد، انظر: ابن منظور، مادة قلس، ج6، ص،181؛المقري، ج1، ص458.

(2) المقري، ج1، ص458.

(3) رستم، ص181.

(4) الهروط، ص31.

(5) نفسه، ص(31-32).

العلماء للهجرة للبحث عن الأمان الذي يتطلبه النشاط العلمي، إذ هاجر عدد كبير من العلماء والفقهاء إلى مدينة فاس، فرحب بهم الأدارسة وقاموا ببناء مدينة ملاصقة لمدينة فاس لاستيعابهم سميت باسمهم "مدينة الأندلسيين"[(1)].

وقد أدى قرب الموقع الجغرافي والوحدة الطبيعية بين الأندلس وبلاد المغرب إلى تعزيز العلاقة بين العدوتين، وسهولة الاتصال بينهما، الأمر الذي أسهم في سهولة الانتقال والسكنى بين الأندلسيين والمغاربة، وبقاء العلماء سنين كثيرة في كلا الموضعين[(2)].

وكانت خطة مسيرة علماء الأندلس من اجل استفادتهم من جميع المراكز العلمية التي تقع في طريقهم إلى المشرق، فكان انطلاقهم من الأندلس إلى المغرب ليتجهوا نحو القيروان التي كانت من مراكز العلم الهامة آنذاك، ثم منها إلى مصر حيث مدينة الإسكندرية التي كانت بدورها تشكل مركزاً علمياً كبيراً، وإلى جانبها مدينة الفسطاط، والتي لم تكن أقل شأناً من غيرها من مراكز العلم في الدولة الإسلامية، ومن مصر ينقسم العلماء أفواجاً ليكونوا في اتجاهين: اتجاه إلى الحجاز لمن يطلب العلوم الدينية، واتجاه إلى العراق لمن يرغب في دراسة العلوم الأخرى، والتي سبق لأهل العراق الاشتغال بها[(3)].

إنَّ كثرة توافد علماء الأندلس إلى المشرق العربي كانت لافتة لنظر بعض المؤرخين ومنهم؛ المقري الذي خصص لهم جزءاً من كتابه "نفح الطيب"، فذكر في بعض أبوابه من رحل من الأندلسيين إلى المشرق، كما ذكر بعض الوافدين على الأندلس من أهل المشرق[(4)].

التبادل العلمي بين الأندلس وبلاد المغرب

لما فتحت بلاد المغرب وبنيت مدينة القيروان سنة 50هـ/670م أقيم جامعها، ووفق التقاليد الإسلامية عدت بلاد المغرب حاضنه للثقافة الإسلامية والسياسية وبيت شورى المسلمين، وعلى أثر ذلك وفد التابعون والفقهاء والعلماء وتتلمذ على أيديهم كثيرون من المغاربة،

---

(1) ابن عذارى، ج2، ص77.

(2) العصيمي، ايمان، **العلاقات العلمية بين الأندلس ومدينة فاس من بداية القرن الثالث الهجري وحتى سقوط غرناطة**، ص165.

(3) ذنون طه، **دراسات أندلسية**، ص192.

(4) الدقاق، ص31؛ العناني، ص240.

وازدهرت القيروان في سماء الثقافة الإسلامية، وغدت قبلة لطلاب المعرفة من كل فج من بلاد المغرب، وبفضل القيروان ونشاطها الثقافي الإسلامي قامت حركة إسلامية مغربية ساهمت بنشر الإسلام بين قبائل المغرب[1].

كان من المفترض أن تكون أفريقية المحطة الأولى للأندلسيين لأنها الأقرب إلى الأندلس، وجذور سكان الأندلس موصولة بها بعد ان استقر جزء من الجيش بإفريقية وتابع آخرون باتجاه الأندلس، ولكن الأمر اختلف؛ فعلى الرغم من سبق إفريقية الأندلس بالفتح فإنها لم تحظ بالاستقرار السياسي الحقيقي إلا في فترة متأخرة، إذ نخرتها ثورات البربر التي قامت في وجه العرب، مما حرمها من الاستقرار الذي يعد من أهم أسباب الإبداع الثقافي[2].

ومن ناحية أخرى أدت طبيعة بلاد المغرب الخاصة من حيث بعدها عن حاضرة الخلافة الإسلامية في المشرق، ومن حيث طبيعتها القبلية ولسانها البربري، إلى أن تصبح ملاذاً أو مهرباً لبعض الفرق الإسلامية الخارجة على نظام الخلافة الأموية كالخوارج والصفرية والإباضية، وبعض الشيعة[3].

علاوة على هذا لم يكن لإفريقية وعلمائها الأوائل شهرة ثقافية بحيث تجذب طلاب الأندلس إليها، حتى ظهر سحنون بن سعيد، الذي انجذب إليه طلاب الأندلس، ولم يأخذ سحنون الفقه عن مالك بن أنس بل أخذه عن عبد الرحمن بن القاسم أشهر تلاميذ مالك بمصر، وانتشرت إمامة سحنون في المشرق وفي المغرب، وقد اعتبر إمام أهل عصره، وكان قد دوَّن سحنون ما أفتى به الإمام مالك، وما أجاب عنه في كتاب عرف بالمدونة، وقد تتلمذ على يد سحنون عدد كبير من الطلاب لم يحظ به احد ممن درس مذهب الإمام مالك غيره[4].

وأخذ الأندلسيون يقصدون سحنون للسماع عليه، وأدخلوا مدونته لبلادهم على يد عثمان بن أيوب الذي رحل إلى القيروان وسمع منه وهو "أول من أدخل المدونة إلى الأندلس"[5] وأظهر

---

(1) حسين، حمدي، ص369؛ الفيومي، ص83.

(2) الفيومي، ص83.

(3) نفسه.

(4) ابن عياض، **ترتيب**، ج4، ص(46–47)؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج1، ص569.

(5) ابن عياض، **ترتيب**، ج4، ص243.

سحنون إعجابه بتمسك الأندلسيين بالسنة، فخاطب الأندلسيين بقوله: "يا أهل الأندلس، أنا أحبكم لأنكم قوم سنة وخير"[1]، وأقبلوا على مدونته بشغف كبير حتى أن مدينة إلبيرة كان بها سبعة من العلماء في وقت واحد ممن سمع على سحنون[2]، وكان إبـــراهيم بـــن عجـــنس الزيـــادي(ت. 275هــ/888م) قد اختصر المدونة بعد أن سمعها من مؤلفهـــا[3]، كمـــا ســـمع إبـــراهيم بـــن النعمان(ت. 283هــ/896م) من سحنون بن سعيد، وسكن القيروان وبقي هناك حتـــى تـــوفي بمدينة سوسة[4].

بالتزامن مع الدور الذي لعبته القيروان، فقد لعبت مدينة فاس عاصمة الادارســـة دوراً كبيراً من الناحية العلمية والثقافية بعد أن أستطاع الأدارسة توحيد بلاد المغرب الأقصى تحـــت لوائهم[5].

ومما ساعد في نجاح وديمومة الأدارسة في إقامة كيانهم؛ اشتراك العرب والبربر جنبـــاً إلى جنب، فاستطاعوا بفضل هذه الوحدة أن يحاربوا العقائد الشاذة المنتشرة بين قبائل المغـــرب الأقصى، حيث يعتبر تأسيس مدينة فاس فاتحة عهد جديد في تاريخ البلاد، فأصبحت بعد جامعة القيروان منارة ثانية، وبالتالي كونت شخصيتها المستقلة، وأخذت تبث العلم في ربوع ذلك القطر النائي، مما مكنهم من احلال اللغة العربية محل اللغة البربرية[6].

وقد اعتبرت مدرسة فاس أكثر مدارس المغرب الأقصى تفوقاً، فقصدها الناس من كـــل حدب وصوب، فأصبحت دار فقه وعلم وحديث، وأصبح فقهاؤها يقتـــدي بهـــم جميـــع فقهـــاء المغرب، وتم تشبيهها من قبل بعض المؤرخين بالإسكندرية في المحافظة على علوم الشريعة[7]، الشريعة[7]، وقد أسهم الأندلسيون بالازدهار الفكري في فاس، وذلك بعد فرارهم مـــن الأميـــر الحكم الربضي بعد ثورة الربض[8].

---

[1] ابن عياض، **ترتيب**، ج4، ص7.
[2] ابن الفرضي، ج1، ص(40،41) (65،67)(227،255).
[3] نفسه، ج1، ص42.
[4] نفسه، ص44.
[5] الفيومي، ص(84-85).
[6] الفيومي، ص85.
[7] نفسه.
[8] فيلالي، عبد العزيز، **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب**، ص92.

ومن أهم المراكز العلمية في فاس؛ جامع القرويين الذي أصبح فيما بعد جامعة علمية تستقطب جميع علماء المسلمين، ولم تقتصر على علماء الأندلس فقط، بل قصده جميع العلماء من كل البلاد الإسلامية، كما كان لجامع القرويين أهمية علمية في بلاد المغرب طوال العصور الإسلامية، وما زال يحتفظ حتى يومنا هذا، حيث اعتبر المسجد الوحيد الذي أطلق عليه اسم "جامعة" فعرف بجامعة القرويين دون جامع الأزهر وجامع بغداد، إضافة إلى بعض المدارس التي أسسها الأندلسيون في مدينة فاس وأصبحت معلماً من معالم النهضة العلمية إلى الأن[1].

وقد بلغت مدينة فاس مكانة سامية مكنتها من نشر الثقافة العلمية، وقد وصفها بعض المؤرخين بأنه اجتمع في المدينة علم القيروان وعلم قرطبة، واحتضنت العديد من العلماء، وكان شيوخ العرب يدعونها بغداد الغرب[2]، كما تأثرت الحياة العلمية في مدينة فاس بأعلام الأندلس الذين استقروا فيها، وساعدوا على رفع وتقدم الحركة العلمية فيها، وذلك بتوليهم التدريس أو القضاء أو الإمامة والخطابة في جامع القرويين والجوامع الأخرى الموجودة في فاس، مما أدى إلى استفادة أبنائها من المدرسين الأندلسيين الذين أخذوا ينهلون من علومهم وثقافتهم وآدابهم، حتى إن بعضهم اقتصر على الرحلة في طلب العلم إلى بلاد الأندلس وأخذوا عن علماء الأندلس الموجودين بالمدينة[3].

كما اشتهرت الدولة الرستمية في بلاد المغرب الأوسط بكونها الجسر الذي ضمن استمرار التدفق الحضاري بين المشرق والأندلس، وعن طريق الرستميين نجح أمراء بني أمية في الأندلس من الحصول على ما يحتاجون إليه من كنوز المشرق ومؤلفاته، وبذلك فإن حكام تاهرت[4] قد قاموا بدور الوسيط الثقافي بين بلاد المشرق والأندلس[5].

---

[1] العصيمي، ص275.

[2] نفسه.

[3] نفسه، ص199.

[4] تاهرت: مدينة من مدن المغرب الأوسط على الطريق من تلمسان وعاصمة الأدارسة، وكانت بالأصل مدينتين إحداهن قديمة والأخرى حديثة، وتقع على سفح جبل يسمى قزول، انظر: الحميري، ص126.

[5] سالم، السيد، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، ص483؛ بوباية، عبد القادر، ***علاقة الرستميين بالإمارة الأموية في الأندلس***، **مجلة التراث العربي**، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، ع(99-100)، ص389.

ونتيجة لهذا الدور الثقافي الذي اضطلع به الرستميون ظهرت مؤثرات إباضية في بلاد الأندلس، إذ إنه من الطبيعي أن تترك هذه العلاقات القوية آثارها في الشعب الأندلسي، إلا أنها لم تكن بالقوة ما يظهرها بشكل واضح نتيجة لسيطرة العقيدة السنية المطلقة على الأندلسيين، وقد ظهرت هذه التأثيرات في مناطق الاحتكاك التجاري بين الرستميين والأمويين بمدينة المرية[(1)] التي كان أهلها على مذهب الخوارج[(2)] وكان أحد المعلمين في قرطبة واسمه جابر بن غيث الليلي كثير التشدد في مذهب الخوارج الإباضية[(3)].

وقد رحل إلى الأندلس العديد من علماء الدولة الرستمية يأخذون العلم من علمائها ويروون عنهم، ومن هؤلاء قاسم بن عبد الرحمن التاهرتي(ت. 322هـ/933م) الذي يقول عنه الحميدي: إنه دخل الأندلس وكان من جلساء بكر بن حماد التاهرتي(ت. 296هـ/908م)[(4)] وممن أخذ عنه أيضاً أبو الفضل أحمد بن قاسم الذي روى عنه أبو عمر بن عبد البر(ت. 463هـ/1070م)[(5)].

كما رحل الكثير من علماء الأندلس إلى الدولة الرستمية وتتلمذوا على يد علمائها، ومن هؤلاء قاسم بن اصبغ الذي تتلمذ على بكر بن حماد بن إسماعيل الزناتي، الذي نشأ بتاهرت وأخذ عن علمائها، والتحق بالقيروان سنة 217هـ/832م فأخذ بها عن الامام سحنون وعون بن يوسف(ت. 239هـ/853م)[(6)]، ثم انتقل إلى المشرق وطاف بحواضره العلمية، وتزود منها

---

(1) المرية: مدينة تقع جنوب شرق الأندلس على البحر المتوسط، أمر ببنائها الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة 344هـ/955م، وكانت تشتهر بمينائها البحري الهام وبصناعتها الوفير، انظر: الحميري، ص(537-538).

(2) بوباية، ص389.

(3) ابن الفرضي، ج1، ص156.

(4) بكر بن حماد التاهرتي: ولد بمدينة تاهرت حوالي سنة 200هـ/815م، وتلقى دروسه على مشاهير علمائها وجلة فقهائها، إلى أن بلغ السابعة عشرة من عمره حتى غادر تاهرت متجها نحو إفريقية والمشرق، وسافر إلى القيروان وبغداد، وتلقى العلم على يد عدد من العلماء والشيوخ، ثم عاد إلى تاهرت وتوفي بها، انظر: شاوش، محمد، الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي، ص(43-50).

(5) الحميدي، ص(201-202).

(6) عون بن يوسف: كان رجلاً صالحاً وثقة مأموناً، قدم المدينة سنة 180هـ/796م فادرك أربعين رجلاً من معلمي ابن وهب، منهم عبد الرحمن بن زيد بن أسلم(ت. 182هـ/798م)، وكان يبيع الكتان في حانوت له، انظر: أبو العرب، **طبقات علماء أفريقية**، ص105.

بعلوم الدين والأدب، ثم عاد إلى القيروان ودرس الأدب والحديث، ومنذ سنة274هـ/887م ارتحل إليه الكثير من أهل الأندلس للأخذ عنه والتخرج على يديه[1].

يتجلى مما سبق بوضوح مدى الارتباط الوثيق الذي كان بين الدولة الرستمية في تاهرت والإمارة الأموية في قرطبة، على الرغم من الاختلاف المذهبي، فإن ذلك لم يقف حائلاً دون تشابك العلاقات الثقافية بين الدولتين.

التبادل العلمي بين الأندلس والشام والحجاز

ومن المعروف أن الأندلس كانت قد فتحت على أيدي المسلمين في خلافة الوليد بن عبد الملك(86-96هـ/705-715م)، وظلت ولاية تابعة لدمشق إلى أن استقل بها الأمير عبد الرحمن الداخل سنة 138هـ/755م، وهو أول من أسس ووضع جذور الحضارة الإسلامية الشامية في الأندلس، وقد حرص منذ قيام دولته على تجديد حضارة بني امية في المشرق، وعلى نقل النظم الإدارية المعروفة في المشرق الإسلامي في العهد الأموي، وطبقها في الأندلس تطبيقاً مشابهاً، وقد تم له ذلك على نحو يثير الأعجاب [2].

وعلى صعيد المؤثرات الشامية والتشابه بين الشام والأندلس، فقد تبين أن موقع مدينتي غرناطة وقرطبة يشبه إلى حد كبير موقع مدينتي دمشق وبغداد، فدمشق تقع على الضفة اليسرى لنهر بردى، وقرطبة تقع على الضفة اليسرى لنهر الوادي الكبير، ويطل على دمشق جبل قاسيون، بينما يطل على قرطبة جبل الشارات، زد على هذا التشابه بين البلدين في بيوتهما وأسلوب الحياة فيهما، ومن هنا قال في حقها الجغرافيون العرب: "الأندلس شامية في هوائها وشامية في حياتها "[3].

إما فيما يتعلق بالحياة الدينية في الأندلس فكانت متأثرة بالحياة الدينية السائدة في الشام، وذلك بسبب رحيل الكثير من الفقهاء الأندلسيين إلى الشام، ومنهم؛ صعصعه بن سلام الشامي

---

[1] الحميدي، ص487.

[2] حلاق، حسان، **العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى**، ص29.

[3] حلاق، ص(33-34).

الذي نقل المذهب الأوزاعي إلى الأندلس[1]، ومحمد بن وضاح الذي رحل إلى المشرق وطـاف الكثير من أقطاره في طلب العلم، ومـن الـذين قصـدهم عبـد الـرحمن بـن إبـراهيم(ت. 245هـ/859م)[2] قاضي دمشق المعروف بدحيم، كما رحل إلى المغـرب والمدينـة المنـورة وقصد الكثير من العلماء، ولما عاد إلى الأندلس حدث فيها وأصبح له تلاميذ كثر[3].

وكان من الطبيعي أن تتأثر الدولة الناشئة بالحضارة الشامية ونظمها، فالحياة الأدبية في الأندلس كانت صدى لحياة الشام الأدبية، فالشعر الأندلسي مثلاً كان شعراً كلاسيكياً يحاكي شعر الفرزدق وجرير[4]، وكانت نصوص الشعر في الأندلس كالشعر في الشام، في معظمـه مـدح وهجاء، وكان المديح لدى الأمويين في الأندلس قريباً من الطابع البدوي[5].

وفي الوقت الذي بدأ الشعر العربي يؤثر في البيئة الاسبانية المسيحية كانت اللغة العربية ومصطلحاتها قد سادت الأندلس، وقد اندفع الإسبان وأساقفتهم لدراسة العربية، وكانت كلما مرت السنون ضاعت اللغة الاسبانية بشكل أكثر، بحيث ترجمت فيما بعد بيانـات البابـا وقـرارات المؤتمرات والمجامع المسيحية في القرن التاسع الميلادي إلى اللغـة العربيـة، حتـى يـتمكن المسيحيون الاسبان في الأندلس من فهمها، لأن كثيراً منهم لم يعدوا يفهمون اللاتينية[6].

وبعد وفاة عبد الرحمن الداخل بدأت المؤثرات الشامية والحجازية تتقلص في الأنـدلس، لا سيَّما وأن أجيال الأمويين الجديدة لم يسبق لها أن رأت الشام أو ارتبطت بها كما ارتبط بهـا الجيل الأول، وعلى الرغم مما ذُكر فقد ظهر أثر المدينة المنورة واضحاً في الأندلس، ومن بين المؤثرات الهامة دخول مذهب الامام مالك إلى الأندلس، حيث نتشر مذهبه في عهد الأمير هشام، وكان أول من أدخل هذا المذهب زياد بن عبد الرحمن اللخمي[7]، ومما ساعد على انتشاره فـي

---

(1) ابن الفرضي، ج1، ص278؛ الحميدي، ص350.

(2) عبد الرحمن بن إبراهيم: يكنى أبا سعيد، تولى منصب قضاء مدينة طبرية بفلسطين، وحدث عن عدد من شيوخ عصره منهم سفيان بن عيينة (ت. 198هـ/814م)، كان يعرف بدحيم اليتيم، وقدم إلى بغداد وحدث فيها وروى عنه الكثيرون من أهلها، وكان من أهل الثقة في الحديث، انظر: الذهبي، **سير**، ج11، ص(515-516).

(3) الحميدي، ص140.

(4) أبو الفضل، **دراسات**، ص275.

(5) حلاق، ص(29-30)؛ ضيف، أحمد، ص48.

(6) حلاق، ص(30-31).

(7) الضبي، ج1، ص372.

الأندلس الخلافات السياسية بين العباسيين اتباع المذهب الحنفي وبين الأمويين الـذين اعتنقـوا المذهب المالكي– بعد أن تخلوا عن مذهب الامام الأوزاعي– لأن الامام مالكاً كان معادياً للحكم العباسي، وقد ساعد الفقهاء الأندلسيون على نقل مذهبه إلى الأندلس بعد أن قاموا بزيارات علمية إلى المدينة وإلى بلدان المشرق الإسلامي، ولعل وجود عناصر عسكرية كثيرة من الحجـازيين من الذين وصلوا الأندلس بقيادة موسى بن نصير، ثم وجود تشـابه فـي طبيعـة الحجـازيين والأندلسيين وبساطة حياتهم، كانت من جملة الأسباب التي أدت إلى انتشار واعتناق الأندلسـيين للمذهب المالكي(1).

ويذكر ابن القوطية، انه في أيام عبد الرحمن الداخل، ادخل الغازي بن قيس موطأ مالك إلى الأندلس، وكانت رحلته من المشرق إلى الأندلس بعد دخول عبد الـرحمن الـداخل إليهـا، وأضاف ابن القوطية، بأن زياد بن عبد الرحمن اللخمي رحل إلى المدينة المنورة واجتمع فيهـا بالإمام مالك بن أنس، وكما اجتمع بالإمام مالك قاضي الأندلس –في عهد الأمير هشام– محمـد بن بشير (ت. 198هـ/813م)(2) الذي رحل إلى المشرق وحج بيت الله الحرام، "وسمع من مالك بن أنس سماعاً يسيراً "(3)، وعلى أثر ذلك حل المذهب المالكي محل مذهب الإمـام الأوزاعـي باستثناء المسائل التي تمسك بها الأندلسيون كإجازة غرس الأشجار في صحون المساجد(4).

كما ظهر في الأندلس مؤثرات مشرقية دينية أخرى، ففي طليطلة ظهر مذهب الخوارج، وقد قيل إنه ظهر بالأندلس مذهب الخوارج، وكتب عباس بن ناصح إلى الأمير الحكم الربضـي شعراً ينكر فيه مذهب الخوارج، وعندما علم فيهم الأمير الحكم الربضي اجهز عليهم، ثم عمـد إلى تقريب الفقهاء المالكيين منه، وفي مقدمتهم طالوت بن عبد الجبار "وهو أحد من رووا عـن مالك ونظرائه من أهل العلم"(5).

---

(1) حلاق، ص54.

(2) محمد بن بشير المعافري: لقي مالكاً بن أنس عند توجهه إلى الحج، فلما عاد إلى الأندلس سلمه الأمير الحكم الربضي منصب القضاء، وقد قبل منصبه مقابل شروط منها، نفاذ حكمه على كل أحد من الأمير إلى حارس السوق، وأنه إذا ظهر له العجز من نفسه أعفى، وأن يكون رزقه كفافاً من المال الفيء، وكان من أكثر قضاة الأمير الحكم الربضي كفاءة، انظر: النباهي، ص(47–48).

(3) ابن القوطية، ص56،62،64.

(4) النباهي، ص51.

(5) ابن القوطية، ص67.

ومن الملاحظ أن الأثر الحجازي كان واضحاً في الأندلس بشكل كبير أكثر من بقية المؤثرات الأخرى، وذلك نظراً لكثرة الفقهاء والعلماء والتلاميذ الأندلسيين الذين وفدوا إلى مكة والمدينة، وانتقال الفقهاء الحجازيين إلى الأندلس أيضاً[1].

كما كان الحجاز في القرن الثاني الهجري مركزاً ثقافياً للعلوم الفنية، وفيها ظهرت المدارس الموسيقية الأولى في الإسلام، ثم انتقلت مؤثرات خصائصها إلى الأندلس بوساطة المغنين والمغنيات والجواري الذين نقلوا أيضا العادات والتقاليد الحجازية[2]، وقد وفد على الأندلس عدد من مغنيات المدينة[3]، وكان عدد من الفتيات القادمات من الحجاز متخصصاً بقراءة القرآن الكريم، ونشد المدائح والموشحات الدينية والشعر المتزن الملتزم[4].

التبادل العلمي بين الأندلس ومصر والعراق

انتقلت المؤثرات العربية المصرية إلى الأندلس بوساطة الجنود والرحالة والفقهاء والمغنين والمهنيين، ومن المعروف أن القائد كلثوم بن عياض القشيري(ت. 123هـ/740م)[5] أرسل من مصر في زمن الخليفة هشام بن عبد الملك(105-125هـ/724-743م) إلى الأندلس وأفريقية ثلاثة آلاف مقاتل مصري لمقاتلة البربر، ثم اتبعهم بثلاثين ألفاً من الشاميين، وأعداد أخرى تبعتهم فيما بعد، ولذا فإن المؤثرات الاجتماعية والثقافية والدينية انتقلت من مصر إلى الأندلس بصورة أو بأخرى[6].

وفي مصر ساد المذهب المالكي بعد أن انتقل إليها من المدينة، وعندما رحل الفقهاء الأندلسيون إلى مصر حملوا عند عودتهم إلى الأندلس تعاليم المذهب المالكي وعملوا على نشره

---

[1] حلاق، ص56.

[2] عاشور، سعيد؛ العبادي، أحمد مختار؛ عبد الحميد، سعد، **دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية**، ص(113-114).

[3] المقري، ج3، ص142.

[4] نفسه، ص140.

[5] كلثوم بن عياض القشيري: ولاّه إفريقية وندبه هشام بن عبد الملك سنة 122هـ/740م لقتال البربر، وسير معه جيشاً ضخماً في نحو ثلاثين ألف مقاتل، وعهد إلى الجيش، بأنه إذا حدث لكلثوم حادث فالأمير بعده ابن أخيه بلج بن بشر القشيري، فإن أصيب فالأمير بعده ثعلبة بن سلامة الجذامي، ودارت بينه وبين البربر حروب عظيمة، إلا أنه قتل في إحداها، انظر: البلاذري، ص321؛ ابن عذارى، ج2، ص20،(22-23).

[6] حلاق، ص59.

فيها، وبالرغم من أن الإمام الليث بن سعد كان مصرياً، وكان يعيش في مصر، غير أن المصريين فضلوا مالكاً عليه؛ فإن الكثير من الأندلسيين الذين درسوا في مصر على الإمام الليث بن سعد، نقلوا مذهبه إلى الأندلس، حيث ظلت بعض تعاليمه وأحكامه معمولاً بها إلى جانب المذهب المالكي حتى أواخر الحكم الإسلامي في الأندلس[1].

والحقيقة، فإن المؤثرات المذهبية في مصر قد انتقلت إلى الأندلس بوساطة التبادل الحضاري والعلمي والرحلات القائمة بين البلدين، وبوساطة بعض الفقهاء والتلاميذ الذين وفدوا من الأندلس والمغرب، والذين تلقوا علومهم على فقهاء مصريين أمثال: عبد الرحمن بن القاسم، وعبد الله بن وهب، وأشهب بن عبد العزيز[2] ونصر بن مرزوق المصري[3] الذي أخذ عنه محمد بن فطيس بن واصل الغافقي الألبيري(ت. 319هـ/931م)[4].

وذكر الحميدي الكثير من الفقهاء الأندلسيين الذين تتلمذوا في مصر، وكذلك الفقهاء المصريين الذين رحلوا إلى الأندلس، ومن الفقهاء الأندلسيين الذين رحلوا إلى مصر محمد بن هارون بن عبد الرحمن بن عبد الفضل بن عميرة العتقي(ت. 306هـ/918م)، حيث سمع فيها من الفقيه أبي يزيد يوسف بن يزيد بن كامل بن حكيم القراطيسي(ت. 287هـ/900م)[5] ثم عاد عاد إلى الأندلس وحدث فيها وتوفي بها[6].

وقد رحل إلى مصر –أيضاً– الفقيه الأندلسي أبو اسحاق إبراهيم بن موسى بن جميل (ت. 300هـ/912م)، وهو مولى بني أمية، وسمع فيها عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم

---

(1) حلاق، ، ص(62-63).

(2) نفسه، ص63.

(3) نصر بن مرزوق المصري: يكنى أبا الفتح، روى عن الخصيب بن ناصح ووهب الله بن راشد(ت. 211هـ/826م) ومحمد بن أسد وخالد بن نزار، وقالوا عنه: إنه صدوق، انظر: الرازي، **الجرح والتعديل**، ج8، ص477.

(4) الحميدي، ص126.

(5) يوسف بن يزيد القراطيسي: يكنى أبا يزيد، مولى أمير مصر عبد العزيز بن مروان، سمع من أسد بن موسى السنة وعدد كبير من شيوخ عصره، وحدث عنه عبد الله بن جعفر، وعلي بن محمد الواعظ، وكان من أوثق الناس، انظر: الذهبي، **سير**، ج13، ص455.

(6) الحميدي، ص143.

(ت. 268هـ/881 م)[1]، كما رحل إلى العراق وسمع من فقهائهـا، ثـم عـاد فحـدث فـي الأندلس[2].

كما انتقل إلى الأندلس –أيضاً– مذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي بوساطة الفقيـه بقيّ بن مخلد في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، ولكنْ لم يقدر له الانتشـار كثيـراً بسـبب معارضة المالكية له[3].

وأما من الناحية التاريخية فقد كان المؤرخون المصريون على علم بأخبـار الأنـدلس، ومنهم المؤرخ عبد الله لهيعة(ت. 154هـ/770م)[4] الذي كان يلاحق القادمين مـن الأنـدلس، فيسألهم ليدون مشاهداتهم ومعارفهم، غير أن كتاباته ضاعت وورد ذكرها في مصادر أخرى[5]، أخرى[5]، أما أقدم كتاب وصل إلينا عن تاريخ المغرب والأندلس فهـو الـذي كتبـه المـؤرخ المصري عبد الرحمن بن عبد الحكم، وعنوانه "فتوح مصر والأندلس"، وقد انتشر هذا الكتـاب في الأندلس وأخذ عنه الكثير من المؤرخين أمثال: ابن الفرضي والحميدي، وكان عبـد الحكـم عالماً بالتاريخ فقيهاً صديقاً للإمام الشافعي، وقد تضمن كتابه معلومات هامة عن تاريخ مصـر والاقباط، ومعلومات هامة عن تاريخ الأندلس وإفريقية وبلاد المغرب والنوبة[6].

والأمر اللافت للنظر أن الأندلسيين تأثروا بمنهج عبد الرحمن بن عبد الحكم في التاريخ لا سيما تاريخ بلادهم، فأقدم كتاب وضعه الأندلسيون عن تاريخ بلادهم هو تاريخ عبد الملك بن حبيب السلمي الذي عاش في القرن الثالث الهجري ودرس فترة طويلة في مصر، ونقل في كتابه

---

[1] محمد بن عبد الله بن عبد الحكم: سمع عن عبد الله بن وهب وعدد كثير من شيوخ عصره، وكان عالم الديار المصرية في عصره مع المزني(ت. 264هـ/878م)، وهو من أعرف الناس بأقاويل الصحابة والتابعين، وقيل: إنه تفقه على مالك وأقام عنده، وله العديد من المصنفات منها؛ "أحكام القرآن"، انظر: الذهبي، **سير**، ج12، ص(497–500).

[2] الحميدي، ص224.

[3] نفسه، ص252.

[4] عبد الله بن لهيعة: قاضي مصر وكان من الكتابين للحديث، وكان كثير الترحال لطلب العلم، روى عن الأعرج(ت. 117هـ/735م) وابن وهب وأبي الزبير(ت. 128هـ/746م)، احترقت كتبه كلها قبل موته بأربع سنين، وكان ممن سمعه قبل ذلك عبد الله بن وهب(ت. 197هـ/813م) وعبد الله بن المبارك(ت. 181هـ/797م)، انظر: ابن حبان، **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**، ج1، ص504.

[5] ابن حبان، ج1، ص504.

[6] بالنثيا، ص196.

كل ما سمعه من روايات عن شيوخه المصريين، ثم عاد إلى قرطبة حيث كـان يعقـد حلقـات دروسه في المسجد الجامع[1].

ومن الناحية الفنية فقد استقدم أمراء بني أمية في الأندلس المغنين والمغنيات من مصر، ومن هؤلاء عبد الواحد الاسكندراني الذي كان مغنياً وأديباً، ولهذا فقد قربه الأمير عبد الرحمن الأوسط وولاه الوزارة وأمور المدينة[2].

بدأت المؤثرات العراقية في الأندلس تظهر بوضوح منذ أيام الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور الذي أسس مدينة بغداد سنة145–149هـ/762–766م وجعلها عاصمة لدولته ومقراً لخلافته، وأصبحت بغداد مدينة حضارية عالمية امتزجت فيها مختلف الثقافات وسكنتها عناصر من مختلف الأجناس والأقوام كالفرس والهنود والروم والصينيين، وقد بـدأت هـذه العناصـر بالمساهمة في إيجاد حضارة متجانسة على الرغم من اختلاف الاجناس فيهـا، فسـاهمت فـي الترجمة والمؤلفات والعلوم الفارسية والهندية والاغريقية والمصرية، فجـرى تعريـب أحكـام سقراط وأفلاطون وأرسطو، كما ترجم من العربية إلى اللاتينية الكثير من المؤلفات العلمية[3].

وقد ارتبط هذا التطور العلمي بتطور صناعة الورق وتجليد الكتب ونسخها وتصحيحها مما ساعد على انتشار الحضارة العراقية مع غيرها من الحضارات الأخرى، وقد أصبحت بغداد بمثابة مدينة علمية يرحل إليها طلاب العلم من مختلف مناطق العالم الإسلامي، فشـهد العـراق موجات أندلسية لتلقي العلم والفقه والمعرفة[4]، وقد آثر الأمير عبد الرحمن الأوسط الابتعاد عن سياسية من سبقه من الأمراء الأمويين، وهي السياسة القائمة على الابتعاد عن العـراق، فبـدأ بالأخذ من الحضارة العراقية، وشبه نفسه بالخليفة العباسي في مظهره وملبسه، كما فتح أبـواب الأندلس للتجار العراقيين، فامتلأت الأندلس بالبضاعة والصناعات العراقية[5].

---

(1) الحميدي، ص(407–408)؛ ابن عياض، **ترتيب**، ج4، ص123.

(2) ابن حيان، ص30.

(3) عاشور، ص129.

(4) نفسه.

(5) بروفنسال، ص44؛ عاشور، ص130.

وفي عهد عبد الرحمن الأوسط شهدت قرطبة مؤثرات فنية وأدبية عراقية، ومما ساعد على ذلك أن الأمير عبد الرحمن كان محباً للعلم والعلماء فأحسن استقبالهم وأكرم ضيافتهم، وقد نقل علماء العراق وفقهاؤه معهم الكثير من المؤثرات الأدبية والعلمية العراقية، إلى جانب المؤثرات الشامية والحجازية والمصرية[1].

وقد استمر هذا التقليد إلى عهد الأمير عبد الرحمن الناصر، الذي رغم معارضته لدعوة الفاطميين في المشرق، غير أنه أتبع التقليد المشرقي بعامة والعراقي بخاصة، فلقب نفسه الناصر لدين الله، كما اقتدى بخلفاء بني العباس في الكثير من الأمور العسكرية[2].

أما فيما يختص بالحياة الدينية في الأندلس، فقد تأثرت في فترات متباعدة بالمؤثرات الدينية السائدة في العراق، فبالرغم من أن البعض يعتبر أن أنتشار المذهب المالكي في الأندلس هو من المؤثرات الحجازية، غير أن المذهب المالكي الذي انتشر في العراق أيضاً، نقله بعض الفقهاء إلى الأندلس عبر العراق وليس عبر الحجاز والمدينة فحسب[3]، ومن فقهاء الحديث ورواته الأندلسيين أولئك الذين زاروا بغداد ونقلوا معهم مذهب الإمام مالك: يحيى بن يحيى الليثي، وقرعوس بن العباس، وعيسى بن دينار، علماً ان هناك كوكبة من فقهاء الأندلس زاروا العراق ودرسوا وأطلعوا على مذهب الامام ابن حنبل ومذهب الامام الحنفي مذهب العباسيين في بغداد، ولكن لم يقدر له الانتشار كثيراً في الأندلس بسبب الخلافات بين الأمويين والعباسيين[4]، ومن الذين زاروا العراق أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن أيمن بن فرج(ت. 330هـ/941م) الذي رحل وسمع عن احمد بن حنبل وطبقته وحدث بالمشرق والأندلس وصنف السنن[5].

إما فيما يتعلق بالحياة الأدبية فقد رحل الكثير من العلماء الأندلسيين إلى العراق مما مكنهم ذلك من التزود بالثقافة والعلم والأدب وعادوا إلى بلادهم حاملين معهم نفائس المؤلفات في اللغة والعلوم[6]، وممن اشتهر من العلماء الذين قصدوا بغداد جودى النحوي الذي رحل إلى

---

[1] حلاق، ص42.

[2] نفسه.

[3] بروفنسال، ص41.

[4] الحميدي، ص432،491،566.

[5] نفسه، ص106.

[6] البيومي، محمد، **الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير**، ص31.

العراق ولقي الكسائي والفراء وغيرهما، وهو أول من أدخل كتاب الكسائي إلى الأندلس[1]، وقد دخل الى بغداد أيضاً أبو عثمان سعيد بن الفرج(ت. 272هـ/885م) المعروف بالرشاش الذي كان عالماً باللغة والشعر وقيل: إنه كان يحفظ أربعة الآف أرجوزة، وقد ضرب به المثل بفصاحته في الأندلس[2].

وتتابع علماء الأندلس على هذا المنوال في نقل العلوم والمعارف إلى وطنهم، ومنهم أيضاً عبد الله بن محمد بن قاسم بن هلال القرطبي(ت. 272هـ/885م) الذي رحل ودخل العراق، ولقي أبا سليمان داود بن سليمان القياسي، فكتب عنه كتبه كلها وأدخلها الأندلس[3]، بالإضافة إلى محمد بن عبد السلام الخشني، الذي رحل من الأندلس قبل العام240هـ/854 م ودرس في بغداد وسمع وتتلمذ على يد أبي عبيد القاسم بن سلام، وقد ادخل إلى الأندلس علماً كثيراً في الحديث واللغة العربية وآدابها وقصائد شعرية[4].

كما رحل الأديب قاسم بن ثابت السرقسطي إلى العراق في طلب العلم فكان من نتائج رحلته ان جلب معه كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، وكان لهذا المعجم تأثير كبير على الأندلسيين فأقبلوا على قراءته والإفادة منه[5].

وفي عصر الإمارة أدخل العالم الأندلسي فرح بن سلام إلى الأندلس بعض كتب الجاحظ والذي التقى به في العراق وأخذ عنه العلم[6]، كما سمع يحيى بن أصبغ بن خليل من أبي سعيد المسعري كتاب الخلفاء للمدائني وأدخله إلى الأندلس[7].

وكان شعر المحدثين وأخبارهم قد انتشر ببلاد المغرب والأندلس وكان ممن أدخله إلى الأندلس عثمان بن المثنى أحد مؤدبي قرطبة، وكانت له رحلة إلى المشرق التقى فيها أبا تمام فقرأ عليه شعره وأدخله الأندلس[8].

---

(1) الزبيدي، ص256.
(2) ابن الفرضي، ج1، ص232؛ الحميدي، ص328.
(3) ابن الفرضي، ج1، ص297.
(4) الحميدي، ص107.
(5) ابن الفرضي، ج1، ص462.
(6) نفسه، ص451.
(7) نفسه، ج2، ص233.
(8) الزبيدي، ص266.

وكان الشاعر الأديب عباس بن ناصح يمثل برحلاته العلمية أوضح صور التأثير الثقافي للمشرق في الأندلس، فقد التقى الأصمعي وتردد على كثير من الأحياء العربية في العراق، مما انعكس ذلك على ثقافته التي أسهمت بدورها في نشاط الحركة العلمية الأندلسية[1]، كما أنه لعب دوراً مهماً في نقل التراث الفكري المشرقي إلى الأندلس[2]، كما التقى الشاعر مؤمن بن سعيد أبا أبا تمام في بغداد[3].

أما من ناحية العلوم الرياضية، فقد شهدت مرحلة من التقدم في القرن الثالث الهجـــري، فظهر عدد من العلماء الاندلسيين الذين أخذوا علومهم عن بلاد المشرق وجمعوا بين دراسة علم الحساب والعدد والنجوم، وألفوا فيها العديد من الكتب القيمة التي جاءت بفضل الجهود الكبيـــرة التي بذلوها في الاطلاع على المصادر الهندية والإغريقية أثناء وجودهم في المشرق، وبالنســـبة إلى الهندسة فقد اعتمدوا على كتاب إقليدس في الهندسة الذي يسمى أيضاً بكتـــاب الأصـــول أو كتاب الأركان، وقد ترجم هذا الكتاب في المشرق في عهد أبي جعفـــر المنصـــور، ثـــم أســـهم الأندلسيون في الدراسات التي اعتمدت عليه[4].

وقد اشتهر من علماء بغداد الذين قصدوا الأندلس في عصر الإمارة أبو اليسر إبـــراهيم بن محمد الشيباني الرياضي، وكان أديباً ورياضياً، بغدادي الأصل درس على يد عدد من علماء بغداد المرموقين ومنهم الجاحظ والكثير غيره، وقد قصد الأندلس من أجـــل العـــيش والـــرزق والحصول على الثقافة في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الذي استقبله بترحاب، وأكرمـــه، ومنحه ألف دينار تقديراً لعلمه وشهرته عند أهل الأندلس[5].

وقد تأثرت الفلسفة أيضاً بالمشرق، ومن المعتقد أن محمد بن مسرة قد تـــأثر بـــالآراء الاعتزالية خلال وجوده في المشرق، لا سيَّما البصرة التي عرفت باستقطاب زعماء الاعتزال،

---

(1) ابن الفرضي، ج1، ص387.

(2) ابن سعيد المغربي، ج1، ص45.

(3) نفسه، ص132.

(4) ذنون طه، **دراسات أندلسية**، ص(196–197).

(5) المقري، ج3، ص134.

وقد عمد ابن مسرة إلى نشر مبادئ الاعتزال في الأندلس، وذلك بعد عودته من المشرق، كالقول بالقدر والاستطاعة والقول بالوعد والوعيد[1].

أما من الناحية الفنية فقد اشتهرت بغداد بالموسيقى والغناء، ووفد منهـا إلـى الأنـدلس الكثير من المغنيات، وبدأت الموسيقى العراقية تنتشر في مدن ومناطق الأندلس، بالإضافة إلـى الموسيقى المدنية[2]، وفي أوائل عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط وصل إلـى قرطبـة المغنـي العراقي أبو الحسن علي ابن نافع الملقب بزرياب، الذي نقل إلى الأندلس المقومات الموسـيقية العراقية، مما طغى ذلك على مدرسة الحجاز الموسيقية، وقد علم الأندلسـيين طرقـاً موسـيقية جديدة في كيفية التأليف والأداء[3]، ونظراً لأهمية زرياب الفنية فقد ألف أبو الحسن أسلم بن أحمد بن سعيد كتاباً مهماً في أغاني زرياب[4]، كما كان لزرياب أثر واضح في الحياة الاجتماعية، فقد نقل معه أسلوب تنظيم الألبسة والأطعمة وترتيبها[5].

وهناك عبد الله بن حسين بن عاصم الثقفي القرطبي الذي رحل إلى بغداد ولقـي فيهـا الفنان مخارق المغني(ت. 231هـ/846م)[6]، أحد ثلاثة مغنين اشتهروا بالطرب فـي عصـر الخليفة هارون الرشيد، وكان شاعراً جيداً تولى وظيفة الشرطة بقرطبة، وكان من جلساء الأمير الأندلسي محمد بن عبد الرحمن الاوسط[7].

نستنتج مما سبق ذكره مدى التأثير والتأثر العلمي بين الأندلس وبلاد المغرب والمشرق خلال عصر الإمارة، التي شهدت الكثير من مظاهر الاقتباس من البلاد المختلفة، ثم ما لبث هذا التأثر أن قلَّ بعد فترة من الزمن لتأخذ الأندلس طريقها نحو استقلال الشخصية العلميـة خـلال

---

(1) ابن الفرضي، ج2، ص55.

(2) المقري، ج3، ص128.

(3) الكزبري، سلمى، **بصمات عربية ومشرقية في الأندلس**، ص 28؛ وات، موانتغمري، **في تاريخ إسبانيا الإسلامية**، ص84.

(4) الحميدي، ص245.

(5) عاشور، ص(132-133).

(6) مخارق المغني: أبو المهنا، المغني المشهور، كان بارعاً في الغناء، عمل لدى الخليفة هارون الرشيد، وكان الخليفة يجعل بينه وبين مغنيه ستارة، فلما سمع مخارق ازال الستارة، أنظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ج2، ص260.

(7) ابن سعيد المغربي، ج1، ص101.

عصر الخلافة، وذلك لإبراز ذاتها بين بقية الأقطار الإسلامية، وبدأت الحركة العلمية الأندلسية تتخذ قالباً جديداً وشكلاً مغايراً عما اقتبسته من بلاد المغرب والمشرق خلال الثلاثـــة القـــرون السابقة.

الخاتمة

بعد أن تم بعون الله وفضله الانتهاء من كتابة هذه الدراسة وإتمامها، فإنه يمكن أن نجمل أبرز النتائج التي توصلت إليها في النقاط الآتية:

أشادت المصادر التي أرخت للأندلس بدور الأمراء الأمويين في رعاية الحركة العلمية وشغفهم الشديد بالعلم، بدءاً من الأمير عبد الرحمن الداخل الذي شكل عهده قاعدة قوية للنهوض بالحركة العلمية وانتهاءً بالأمير عبد الرحمن الناصر.

أسس العرب في الأندلس الكتاتيب لتعليم الصبيان اللغة العربية وآدابها ومبادئ الدين الإسلامي على غرار نظام الكتاتيب في المشرق، كما انتشرت الحلقات التعليمية في أغلب جوامع الأندلس، وبشكل خاص في المدن الرئيسية كقرطبة وإشبيلية وطليطلة.

عرفت الأندلس أول ما عرفت من المذاهب الفقهية مذهب الأوزاعي ثم المذهب المالكي الذي دخل الأندلس في حياة مالك، وذلك بفضل من درسوا عليه من التلاميذ الأندلسيين ونقلوا كتابه الموطأ وكان الغازي بن قيس، وزياد بن عبد الرحمن اللخمي الملقب بشبطون، هما أول من أدخل مذهب مالك إلى الأندلس، كما أسهما في انتشار المذهب المالكي في الأندلس، إلا أن هذا لم يحد من دخول مذاهب أخرى مثل المذهب الشافعي والظاهري، وقد تعرضت هذه المذاهب لمضايقات علماء المالكية، كذلك فعلوا فيما يتصل بالقراءات القرآنية، إذ اختاروا قراءة نافع بن أبي نعيم قارئ أهل المدينة، وكان الغازي بن قيس هو أول من أدخل قراءته إلى الأندلس، وتأصلت هذه القراءات في البلاد الأندلسية منذ ذلك الوقت.

امتاز الشعر الأندلسي بألفاظه العذبة السلسة ومعانيه الواضحة البسيطة البعيدة عن التعقيد والتلميح، وقد انتزع صوره واخيلته من البيئة الأندلسية الغنية بمظاهر الجمال الطبيعية، أما بالنسبة للأوزان والقوافي فقد التزموا بوحدة الأوزان والقوافي بدايةً، ثم ابتدعوا أوزاناً جديدة لانتشار الغناء في مجالسهم ونوعوا في القوافي وقد تمثل ذلك في الموشحات، من أشهر شعراء العصر الأندلسي في تلك الفترة: يحيى الغزال والقلفاط وعاصم بن زيد، أما من ناحية الغناء فقد اشتهر علي بن نافع الملقب بزرياب بدوره الكبير في تطور الألحان الأندلسية، إذ أضاف وتراً

خامساً للعود، واستخدم مضراب العود من قوادم النسر بدلاً من الخشب، ويعتبر زرياب مؤسس المدرسة الموسيقية الأندلسية.

برع الأندلسيون بعلمي الفلك والكيمياء، ومن علماء الأندلس في هذين العلمين؛ عباس بن فرناس إذ كان من أعلام الأمير الحكم الربضي، فقد برع في ميدان العلوم البحتة حيث اظهـــر فيها براعته المدهشة بعد أن انكب على معالجة البحوث الطبيعية والكيميائية والفلكيـــة، وأكبـــر انجازاته محاولته الطيران، أضف إلى هذا الكثير من مخترعاته الكيميائية.

نالت العلوم الاجتماعية عناية واهتماماً في تلك الفترة، وأصبحت موضع اهتمام وإقبـــال من الأندلسيين، إذ أن الروايات التاريخية كانت تروى مشافهة بالطريقة التقليديـــة أو المـــدونات التي تسجل الأحداث شهراً بشهر، أما بالنسبة إلى علم المنطق والفلسفة فقد اشتهر ابـــن مســـرة بمذهبه الفلسفي، حيث مهد الطريق لفكر فلسفي حر، تبعه فيما بعد تلاميذه الذين اشاعوا فكـــره ونشروا كتبه.

يبدو أن الملامح الشامية للحضارة العربية دخلت الأندلس في عصر التأسيس من عصر الإمارة، وأن الملامح الحجازية دخلت في عصر التوطيد، كما بدت الملامح العراقية في عصر الاستقرار والازدهار من عصر الإمارة وما تلاه من عصور.

شكلت العلاقات بين الأندلس وبلاد المغرب المحطة الأولى للأندلســـيين حيـــث جـــذبت الطلاب الأندلسيين إليها، فقد أخذوا عن علماء القيروان مثل: سحنون بن سعيد، كما أسهمت فاس عاصمة الأدارسة بجذب العلماء الأندلسيين، حيث قصدوها في تلك الفترة لأنها شكلت دار فقـــه وعلم وحديث، كما اشتهرت الدولة الرستمية بكونها الجســـر الـــذي ضـــمن اســـتمرار التـــدفق الحضاري بين المشرق والأندلس، ولعبت دور الوسيط الثقافي بين الجهتين.

تركت العلاقات العلمية بين الأندلس والشام بصمتها في الحياة الأدبيـــة، فكـــان الشـــعر الأندلسي كلاسيكياً يحاكي شعر جرير والفرزدق، كما كان للشام أثر في الحيـــاة الدينيـــة فـــي الأندلس، حيث شهدت الأندلس كثيراً من الفقهاء الذين ارتحلوا إلى الشام كي ينهلوا عن علمائـــه ومن ثم العودة إلى الأندلس لتدريس هذه العلوم المشرقية، أما فيما يتعلق بالعلاقات العلمية بـــين

الأندلس والحجاز فقد ظهر أثر المدينة المنورة واضحاً في الأندلس، وذلك بسبب نقـل الفقهـاء الأندلسيين مذهب الإمام مالك بن انس إلى الأندلس بعد رحلاتهم العلمية إلى المدينة المنورة.

شكلت مصر القاعدة في وضع أسس علم التاريخ الأندلسي، حيـث أعطـى كـلٌ مـن المصريين والأندلسيين أهمية كبرى لتدوينه وكتابته، كما لعبت مصر دور الوسيط فـي نشـر المذهب المالكي في الأندلس، ولعبت العلاقات بين الأندلس والعراق دوراً كبيراً في نقل ملامـح الحركة الفنية والأدبية من العراق إلى الأندلس، وقد وصلت هذه العلاقة الثقافية أوجها أيام الأمير عبد الرحمن الأوسط، حيث نشط المرتحلون من الأندلس إلى العراق زرافات ووحداناً، ولم يطفُ الاختلاف السياسي إلى السطح، فكان الطالب الأندلسي ينتقل بين الحواضـر المشـرقية، فـلا حواجز عسكرية ولا نقاط جمركية ولا فواصل حدودية بين المسلمين.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

ابن الأبار، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن أبي بكر(ت. 658هـ/1260م):

- **التكملة لكتاب الصلة**، 4أجزاء، تحقيق: عبد السلام الهـراس، (د.ط)، دار الفكـر للطباعة والنشر،(د.م)، 1995م.
- **الحلة السيراء**، جزءان، تحقيق حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، (د.م)، 1985م.

ابن الأثير، أبو الحسن، علي بن أبي الكرم محمد(ت. 630هـ/1232م): **الكامل في التاريخ**، 11جزءاً، تحقيق: محمد يوسف الدقاق، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.

ابن أبي أصيبعة، أبو العباس، أحمد بن القاسم الخزرجي(ت. 668هـ/1269م): **عيون الأنباء في طبقات الاطباء**، جزءان، (د.ط)، شتراوس، ألمانيا، 1995م.

ابن بشكوال، القاسم خلف بن عبد الملك الأندلسي(ت. 578هـ/ 1183م): **كتاب الصلة**،3أجزاء، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008م.

البلاذري، أبو العباس، أحمد بن يحيى بن جابر(ت. 297هـ/892م): **فتوح البلدان**، تحقيق: عبد الله وعمر الطباع، (د.ط)، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، 1987م.

ابن تغري بردي، أبو المحاسن، جمال الدين يوسف (ت. 874هـ/1470م): **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، 16جزء، (د.ط)، وزارة الثقافة، القاهرة، 1963م.

الثعالبي، أبو منصور، عبد الملك بن محمد النيسابوري(ت. 429هـ/1038م): **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، 5أجزاء، تحقيق: مفيد محمـد قميحـة، ط1، دار الكتـب العلميـة، بيروت، 1983م.

الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر(ت. 255هـ/869م): **البيان والتبيين**، 4أجـزاء، تحقيـق: عبد السلام هارون، ط7، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998م.

الجزري، شمس الدين بن أبي الخير محمد بن علي(ت. 833هـ/ 1429م):

- **غاية النهاية في طبقات القراء**، جزءان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006م.
- **النشر في القراءات العشر**، جزءان، تحقيق: علي محمد الضباع، (د.ط)، المطبعة التجارية الكبرى، (د.م)، (د.ت).

الجزي، أبو القاسم، محمد بن أحمد الكلبي(ت. 741هـ/1340م): **التسهيل لعلوم التنزيل**، جزءان، تحقيق: محمد سالم هاشم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م.

ابن الحاج العبدري، أبو عبد الله، محمد بن محمد(ت. 737هـ/1336م): **المدخل**، 4أجزاء، مكتبة دار التراث، القاهرة، (د.ت).

ابن حبان، أبو حاتم، محمد التميمي(ت. 354هـ/965م): **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**، جزءان، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، ط1، دار الصميعي، (د.م)، 2000م.

ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين أحمد(ت. 852هـ/1448م): **تهذيب التهذيب**، 12جزء، ط1، دائرة المعارف النظامية، الهند، 1908م.

ابن حزم الأندلسي، أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد(ت. 456هـ/1064م):

- **الفصل في الملل والنحل والأهواء**، 5أجزاء، (د.ط)، مكتبة السلام العالمية، (د.م)، (د.ت).
- **رسائل ابن حزم الأندلسي**، 4أجزاء، تحقيق: إحسان عباس، (د.ط)، المؤسسة العربية لدراسات والنشر، (د.م)، 1987م.
- **المحلى بالآثار**، 11جزء، تحقيق: أحمد شاكر، (د.ط)، المطبعة المنيرية، القاهرة، 1933م.
- **طوق الحمامة في الألفة والألاف**، (د.ط)، مكتبة عرفة، دمشق، (د.ت).

- **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق: عبد السلام هارون، ط5، دار المعارف، القـاهرة، (د.ت).

الحموي، أبو عبد الله، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله(ت. 622هـ/1225م): **معجـم الأدبـاء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، 7أجزاء، تحقيق: إحسان عبـاس، ط1، دار الغـرب الإسلامي، (د.م)، 1993م.

الحميدي، أبو عبد الله، محمد بن عبدالله الأندلسي(ت. 488هـ/1295م): **جذوة المقتـبس فـي تاريخ علماء الأندلس**، تحقيق: بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008م.

الحميري، أبو عبد الله، محمد بن محمد(ت.900هـ/ 1494م): **الروض المعطـار فـي خبـر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، 1984م.

ابن حيان، أبو مروان، حيان بن خلف القرطبي(ت. 469هـ/1076م): **المقتبس من أنباء أهل الأندلس**، (د.ط)، دار الكتاب العربي، بيروت، 1973م.

ابن خاقان، أبو النصر، الفتح بن محمد الإشبيلي(ت. 529هـ/1135م): **مطمح الانفس ومسرح التأنس**، تحقيق: محمد علي شوابكة، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983م.

الخشني، أبو عبد الله، محمد بن حارث بن أسد القيرواني(ت. 361هـ/971م):

- **أخبار الفقهاء والمحدثين**، (د.ط)، تحقيق: ماريا لويسا ولويس مولينـا، المجلـس الأعلى للأبحاث العلمية معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1999م.

- **قضاة قرطبة وعلماء أفريقية**، تحقيق: عـزت العطـار، ط2، مكتبـة الخـانجي، القاهرة، 1994م.

ابن الخطيب البغدادي، أبو بكر، أحمد بن علي بن ثابت(ت. 463هـ/1070م): **تـاريخ مدينـة السلام(تاريخ بغداد) وذيله والمستفاد**، 13جزء، تحقيق: بشار عواد معروف، ط 1، دار الغرب الإسلامي، (د.م)، 2001م.

ابن خلدون، أبو زيد، عبد الرحمن بن محمد(ت. 808هـ/1406م):

- **تاريخ ابن خلدون**، 8أجزاء، (د.ط)، دار الفكر، بيروت، 2001م.

- **شفاء السائل وتهذيب المسائل**، تحقيق:محمد الحافظ، ط1، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، 1996م.

ابن خلكان، أبو العباس، شمس الدين(ت. 681هـ /1282م): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، 8أجزاء، تحقيق: إحسان عباس، (د.ط)، دار صادر، بيروت، 1977م.

خليفة بن خياط، أبوعمرو، بن خليفة الشيباني(ت. 240هـ/854م): **تاريخ خليفة بن خياط**، تحقيق: أكرم العمري، ط2، دار طيبة، الرياض، 1985م.

ابن دحية الكلبي، أبو الخطاب، عمر بن الحسن(ت. 633هـ/ 1235م): **المطرب من أشعار أهل المغرب**، جزءان، تحقيق: إبراهيم الآبياري، وحامد عبد المجيد،(د.ط)، دار العلم للملايين، بيروت،(د.ت).

الإدريسي، أبو عبد الله، محمد بن محمد بن عبد الله(ت. 560 هـ/ 1166م): **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، جزءان، (د.ط)، مكتبة الثقافية الدينية، القاهرة، 2002م.

الذهبي، أبو عبد الله، شمس الدين محمد(ت. 748هـ/ 1474م):

- **العبر في خبر من غبر**، 4أجزاء، تحقيق: محمد زغلول، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م.

- **سير أعلام النبلاء**، 25جزء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ونذير حمدان، ط7، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1990م.

- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، 51جزء، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1991م.

- **نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء**، 3أجزاء، تحقيق: شعيب الارنؤوط، ط1، مؤسسة الرسالة، (د.م)، 1991م.

الرازي، ابو محمد، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد(ت. 327هـ/938م): **كتاب الجرح والتعديل**، 9أجزاء، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1953 م.

الزبيدي، أبو بكر، محمد بن الحسن(ت. 379هـ/989م): **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين محمد بن عبد الله(ت. 794هـ/1392م): **البرهان في علوم القرآن**، 4أجزاء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د.ط)، مكتبة دار التراث، القاهرة، (د.ت).

سحنون، أبو سعيد، عبد السلام بن سحنون التنوخي(ت.240هـ/ 854م): **كتاب آداب المعلمين**، تحقيق: حسني عبد الوهاب، (د.ط)، (د.ن)، تونس، 1972م.

ابن سعد، أبو عبد الله، محمد بن سعد بن منيع(ت.230هـ/845م): **طبقات ابن سعد**، 11جزء، تحقيق: علي محمد عمر، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001م.

ابن سعيد، أبو حسن، نور الدين علي بن موسى(ت. 685هـ/1286م): **المغرب في حلى المغرب**، جزءان، تحقيق: شوقي الضيف، ط3، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

السقطي، أبو عبد الله، محمد بن أبي محمد المالقي(ت.500هـ/1107م): **كتاب في آداب الحسبة**، (د.ط)، (د.ن)، (د.م)، (د.ت).

السلمي النيسابوري، محمد بن الحسين بن محمد بن موسى(ت. 412 هـ/1021م): **الطبقات الصوفية**، تحقيق: أحمد الشرباصي، ط2، دار الشعب، (د.م)، 1998م.

السيوطي، أبو بكر، عبدالرحمن بن محمد(ت. 911هـ/ 1505 م):

- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، جزءان، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دارالفكر، بيروت، 1979م.
- **طبقات المفسرين**، تحقيق: علي عمر، ط1، مكتبة وهبة، (د.م)، 1976م.

ابن الشماع، أبو عبدالله، محمد بن أحمد(ت.850هـ/1446م): **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تحقيق: الطاهر المعموري، (د.ط)، الدار العربية للكتاب، (د.م)، 1984م.

صاعد الطليطلي، أبو القاسم، ابن أحمد بن صاعد الأندلسي(ت.462هـ/1069م): **طبقات الأمم**، (د.ط)، المطبعة الكاثوليكية لآباء اليسوعيين، بيروت، 1912م.

الصفدي، أبو الصفاء، صلاح الدين بن أيبك(ت. 764هـ/1363م): **الوافي بالوفيات**، 29جزء، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، ط1، دار الأحياء التراث العربي، بيروت، 2000م.

الضبي، أبو جعفر، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة(ت.599هـ/1202م): **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، جزءان، تحقيق: إبراهيم الآبياري، ط1، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، 1989م.

ابن عبد البر، ابو عمر، يوسف بن عبد البر النمري(ت. 463هـ/1070م): **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، 26جزء، تحقيق: مصطفى العلوي ومحمد البكري، (د.ط)، (د.ن)، (د.م)، 1967م.

ابن عبد ربه، أبو عمرو، أحمد(ت. 328هـ/ 939م): **العقد الفريد**، 9أجزاء، تحقيق: مفيد محمد قميحة، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

عبد الملك السلمي، أبو مروان، ابن حبيب بن سليمان(ت. 238هـ/852م): **كتاب التاريخ**، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2008م.

عبد الواحد المراكشي، محيي الدين عبد الواحد بن علي التميمي(ت. 647هـ/1250م): **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، (د.ط)، مطبعة ليدن، (د.م)، 1847م.

ابن عبدون الأشبيلي، محمد بن أحمد التجيبي(ت. 529هـ/1134م): **رسالة أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب**، تحقيق: ليفي بروفنسال، (د.ط)، مطبعة المعهد العلمي لأثار الشرقية، القاهرة، 1955م.

ابن عذارى، أبو العباس، أحمد بن محمد المراكشي(ت. 695هـ/1295م): **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، 4أجزاء، تحقيق: ج. كولان وليفي بروفنسال، ط2، دار الثقافة، بيروت، 1980م.

أبو العرب، محمد بن أحمد التميمي(ت. 333هـ/944م): **طبقات علماء أفريقية**، (د.ط)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د.ت).

ابن العربي، أبو بكر، محمد بن عبد الله المعافري(ت. 543هـ/1148م): **أحكام القرآن**، 4أجزاء، تحقيق: علي البجاوي، (د.ط)، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، (د.ت).

ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح، شهاب الدين عبد الحي(ت. 1089هـ/1678م): **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، 10أجزاء، تحقيق: محمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1986م.

العمري، أبو الحسن، نجم الدين علي بن محمد بن محمد العلوي: **المجدي في أنساب الطالبيين**، تحقيق: أحمد الدامغاني، ط2، (د.ن)، (د.م)، 2001م.

ابن عياض، أبو الفضل، عياض بن موسى اليحصبي(ت. 544هـ /1149م):

- **الالماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع**، تحقيق أحمد صقر، ط1، دار التراث، المكتبة العتيقة، القاهرة، تونس، 1970م.

- **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام المذهب مالك**، 8أجزاء، تحقيق: محمد بن تاويت الطبخي، ط2، وزارة الأوقاف المغربية، (د.م)، 1983م.

الغزالي، أبو حامد، محمد الطوسي(ت. 505هـ/1111م): **إحياء علوم الدين**، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 2005م.

ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد(ت. 799هـ/1397م): **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، جزءان، تحقيق: محمد الأحمدي، (د.ط)، دار التراث، القاهرة، (د.ت).

ابن الفرضي، أبو الوليد، عبد الله بن محمد(ت. 403هـ/1012م): **تاريخ علماء الأندلس**، جزءان، تحقيق: بشار معروف، ط1، دار الغرب، تونس، 2008م.

الفيروزآبادي، أبو طاهر، مجيد الدين محمد بن يعقوب بن محمد(ت. 817هـ/ 1414م): **البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة**، ط1، دار سعد الدين، دمشق، 2000م.

القابسي، أبو الحسن، علي بن محمد بن خلف المعافري(ت. 403هـ/1012م): **الرسالة المفضلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين**، تحقيق: أحمد خالد، ط1، الشركة التونسية لتوزيع، (د.م)، 1986م.

القفطي، أبو الحسن، حمال الدين علي بن يوسف(ت. 646هـ/1248م):

- **انباة الرواة على انباة النحاة**، 4أجزاء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د.ط)، المكتبة العصرية، بيروت، 2004م.
- **أخبار العلماء بأخبار الحكماء**، (د.ط)، مطبعة السعادة، القاهرة، 1908م.

ابن القوطية، أبو بكر، محمد بن عمر القرطبي(ت. 367هـ/977م): **تاريخ افتتاح الأندلس**، ط1، تحقيق: إبراهيم الآبياري، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، 1981م.

الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد بن هارون(ت. 764هـ/1363م): **فوات الوفيات والذيل عليها**، 5أجزاء، تحقيق: إحسان عباس، (د.ط)، دار صادر، بيروت، (د.ت).

ابن كثير، أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن عمر الدمشقي(ت. 774هـ/1372م): **البداية والنهاية**، 20جزء، تحقيق: محيي الدين ديب، ط2، دار ابن كثير، دمشق، 2010م.

لسان الدين بن الخطيب، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله(ت. 776هـ/1374م): **تاريخ إسبانية الإسلامية أو أعمال الأعلام من بويع قبل الاحتلام من ملوك**، (د.ط)، دار المكشوف، بيروت، 1956م.

مجهول: **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحرب الواقعة بها بينهم**، تحقيق: إبراهيم الآبياري، ط1، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، 1981م.

المحبي، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين الدمشقي(ت. 1111هـ/ 1699م): **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، 4أجزاء، (د.ط)، المطبعة الوهبية، (د.م)، 1867م.

المراكشي، أبو عبد الله، محمد بن محمد الأنصاري(ت. 703هـ/1303م): **الذيل والتكملة**، 4أجزاء، تحقيق: إحسان عباس، ومحمد بن شريفة، وبشار معروف، ط1، دار الغرب، تونس، 2012م.

المغراوي، أبو عبد الله، محمد الوهراني(ت. 917هـ/1511م): **جامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان**، تحقيق: أحمد جلولي البدوي، ورابح بونار، (د.ط)، (د.ن)، الجزائر، (د.ت).

المقدسي، محمد بن أحمد(ت. 380هـ/990م): **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط2، مطبعة بريل، لندن، مكتبة المثنى، بغداد، 1906م.

المقري، أبو العباس، أحمد بن المقري التلمساني(ت. 1041م/1631م): **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب في وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، 8أجزاء، تحقيق: إحسان عباس، (د.ط)، دار صادر، بيروت، 1968م.

ابن منظور، أبو الفضل، محمد بن مكرم الأنصاري(ت. 711هـ/1311م): **لسان العرب**، 15جزء، (د.ط)، دار صادر، بيروت، (د.ت).

النباهي، أبو الحسن، عبدالله بن الحسن المالقي(ت. 792هـ/1390م): **المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا**، ط5، دار الآفاق، بيروت، 1983م.

الوزير الغساني، قاسم بن محمد الأندلسي(ت. 1019هـ/1611م): **رحلة الوزير في افتكاك الأسير**، ط1، دار السويد لنشر والتوزيع، الأمارات، 2004م.

يحيى بن الحكم الغزال(ت255هـ/869م): **ديوان يحيى بن حكم الغزال**، تحقيق محمد رضوان الداية، ط1، دار الفكر المعاصر بيروت، دار الفكر سوريا، 1993م.

ثانياً: المراجع

إبراهيم، عبد الرحمن إبراهيم: **علم أصول الفقه الإسلامي**، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، 1999م.

إبراهيم، إسماعيل: **تاريخ الأندلس من الفتح حتى السقوط**، (د.ط)، مكتبة الثقافة الدينية، (د.م)، (د.ت).

أعراب، سعيد: **القراء والقراءات في المغرب**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.

أمين، أحمد: **ظهر الإسلام**، 4أجزاء، (د.ط)، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، (د.ت).

الأهواني، أحمد فؤاد: **التربية في الإسلام**، (د.ط)، دارالمعارف، القاهرة، (د.ت).

الباجلاني، آزاد: **المجالس الشعرية في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة**، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان،2013م

بالنثيا،آنخل: **تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمة: حسين مؤنس، (د.ط)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت).

بروفنسال، ليفي: **الحضارة العربية في إسبانيا**، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1994م.

البغدادي، إسماعيل باشا بن محمد: **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، 6أجزاء، (د.ط)، دار الفكر، بيروت، 1982م.

البنداق، محمد صالح: **يحيى بن الحكم الغزال: أمير شعراء الأندلس في القرن الثالث الهجري وسفير أمير الأندلس لدى إمبراطور القسطنطينية وملك النورمان (150-250هـ/767-864م)**، (د.ط)، دار الآفاق الجديدة، 1979م.

بيضون، إبراهيم: **الدولة العربية في اسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة(92-422هـ/711-1031م)**، (د.ط)، دار النهضة العربية، بيروت، 1978م.

البيومي، محمد: **الأدب الأندلسيين التأثر والتأثير**، ط1، مكتبة الدار العربية للكتاب،(د.م)، 2008م.

توفيق، عمر: **الوافي في تاريخ الأدب العربي في الأندلس: موضوعاته وفنونه**، (د.ط)، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، 2012م.

التونجي، محمد: **المعجم الذهبي**، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1980م.

جرار، صلاح: **زمان الوصل (دراسات في التفاعل الحضاري والثقافي في الأندلس)**، (د.ط)، وزارة الثقافة، عمان، 2009م.

جمعة، علي: **المكاييل والموازين الشرعية**، ط2، القدس لإعلان والنشر والتسويق، القاهرة، 2001م.

الجيوسي، سلمى الخضرا: **الشعر الأندلسي، العصر الذهبي، الحضارة العربية في الأندلس**، جزءان، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998م.

حتاملة، محمد عبده: **الأندلس (التاريخ والحضارة والمحنة)**، (د.ط)، (د.ن)، عمان، 2000م.

حجازي، عبد الرحمن: **المذهب التربوي عند ابن سحنون**، (د.ط)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م.

الحجي، عبد الرحمن: **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (92-897هـ/711-1492م)**، (د.ط)، دار الاعتصام، القاهرة، 1983 م.

حسن، حسن إبراهيم: **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، ط7، (د.ن)، (د.م)، 1964م.

حسين، حمدي عبد المنعم: **تاريخ وحضارة المغرب والأندلس**، (د.ط)، دار المعرفة الجامعية،(د.م)، 2005م.

حلاق، حسان: **العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصــور الوســطى**، ط1، الــدار الجامعية، بيروت، 1986م

الحنفي، محمود: **زرياب، أبو الحسن علي بن نافع (موسيقار الأندلس)**، (د.ط)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، (د.ت).

خنفر، خلفي: **تاريخ الحضارة الإسلامية**، ط1، (د.ن)، (د.م)، 1991م.

أبا الخيل، محمد: **الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري (275-300 هـ/888-912م)**، ط1، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض، 1995م.

الدسوقي، إبراهيم: **المعجم الفارسي الكبير**، 3 جزء، (د.ط)، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1992م.

الدقاق، عمر: **ملامح الشعر الأندلسي**، (د.ط)، دار الشروق، بيروت، 1975م.

دويدار، حسين: **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138-422هــــ/755- 1030م)**، ط1، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، (د.ت).

ذنون طه، عبد الواحد؛ السامرائي، خليل؛ مطلوب، ناطق: **تــاريخ العــرب وحضــارتهم فــي الأندلس**، ط1، دارالكتاب الجديد المتحدة، بيروت، (د.ت).

ذنون طه،عبد الواحد:

- **دراسات في التاريخ الأندلسي**، ط1، (د.ن)، (د.م)، 1987م.
- **نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس**، ط1، المدار الإسلامي، بيروت، 2004م.
- **دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها**، ط1، المدار الإسلامي، بيروت، 2004م.
- **دراسات أندلسية**، (د.ط)، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2008م.

ذياب، حامد الشافعي: **الكتب والمكتبات في الأندلس**، ط1، دار قباء، القاهرة، 1998م.

الرافعي، مصطفى صادق: **تاريخ آداب العرب**، جزءان، (د.ط)، مكتبة الأيمان، القاهرة،(د. ت).

رستم، محمد: **الكتب المشرقية والأصول النادرة في الأندلس**، ط1، دار ابن حـــزم، بيـــروت، 2009م.

الرفاعي، أنور: **الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والفنية**، (د.ط)، دار الفكر، (د.م)، 1973م.

رمضان، عبد المحسن: **تاريخ المغرب والأندلس من الفتح حتـــى ســـقوط غرناطـــة**، ط1، دار الفكر، عمان، 2011م.

الرومي، فهد: **منهج المدرسة الأندلسية في التفسير، صفاته وخصائصه**، ط1، مكتبة التوبـــة، الرياض، 1997م.

ريبيرا، خوليان: **التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية**، ترجمـــة: الطاهر أحمد مكي، (د.ط)، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

الزرقاني، محمد عبد العظيم: **مناهل العرفان في علوم القرآن**، جزءان، تحقيق: فـــواز أحمـــد زمرلي، ط1، دار الكتاب العربي، (د.م)، 1995م.

زركلي، خير الدين: **الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمســـتعربين والمستشرقين)**، 8أجزاء، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م.

زوين، علي: **ألفاظ الحضارة في الشعر العربـــي فـــي القـــرن الثـــاني الهجـــري**، جـــزءان، (د.ط)،المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2006م.

زيتون، محمد: **المسلمون في المغرب والأندلس**، (د.ط)، (د.ن)، (د.م)، 1990م.

أبو زيدون، وديع: **تاريخ الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة في قرطبة**، ط1،الأهلية لنشـــر والتوزيع، بيروت، 2005م.

سالم، سحر: **بحوث مشرقية ومغربية في التاريخ والحضارة الإسلامية**، (د.ط)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997م.

سالم، السيد:

- **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس**، جزءان، (د.ط)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997م.

- **بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار**، ط1، دار العرب الإسلامي، بيروت، 1991م.

- **محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية**، (د.ط)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1999م.

- **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، (د.ط)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1982م.

- **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس**، (د.ط)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1999م.

- **المساجد والقصور في الأندلس**، (د.ط)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1986م.

شاوش، محمد: **الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي**، ط1، المطبعة العلوية، مستغانم، 1966م.

شبانة، محمد كمال: **الأندلس(دراسة تاريخية حضارية)**، ط1، دار العالم العربي، القاهرة، 2008م.

الشطشاط، علي: **تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة**، (د.ط)، دار قباء، القاهرة، 2001م.

الشعرواي، أحمد إبراهيم: **الأمويون: أمراء الأندلس الأول**، (د.ط)، دار النهضة العربية، القاهرة، 1969م.

الشكعة، مصطفى: **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1983م.

شلبي، أحمد:

- **التربية الإسلامية، نظمها– فلسفتها– تاريخها**، ط6، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1978م.

- **تاريخ التربية الإسلامية**، ط5، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1976م.

الشيخ، محمد مرسي: **دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر الميلادي**، (د.ط)، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1981م.

صقر، عبد البديع: **شاعرات العرب**، (د.ط)، منشورات المكتب الإسلامي، الدوحة، 1967م.

الصوفي، خالد: **تاريخ العرب في الأندلس عصر الإمارة**، ط2، منشورات جامعة قاريونس، (د.م)، 1980م.

ضيف، أحمد: **بلاغة العرب في الأندلس**، ط2، دار المعارف، تونس، 1998م.

ضيف، شوقي: **عصر الدول والإمارات**، الأندلس، ط1، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

الطريفي، يوسف عطا: **شعراء العرب "المغرب والأندلس"**، ط1، الأهلية لنشر والتوزيع، بيروت، 2007م.

العامري، محمد بشير:

- **مظاهر الابداع الحضاري في التاريخ الأندلسي**، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، 2012م.

- **دراسات حضارية في التاريخ الأندلسي**، ط1، دار غيداء، عمان، 2012م.

عاشور، سعيد؛ العبادي، أحمد مختار؛ عبد الحميد، سعد: **دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية**، ط2، ذات السلاسل، الكويت، 1986م.

العبادي، أحمد مختار: **في تاريخ المغرب والأندلس،** (د.ط)، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت).

عباس، إحسان:

- **تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة،** (د.ط)، دار الشروق، بيروت، 1997م.
- **التعليم في الأندلس حتى نهاية القرن الرابع الهجري؛** في موسوعة المجمع الملكي لبحوث الحضارة: الحضارة الإسلامية، بحوث ودراسات في الشورى، والتربية، والإدارة، ومعاملة غير المسلمين، 5أجزاء، (د.ط)، مؤسسة آل البيت، عمان، 1986م.

عبدالله، يسري: **معجم المؤرخين حتى القرن الثاني عشر الهجري،** ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م.

عبد العزيز، محمد عادل: **الحضارة الإسلامية وعوامل الازدهار وتداعيات الانهيار،** (د.ط)، دار الغريب، القاهرة، 2000م.

عبد المعطي، فاروق: **الإمام الشافعي،** ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

العكش، إبراهيم: **التربية والتعليم في الأندلس،** ط1، دار الفيحاء، دار عمار، عمان، 1986م.

علوان، عبدالله علوان: **محاضرة في الشريعة الإسلامية وفقهها ومصادرها،** ط2، دار السلام، (د.م)، 1985م.

علي، محمد كرد: **غابر الأندلس وحاضرها،** ط1، مكتبة النافذة،(د. م)، 2011م.

عمر، أحمد: **معجم اللغة العربية المعاصرة،** ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2008م.

عنان، محمد عبدالله: **دولة الإسلام في الأندلس: العصر الأول– من الفتح إلى بداية عهد الناصر،** 4أجزاء، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م.

العناني، محمد زكريا: **تاريخ الأدب الأندلسي**، (د.ط)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999م.

عويضة، كامل: **ابن مسرة (محمد بن عبدالله بن مسرة بن نجيح القرطبي، الفيلسوف الزاهد)**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م.

عيسى، عبد العزيز محمد: **الأدب العربي في الأندلس**، (د.ط)، مطبعة الاستقامة، (د.م)، (د.ت).

عيسى، فوزي: **في الأدب الأندلسي**، (د.ط)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2009م.

عيسى، محمد عبد الحميد: **تاريخ التربية والتعليم في الأندلس**، ط1، دار الفكر العربي، (د.م)، 1982م.

فروخ، عمر: **تاريخ العلوم عند العرب**، (د.ط)، دار العلم للملايين، بيروت، 1970م.

أبو الفضل، محمد: **دراسات في تاريخ وحضارة الأندلس**، (د.ط)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996م.

الفقي، عصام الدين: **تاريخ المغرب والأندلس**، (د.ط)، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، (د.ت).

الفلاحي، حامد: **التاريخ الأندلسي الميسر من الفتح إلى سقوط غرناطة**، جزءان، (د.ط)، دار الكتاب الثقافي، عمان، 2003م.

فيلالي، عبد العزيز: **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب**، ط2، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999م.

الفيومي، محمد: **تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس**، ط1، دار الجيل، بيروت، 1997م.

القاسمي، جاسم بن محمد: **تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، (د.ط)، 2000م.

القطان، مناع: **التشريع والفقه في الإسلام (تاريخاً ومنهجاً)**، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982م.

كحالة، عمر: **أعلام النساء(في عالمي العرب والإسلام)**، 5أجزاء، (د.ط)، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ت).

الكزبري، سلمى: **بصمات عربية ومشرقية في الأندلس**، (د.ط)، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1992م.

كوربان، هنري: **تاريخ الفلسفة الإسلامية**، ترجمة: نصير مروة، وحسن قبيسي، ط2، عويدات لنشر والطباعة، بيروت، 1998م.

لوبون، غوستاف: **حضارةالعرب**، ترجمة: عادل زعيتر، (د.ط)، دار هنداوي، القاهرة، 2012م.

محسن، عيسى خليل: **إمراء الشعر الأندلسي**، ط1، دار جرير، عمان، 2007م.

محمد، محمد سعيد: **دراسات في الأدب الأندلسي**، (د.ط)، جامعة سبها، ليبيا، (د.ت).

محمود، عبد الحليم: **التفكير الفلسفي في الإسلام**، ط2، دار المعارف، (د.م)، (د.ت).

مرحبا، محمد: **الموجز في تاريخ العلوم عند العرب**، (د.ط)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1970م.

مسعود، جبران: **الرائد**، ط7، دار العلم للملايين، بيروت، 1992م.

المشني، مصطفى: **مدرسة التفسير في الأندلس**، (د.ط)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م.

أبو مصطفى، كمال السيد:

- **دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة**، (د.ط)، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1997م.
- **تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية في العصر الإسلامي**، (د.ط)، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1980م.

المغلوث، سامي: **أطلس تاريخ الدولة العباسية**، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 2012م.

مؤنس، حسين:

- **شيوخ العصر في الأندلس**، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1986م.
- **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، (د.ط)، مكتبة الأسرة لأعمال الفكرية، (د.م)، 2004م.
- **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس**، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1986م.
- **فجر الأندلس(دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي الى قيام الدولة الأموية)**، (د.ط)، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1959م.
- **أطلس تاريخ الإسلام**، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987م.

النجمي، كمال: **تراث الغناء العربي بين الموصلي وزرياب وأم كلثوم وعبد الوهاب**، (د.ط)، دار الشروق، القاهرة، 1992م.

النعنعي، عبد المجيد: **تاريخ الدولة الأموية في الأندلس(التاريخ السياسي)**، (د.ط)،دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت).

هانتس، فالتر: **المكاييل والأوزان الإسلامية**، ترجمة: كامل العسلي، (د.ط)، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، (د.ت).

هونكة، زيغرد: **شمس العرب تسطع على الغرب**، ترجمة: فؤاد علي، (د.ط) دار المعارف، مصر، (د.ت).

هيكل، أحمد: **الأدب الأندلسي(من الفتح إلى سقوط الخلافة)**، ط7، دار المعارف، القاهرة، 1979م.

وات، موانتغمري: **في تاريخ إسبانيا الإسلامية**، ط2، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، بيروت، 1998م.

بني ياسين، يوسف: **علم التاريخ في الأندلس حتى نهاية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي**، ط1، مؤسسة حمادة لنشر والتوزيع، عمان، 2002م.

يوسف، عواطف: **الرحلات المغربية والأندلسية**، (د. ط)، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996م.

ثالثاً: الرسائل الجامعية غير المنشورة

البشري، سعد عبدالله: **الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس(316-422 هـ/928-1030م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، السعودية، 1982م.

أبو صالح، وائل فؤاد: **التربية اللغوية في الأندلس: عصر سيادة قرطبة**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإسكندرية، الإسكندرية، 1979م.

عصيدة، فادي صقر: **جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2006م.

العصيمي، إيمان: **العلاقات العلمية بين الأندلس ومدينة فأس من بداية القرن الثالث الهجري وحتى سقوط غرناطة**، رسالة ماجستير غير منشوره، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2009م.

بو غزالة، عبد الكريم: **مدرسة القراءات بالأندلس(نشأتها وأثارها وتطورها)**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر، 2005م.

مصطفى، خزعل ياسين: **بنو أمية ودورهم في الحياة العامة(138-422هـ/755-1031م)**، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، 2004م.

الهروط، بلال: **صور الآخر في أدب الرحلات الأندلسية**، رسالة دكتوراه غير منشوره، جامعة مؤتة، عمان، 2008م.

رابعاً: الموسوعات

البستاني، بطرس: **دائرة المعارف**، 11جزء، (د.ط)، دار المعرفة، بيروت،1980م.

الروضان، عبد عون: **موسوعة تاريخ العرب**، جزءان، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2004م.

شلبي، أحمد: **موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**، 9 أجزاء، ط7، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1984م.

الموسوعة العربية العالمية، 30جزء، ط2، مؤسسة أعمال الموسوعة لنشر والتوزيع، الرياض، 1999م.

خامساً: الابحاث المنشورة

بوباية، عبد القادر: ***علاقة الرستميين بالإمارة الأموية في الأندلس***، **مجلة التراث العربي**، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، ع(99–100)، (د.ت).

البياتي، موفق: ***عود زرياب وأثره في الموسيقى العربية والأوروبية***، **مجلة ثقافتنا**، ع6، بغداد، 2008م.

جاسم، علي إسماعيل؛ الجراخ، عباس هاني؛ الساير، محمد عويد: ***عبد الرحمن الداخل أديباً(المناحي الأدبية في شخصيته)***، **مجلة سرى من رأى**، مج7، ع37، 2011م.

الجبوري، إسراء: ***عباس بن فرناس، مبدع الأندلس***، جامعة الأنبار، كلية الآداب، **مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية**، مج3، 2008م.

جرار، صلاح: ***عباس بن فرناس شاعراً***، الجامعة الأردنية، قسم اللغة العربية وآدابها، **مجلة دراسات**، ع38، 1989م.

جمال الدين، محسن: ***عباس بن فرناس أول رائد أندلسي للطيران(274هـ/887 م)***، جامعة بغداد، كلية الآداب، **مجلة المورد**، مج6، ع4، بغداد، (د. ت).

دومينيك، ايرافوا: ***علماء الأندلس***، في: الجيوسي، سلمى الخضرا.

الديوه جي، سعيد: ***الفكر العلمي العربي في شخص العباس بن فرناس(حكيم الأندلس)***، **مجلة اللسان العربي**، (د.ت).

رايت، أوين: ***الموسيقى في الأندلس***، في: الجيوسي، سلمى الخضرا.

أبو الرب، هاني: ***زرياب وأثره في الحياة الاجتماعية والفنية في الأندلس***، جامعة القدس المفتوحة لأبحاث والدراسات، ع15، فلسطين، 2009م.

سامو، خوليو: ***العلوم الدقيقة في الأندلس***، في: الجيوسي، سلمى الخضرا.

سلمان، حمود: ***زرياب في المصادر العربية القديمة***، جامعة مؤتة، حوليات آداب عين شمس، مج38، الأردن، 2010م.

الطراونة، مبارك؛ الجعافرة، بلال: **حركة محمد بن مسرة ومذهبه الديني في الأندلس*(269-318هـ/883-931م)***، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، كلية الآداب والعلوم، **مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية**، مج15، ع3، عمان، 2015م.

عداس، كلودا: ***التصوف الأندلسي وبروز ابن عربي***، في: الجيوسي، سلمى الخضرا.

عزب، محمد: ***موقف العلماء من ظاهرة التصوف الفلسفي(ابن مسرة الجبلي نموذجاً)***، جامعة المدينة العالمية، قسم الدعوة وأصول الدين، **مجلة جامعة المدينة العالمية**، ع12، 2015م.

غليك، توماس: ***التكنولوجيا الهيدرولية في الأندلس***، في: الجيوسي، سلمى الخضرا.

أبو الفضل، محمد: ***أضواء على النشاط العلمي في الأندلس***، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، ندوة الأندلس: (الدرس والتاريخ)،1994م.

فواز، لؤي: ***البدايات الأولى لنشوء الشعر الأندلسي***، جامعة ديالى، كلية التربية الرياضية، مج58، 2008م.

فيرنيه، خوان: ***العلوم الفيزياوية والطبيعية والتقنية في الأنـــدلس***، فـــي: الجيوســـي، ســـلمى الخضرا.

كاكيا، بيير: ***الأدب الأندلسي***، في: الجيوسي، سلمى الخضرا.

المشهداني، علياء: ***رحلة معاوية بن صالح الحمصي إلى الأندلس***، جامعـــة الموصـــل، كليـــة التربية، **مجلة الدراسات التاريخية والحضارية**، مج4، ع14، الموصل، 2011م.

محمد، ألوزاد: ***الملامح العامة لشخصية ابن مسرة وآرائه***، جامعة سيدي محمد بـــن عبـــدالله، **مجلة كلية الآداب والعلوم الأنسانية**، ع6، فاس، (1982/1983م).

هجوان، أحمد: ***حكيم الأندلس، رائد الفضاء الأول(المخترع عباس بن فرناس)***، جامعة الملـــك عبد العزيز، **مجلة الأعجاز العلمي**، ع23، جدة، 2006م.

الملاحق

- الجداول
- الخرائط

الجداول

جدول (1)

الأمراء الأمويون في الأندلس(138-316هـ/755-928م).

الرقم	الأمير	تاريخ الحكم
1	عبد الرحمن الداخل	(138-172هـ/756-788م)
2	هشام الرضا	(172-180هـ/788-796م)
3	الحكم الربضي	(180-206هـ/796-822م)
4	عبد الرحمن الأوسط	(206-238هـ/821-852م)
5	محمد بن عبد الرحمن	(238-273هـ/852-886م)
6	المنذر بن محمد	(273-275هـ/886-888م)
7	عبدالله بن محمد	(275-300هـ/888-912م)
8	عبد الرحمن الناصر	(300-316هـ/912-929)

جدول (2)

أشهر العلماء الأندلسيين في العلوم الدينية.

الرقم	العالم	الوفاة
1	أسد بن عبد الرحمن السبتي	(150هـ/767م)
2	معاوية بن صالح الحضرمي	(168هـ/785م)
3	صعصعة بن سلام الشامي	(192هـ/808م)
4	الغازي بن قيس	(199هـ/814م)
5	سوار بن طارق	–
6	عيسى بن دينار	(212هـ/827م)
7	سعيد بن أبي هند	–
8	قرعوس بن العباس	(220هـ/835م)
9	الأعشى القرطبي	(221هـ/836م)
10	يحيى بن يحيى الليثي	(234هـ/849م)
11	عبد الملك بن حبيب السلمي	(238هـ/852م)
12	عبدالله بن مرنتيل	(256هـ870م)
13	أصبغ بن خليل	(273هـ/886م)
14	بقيّ بن مخلد	(276هـ/889م)
15	قاسم بن محمد بن سيار	(278هـ/891م)
16	محمد بن وضاح	(287هـ/900م)
17	محمد بن عمر بن لبابة	(314هـ/926م)
18	محمد بن قاسم القرطبي	(327هـ/938م)

جدول (3)

أشهر العلماء الأندلسيين في علوم اللغة العربية وآدابها وفنونها.

الرقم	العالم	الوفاة
1	أبو الأجرب جعونة بن الصمة الكلابي	–
2	أبو المخشي عصام بن زيد	–
3	يحيى بن الحكم الغزال	(156هـ/773م)
4	عباس بن ناصح الثقفي	(237هـ/852م)
5	جودي النحوي	(198هـ/813م)
6	علي بن نافع زرياب	(243هـ/857م)
7	عثمان بن مثنى	(273هـ/886م)
8	مؤمن بن سعيد	(276هـ/889م)
9	سعيد بن جودى	(284هـ/897م)
10	مقدم بن معافي القبري	(299هـ/912م)
11	أبا موسى الهواري	(288هـ/843م)
12	محمد بن يحيى القلفاط	(302هـ/915م)
13	عثمان بن ربيعة	(310هـ/922م)
14	ثابت بن عبد العزيز السرقسطي	(313هـ/925م)
15	عثمان الكناني	(320هـ/932م)
16	أحمد بن عبد ربه	(327هـ/939م)
17	قاسم بن أصبغ البياني	(340هـ/951م)
18	أبو علي القالي	(356هـ/967م)

جدول (4)

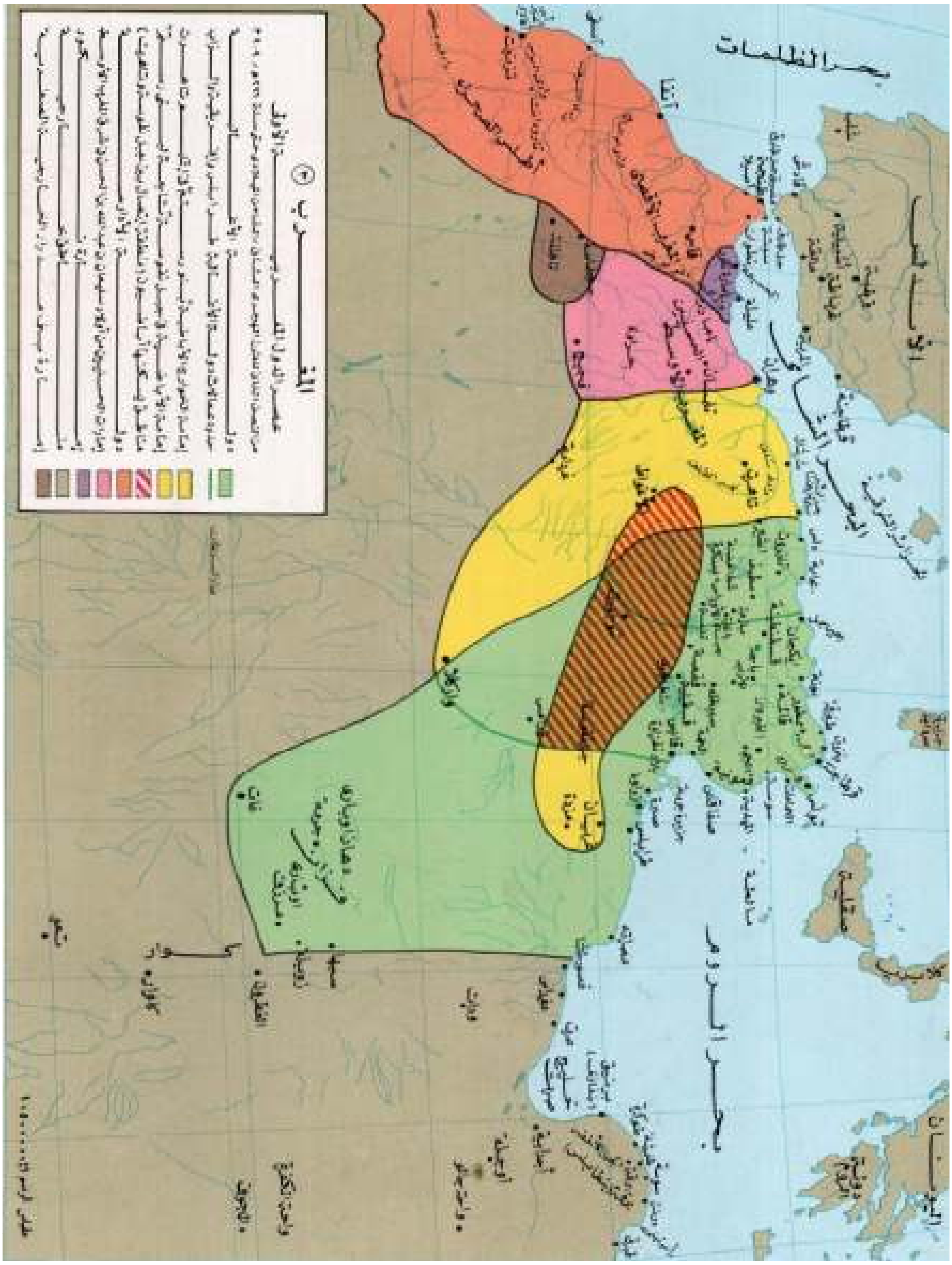
أشهر العلماء الأندلسيين في العلوم العقلية.

الرقم	العالم	الوفاة
1	عبد الله بن الشمر	–
2	معارك بن مروان	–
3	عبد الواحد بن إسحاق الضبي	(238هـ/852م)
4	عباس بن فرناس	(261هـ/875م)
5	يونس الحراني	–
6	حمدين بن أبان	–
7	خالد بن يزيد النصراني	–
8	محمد بن موسى الرازي	–
9	إسحاق النصراني	–
10	أحمد بن محمد الرازي	–
11	أحمد بن عبد الله بن مبارك الحبيبي	–
12	مسلم بن أبي عبيدة الليثي	(304هـ/916م)
13	يحيى بن يحيى ابن سمينة	(315هـ/927م)
14	محمد بن عبدالله بن مسرة	(319هـ/931م)
15	عمران بن أبي عمر	(320هـ/932م)

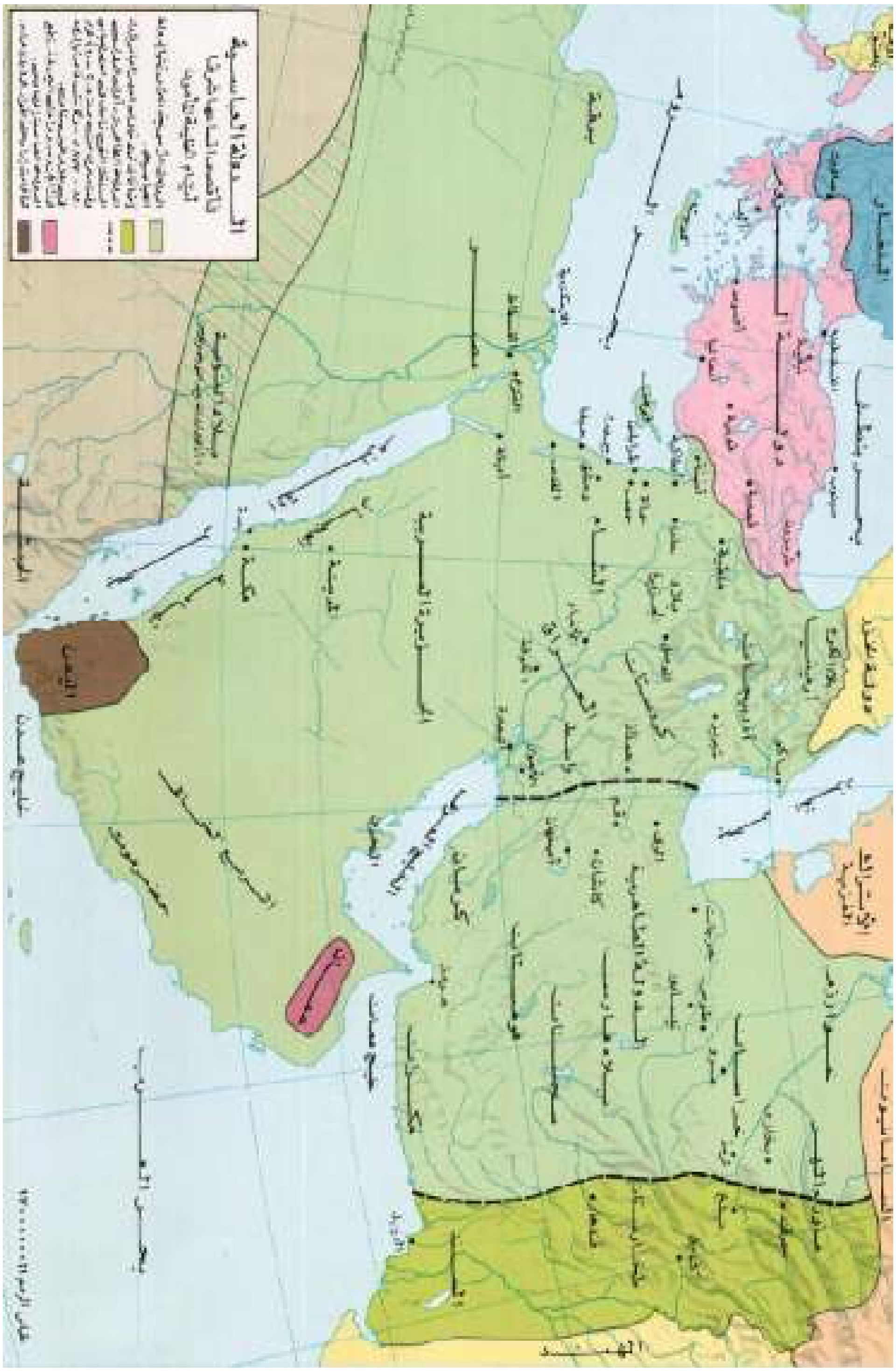
الخرائط



خريطة رقم(1) الأندلس خلال عصر الإمارة الأموية. مغلوث، سامي، أطلس تاريخ الدولة العباسية، ص67.



خريطة رقم(2): بلاد المغرب الإسلامي. مؤنس، حسين، أطلس تاريخ الإسلام، ص59.



خريطة رقم(3): بلاد المشرق الإسلامي. مؤنس، ص147.

An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies

Scientific Situations in Al-Andalus During Emirate Era, and Relations with Both Al-Maghreb, Al-Mashreq (138-316A.H/756-928A.D)

By
Ma'ali Muhammad Ali Yasin

Supervised by
Dr. Amer A. Qobbaj

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of History, Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus, Palestine.

2017

Scientific Situations in Al-Andalus During Emirate Era, and Relations with Both Al-Maghreb, Al-Mashreq (138-316A.H/756-928A.D)

By
Ma'ali Muhammad Ali Yasin
Supervised by
Dr. Amer A. Qobbaj

Abstract

As a result of the Islamic conquest of Al-Andalus, a new mixture of many ethnic groups, due to kinships or neighbors or war relationships, came to the surface. This formed an Andalusi society that had its own features. The Islamic culture in AL-Andalus came through several phases, which were influenced by intellectual and local effects due to the special nature of the local environment. In addition, this culture was intellectually, culturally, scientifically influenced by Maghreb And Mashreq effects because Al-Andalus had always been an authentic part of the Islamic World, its history and culture.

The Andalusians paid much attention to science and education. Therefore, they encouraged their children to join Al- Kuttab (the first teaching stage) and other educational institutions of that time. It is worth noting that education was not exclusive to the males, but it also included the females, They diversified their education and developed their own curriculum.

Some of the most important sciences that the Andalusians were interested in were the different branches of the Islamic sciences, such as Qur'an, Al-Hadeeth and jurisprudence (Al-Fiqh), mainly after the

introduction of Imam Malik Madhab (an Islamic school of jurisprudence) by Ghazi Bin Qais and Ziad Al- Lakhmi (Shabtoon). The Maliki Madhab dominated Al-Andalsus despite the appearance of other Madhabs like Al-Shafi'i and Al- Thahiri.

The Andalusians were also interested in the various Arabic language sciences, and so they brought literary books from Mashreq. That, in turn, contributed to the prosperity of linguistics and grammar and writing about them. Regarding poetry, it was mainly affected by the Mashreq poetry and that was clear in a number of Andalusi poems. Soon and after the Andalusi poetry had developed and had its basic foundations, new literary genres appeared like musical poems (Muwashahat) and oral poems (Zajal) and singing. Consequently, the singing art had spread with all its elements: singers and belly dancers, who were introduced from Mashreq to dye the the Andalusi arts with Iraqi and Hijazi dyes.It is worth mentioning that Ali Bin Nafi (Zyriab) had his own imprint on this art during the ruling of the Prince Abdul- rahman El- Awsat(206-238A.H/822-852A.D).

On the other hand, the medical sciences in the Emirate (Imara) period were at first dependent on the translated books by the Christians. Then and in the mid 3rd century A.H(9th century A.D) the Mashreq scientific effects were introduced to Al- Andalus by the physician (Yunis Al- Harrani) during the ruling of the Prince Abdul rahman El- Awsat. The Andalusis had also evident contributions to mathematics and astronomy

and Abbas Bin Fernas, the renowned chemist who tried to imitate birds in flying, was a good example of that period.

In addition, the Andalusians had their indelible contributions to writing the Andalusi history although some of those historical writings were dominated by fables and myths, and the notable historian of that time was Abdul - Malik Habib Al-Salmy. However, studying philosophy was very weak since it was a fertile soil for blasphemy and atheism, but no one can ignore the efforts of Mohammad Bin Masarah who studied philosophy in Al-Mashreq and tried to spread his ideas in Al-Andalus,but couldn't due to the restrictions imposed on him there.

Due to the scientific and cultural status of Al- Hijaz, especially Makkah and Medina, where the first schools of science had been established, the scientists chose it as their first destination. Consequently, the schools of jurisprudence were introduced to Al-andalus; the Maliki Madhab was spread in Al-Magherb and Al-Andalus.

Regarding the Egyptian scientists, they played a major role in forming and establishing the Islamic jurisprudence system in Al-Andalus, after they shouldered the responsibility of setting the rules and foundations of Madhab Maliki influenced by Hijaz scientists. It is remarkable to mention that the scientific and cultural relations between Morocco and Al-Andalus led to the development of the intellectual life and its prosperity in both countries.

Finally, the country of Andalusia was not affected at the beginning of the age of the Emirate by the thought of the Iraqis and their culture because of the shamanic nature in which the life of the Andalusians was established by the policy of the founding prince Abdul- Rahman El-Dakhel(138-172A.H/ 756-788 A.D). The Iraqi thought did not begin to infiltrate into Andalusia except during the Prince Abdul Rahman Al-Awsat, because of his passion for science and his interest in scientists coming to his country from all over the Islamic world.